القبورية والتشيع

بناء الأضرحة على القبور

ودور الشيعة في ظهورها وانتشارها واستغلالها

إعداد

رأفت صلاح الدين

مقدمة

إسلام النفس لله، والخضوع له وحده، والاعتقاد الجازم أن بيده –سبحانه وتعالى– وحده النفعَ والضرّ، وأن أحدًا من الخلق مهما ارتفعت منزلته وسما قدره – سواء كان نبيًّا أم مَلَكًا أو وليًّا– لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلاً عن غيره، هذا كله مع إخلاص العمل لله، وترك الشرك، هي حقائق دين الإسلام ورسالته التي بعث الله –سبحانه وتعالى– بها الأنبياء والمرسلين حتى يعلّموها أقوامَهم، ويربوهم عليها.

وعلى هذا جاءت نصوص كثيرة في القرآن العظيم والسُّنّة المشرَّفة، قال سبحانه: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 188).

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: 16).

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: 3).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: 106).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: 66– 67).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ (الأنعام: 71).

وقال سبحانه: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (الحج: 12).

وقال جل وعلا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (يونس: 18).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ (الفرقان: 55).

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (الشعراء: 73).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا ﴾ (المائدة: 76).

وقال عز من قائل: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ ﴾ (الأعراف: 188).

وقال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ ﴾ (يونس: 49).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا ﴾ (الرعد: 16).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (طه: 89).

وقال جل وعلا: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (الفرقان: 3).

وقال سبحانه: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ (الحج: 13).

وقد قام أنبياء الله بهذه المهمة على أكمل وجهٍ، وأرسوا قواعد التوحيد التي ظلت راسخة في عقيدة أتباعهم، حتى اجتالتهم الشياطين عن هذه العقيدة مع مرور الزمن، وبدأ يتسلل في اعتقاد الناس عقائد باطلة.

وكان أول ظهور الشرك في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم عليه السلام نحو عشرة قرون، كما قال ابن عباس وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

قال ابن جرير الطبري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو داود، أخبرنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق. فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[(1)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح: 23): "... كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين

---

(1) تفسير الطبري (275/4) والأثر رواه الحاكم في المستدرك (2/ 546- 547) وقال : "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

كانوا يقتدون بهم: لو صــوّرناهم كان أشــوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصــوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسْقَوْنَ المطر، فعبدوهم". ا.هـ[(1)]

وفي الصحيح عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما– في هذه الآية، قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، لمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، أي: صوّروهم على صور أولئك الصالحين، وسمّوها بأسمائهم ففعلوا، ولم تُعبَد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلمُ، عُبِدَتْ"[(2)].

قال الحافظ ابن القيم – رحمه الله –: "قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"[(3)].

وكانت دعوة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى التوحيد الخالص، وإلى إخضاع النفوس لله تعالى، وإسلامها له، وتربية الناس على الاعتقاد الجازم بأن النفعَ والضر وقضاءَ الحاجات بيد الله وحده، ولا يملك أحد –كائنًا من كان– النفع والضر، وقضاء الحاجات إلا الله وحده.

ولكن مع طول الأمد وفي غفلة من أهل الإسلام تسلل إليهم رويدًا رويدًا انحراف عقدي، وشذوذ فكري، أخذ ينخر في جسد الأمة، فعشش في عقول كثير من أبنائها، وتربع على قلوبهم حتى فرَّخ ممارسات وثنية شركية بعيدة كل البعد عن نقاء وصفاء عقيد التوحيد، ألا وهو داء تقديس القبور والأضرحة والمزارات! ذلك الداء الذي هدم عُرَى التوحيد في نفوس الكثير من المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان سبب هذا الشرك هو الغلو في الصالحين، والاعتقاد بأنهم يملكون النفع والضر، أو أن بأيديهم قضاء حوائج الناس، وإغاثتهم في النوائب!!

فانتشر بناء الأضرحة والقباب على القبور، وما يرافقها من شركيات وبدع، وبدأ الناس أفواجًا وجماعات يحجّون إلى تلك الأضرحة والقبور، يسكبون عندها العبرات! ويطلبون منها قضاء الحاجات! وتفريج الكربات، بخشوع تام، ورضا واستسلام لها! ولسدنة هذه القبور والأضرحة!! ويصاحب ذلك مظاهر شركية أخرى، مثل أصحاب الهَدْي والذبح، والنذر والدعاء، والاستغاثة والاستعانة، والخوف والخشية من انتقام أصحاب القبور، وغيرها من مظاهر الشرك.

مما أثر على دين هؤلاء الناس، وأفسد إيمانهم وعقيدتهم، وجعلهم أشبه بالوثنيين منهم إلى المسلمين، وصرفهم عن الخضوع والاستسلام لله، إلى الخضوع والاستسلام لأصحاب هذه القبور وسدنتها.

---

(1) تفسير الطبري (639/23).

(2) أخرجه البخاري (4920).

(3) إغاثة اللهفان (184/1).

نحاول من خلال هذا البحث تقديم تقييم شرعي وواقعي لظاهرة القبورية وبناء المساجد على الأضرحة من خلال أحكام الشريعة وأقوال العلماء قديماً وحالياً، ثم الحديث عن دور الشيعة في ابتداع بناء هذه الأضرحة ونشرها، واستغلالها في نشر عقائدهم وأفكارهم والسيطرة على الجهلاء؛ لذلك حشدت قدراً كبيراً من أقوال العلماء من جميع المذاهب والحركات؛ حتى تكتمل الصورة لبناء تصور مكتمل عن هذه الظاهرة التي أفسدت عقائد المسلمين وعباداتهم وسيطرت عليهم فترة من الزمن.

عناصر البحث:

- مقدمة.

الفصل الأول: نظرة تاريخية.. بداية بناء الأضرحة والمشاهد في بلاد المسلمين ودور الشيعة في ظهورها وانتشارها .

الفصل الثاني: حكم الشرع الحنيف في بناء الأضرحة على القبور.

الفصل الثالث: حكم المساجد التي فيها القبور، وحكم الصلاة فيها.

الفصل الرابع: آثار انتشار الأضرحة في بلاد المسلمين .. واستغلال الشيعة لها

الفصل الخامس: جهود علماء الإسلام قديمًا وحديثًا في محاربة هذه البدع.

الفصل السادس: دور الصحوة الإسلامية في انحسار الاهتمام بالأضرحة وبنائها.

الفصل السابع: شبهات المجيزين لبناء المساجد والأضرحة على القبور.

الخاتمة: وفيها بعض النتائج والتوصيات والنصائح.

الفصل الأول

نظرة تاريخية..

بداية بناء الأضرحة والمشاهد في بلاد المسلمين

ودور الشيعة في ظهورها وانتشارها

الفصل الأول

نظرة تاريخية..

بداية بناء الأضرحة والمشاهد في بلاد المسلمين ودور الشيعة في ظهورها وانتشارها

سار السلف الصالح من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن تبعهم بإحسان على نهج النبي – صلى الله عليه وسلم – في تجريد التوحيد، ولم تظهر بدعة بناء القباب والأضرحة والمشاهد على القبور، ولم يظهر أي من هذه الأشياء في بلاد الإسلام، لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، في تلك القرون الفاضلة، بل كل هذه الأضرحة محدَثة بعد ذلك.

ويمثل البحث في تاريخ الصوفية، وأضرحة وتاريخ الأولياء، غاية في الصعوبة، فتجد للولي أكثر من مقام، وحتى يصل المحقق للمقام الحقيقي يذوق الأمرَّيْن، ومما يصعِّب الأمرَ في البحث في هذا الموضوع أن غالبية الأولياء المتصوفين لم يتركوا كتبًا، وعلقوا على ذلك بأن مريديهم كتبهم! ويزيد الأمر صعوبة مسألة شفاهة الروايات والأحوال والكرامات، وإسقاطات العامة، وتشابه الأسماء، وتداخل الأنساب، ومسألة الولي ومقامه تحتاج لباحث متيقظ محقق.[1]

وكان ظهور هذه البدع والمحدثات وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبّسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وظهرت الدويلات المستقلة عن جسد الخلافة، والتي آل الأمر فيها لأصحاب الاتجاهات المنحرفة؛ كالشيعة الرافضة، والقرامطة، وغيرهم.

وكان ابتداء ذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة؛ حيث ظهرت فرقة العبيدية القدّاحية في أرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر، فعندما بدأت المحدَثات تدبّ في حياة المسلمين، كان منها ذلك الأمر الجلل؛ حيث ظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك، ثم لما تمكنت الزنادقة؛ أمرُوا ببناء المشاهد وتعطيل المساجد.. ورَوَوْا في إنارة المشاهد، وتعظيمها، والدعاء عندها من الأكاذيب ما لا

([1]) موسوعة ويكيبيديا، على الرابط التالي:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B6%D8%B1%D8%AD%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A7

(2) مجموع الفتاوى: (466/27) .

يصدقه من عنده أدنى مسحة من عقل، حتى صنّف كبيرهم (ابن النعمان) كتابًا في (مناسك حج المشاهد)، وكذبوا فيه على النبي – صلى الله عليه وسلم– وأهل بيته أكاذيب بدَّلوا بها دينه، وغيَّروا ملته، وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد، فصاروا جامعين بين الشرك والكذب).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (وقريبًا من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفى دولتهم قوي بنو عبيد القداح بأرض مصر، وفى دولتهم أُظهِرَ المشهد المنسوب إلى عليّ رضي الله عنه بناحية النجف، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر عليّ هناك، وإنما دُفن عليّ رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة...). [(1)]

وهذه الدكتورة المصرية سعاد ماهر – أستاذة العمارة الإسلامية بجامعة القاهرة – في موسوعتها الضخمة (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون) تثبت أن أوائل الأضرحة التي شُيِّدت عليها المشاهد هي أضرحة الشيعة الرافضة؛ حيث قالت: إن أقدم ضريح في الإسلام أُقيمت عليه قبة، يرجع إلى القرن الثالث الهجري، وقد عُرف هذا الضريح باسم (قبة الصليبية) [(2)]، ويوجد في مدينة سامرّا بالعراق، على الضفة الغربية لنهر دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق.... [(3)]

ويقول الطبري: إن أم الخليفة العباسي استأذنت في بناء ضريح منفصل لولدها فأذن لها؛ إذ كانت العادة قبل ذلك أن يُدفن الخليفة في قصره، فأقامت قبة الصليبية في شهر ربيع الثاني سنة 284هـ، وقد ضم الضريح إلى جانب المنتصر الخليفة المعتزَ والمهتدي، وتُعتبر قبة الصليبية أول قبة في الإسلام)، وتلك الأم هي أم ولد نصرانية رومية، فهي بحكم عقيدتها وما تربت عليه من تعظيم القبور طلبت ذلك، وأُجيبت إليه عندما تمكن نساء القصر من تسيير الحياة، وغلبن على الخلفاء في حال ضعفهم وانصرافهم إلى شهواتهم وملذاتهم، إذن فالتأثير النصراني ظاهر في إنشاء هذا المشهد.

ثم قالت: " ويليه من حيث التاريخ ضريح إسماعيل الساماني المبني سنة 296هـ في مدينة بخارى، ثم ضريح الإمام علي– رضي الله عنه – في النجف الذي بناه الحمدانيون سنة 317 هـ، ثم ضريح محمد بن موسى في مدينة قم بإيران سنة 366هـ، ثم ضريح السبع بنات في الفسطاط سنة 400هـ، وقد احتفظت لنا جبّانة أسوان بمجموعة كبيرة من الأضرحة ذات القباب التي يرجع تاريخ معظمها إلى العصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري. [(4)]

ولكن الدكتورة سعاد تذكر لنا الأضرحة (ذات القباب) فقط، ولا ندري هل كانت قبل قبة الصليبية أضرحة أخرى ليست ذات قباب أم لا؟

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (27، ص466).

(2) نسبة إلى موقع الضريح عند تقاطع طريقين.

(3) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج1 ، ص46 .

(4) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج1 ، ص46 .

وهذا الترتيب قد ذكره غير واحد من المستشرقين والباحثين في الآثار والعمارة الإسلامية .

وفي اليمن ابتدأت المشاهد المعظمة، ودفن الأموات في المساجد في عهد الدولة الصليحية الإسماعيلية الباطنية، التي هي امتداد لدولة الفاطميين في مصر، فمن أوائل المشاهد هنا مشهد الرأسين في زبيد، ومشهد الصليحي علي بن محمد في صنعاء، ومشهد الملكة السيدة بنت أحمد في جبلة.

ثم امتلأت كثيرٌ من بلادِ المسلمين بالمشاهدِ التي تنسبُ إلى الأنبياءِ والصحابةِ زورًا وكذبًا، وقد كذَّب نسبةَ كثيرٍ منها شيخُ الإسلام ابنُ تيميةِ فقال: "فمن هذه الأمكنةِ ما يظنُ أنه قبرُ نبي أو رجلٍ صالحٍ، وليس كذلك، أو يظن أنه مقام له، وليس كذلك... فمن ذلك عدةُ أمكنةٍ بدمشق، مثلُ مشهدٍ لأبيّ بنِ كعبٍ خارج البابِ الشرقي، ولا خلاف بين أهلِ العلمِ أن أُبي بنَ كعبٍ إنما توفي بالمدينة، لم يمت بدمشق. واللهُ أعلمُ قبرُ من هو؛ لكنه ليس بقبرِ أُبي بنِ كعب صاحبِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بلا شك. وكذلك مكانٌ بالحائطِ القبلي بجامعِ دمشق يقال: إن فيه قبرَ هود عليه السلام، وما علمتُ أحدًا من أهلِ العلمِ ذكر أن هودًا النبيّ مات بدمشق، بل قد قيل: إنه مات باليمن، وقيل بمكة، فإن مبعثه كان باليمن، ومهاجره بعد هلاكِ قومهِ كان إلى مكة، فأما الشام فلا دارهُ ولا مهاجرهُ، فموته بها والحال هذه مع أن أهلَ العلمِ لم يذكروهُ بل ذكروا خلافه في غاية البعدِ.

وكذلك مشهدٌ خارج الباب الغربي من دمشق يقالُ: إنه قبرُ أويس القرني، وما علمتُ أن أحدًا ذكر أن أويسًا مات بدمشق، ولا هو متوجهٌ أيضًا ؛ فإن أويسًا قدم من اليمن إلى أرضِ العراقِ. وقد قيل: إنه قُتل بصفين، وقيل: إنه مات بنواحي أرضِ فارس، وقيل غيرُ ذلك. فأما الشامُ فما ذُكر أنه قدم إليها، فضلاً عن المماتِ بها.

ومن ذلك أيضًا قبرٌ يقالُ له: قبرُ أمِ سلمةَ زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف أنها رضي الله عنها ماتت بالمدينة لا بالشام، ولم تقدم الشام أيضًا. فإن أمَ سلمةَ زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن تسافر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل لعلها أم سلمة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، فإن أهلَ الشامِ كشهرِ بنِ حوشب ونحوه، كانوا إذا حدثوا عنها قالوا: أمُ سلمةَ. وهي بنتِ عمِ معاذ بنِ جبل، وهي من أعيانِ الصحابياتِ، ومن ذواتِ الفقهِ والدينِ منهن. أو لعلها أمُ سلمةَ امرأة يزيد بن معاوية، وهو بعيدٌ، فإن هذه ليست مشهورةً بعلمٍ ولا دينٍ. وما أكثر الغلط في هذه الأشياءِ وأمثالها من جهةِ الأسماءِ المشتركةِ أو المغيرةَ.

ومن ذلك: مشهدٌ بقاهرةِ مصر يقال: إن فيه رأسَ الحسينِ رضي الله عنه، وأصلهُ أنهُ كان بعسقلان مشهد يقال: إن فيه رأسَ الحسين، فحُمل فيما قيل الرأسُ من هناك إلى مصر، وهو باطلٌ باتفاقِ أهلِ العلمِ ؛ لم يقل أحدٌ من أهلِ العلمِ: إن رأسَ الحسين كان بعسقلان، بل فيه أقوالٌ، ليس هذا منها، فإنه حُمل رأسهُ إلى قدام عبيد الله بنِ زياد بالكوفة، حتى رُوي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يغيظه. وبعضُ الناسِ

يذكرُ أن الروايةَ كانت أمام يزيد بنِ معاويةَ بالشامِ، ولا يثبتُ ذلك، فإن الصحابةَ المسمين في الحديث إنما كانوا بالعراق. وكذلك مقابرٌ كثيرةٌ لأسماءِ رجال معروفين قد عُلم أنها ليست بمقابرهم".ا.هـ[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذه المشاهد المشهورة، فمنها ما هو كذب قطعًا، مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف إلى أُبي بن كعب، والمشهد الذي بظاهرها المضاف إلى أُويس القرني، والمشهد الذي بمصر المضاف إلى الحسين رضي الله عنه، إلى غير ذلك من المشاهد التي يطول ذكرها بالشام والعراق ومصر، وسائر الأمصار، حتى قال طائفة من العلماء منهم: عبد العزيز الكناني: "كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء منها إلا قبر النبي"، وقد أثبت غيره أيضًا قبر الخليل عليه السلام، وأما مشهد عليّ فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت عليّ في إمارة بني بويه، وذكروا أن أصل ذلك حكاية بلغتهم عن الرشيد أنه أتى إلى ذلك المكان، وجعل يعتذر إلى من فيه مما جرى بينه وبين ذرية عليّ، وبمثل هذه الحكاية لا يقوم شيء، فالرشيد أيضًا لا عِلْم له بذلك، ولعل هذه الحكاية، إن صحت عنه، فقد قيل له ذلك كما قيل لغيره، وجمهور أهل المعرفة يقولون: إن عليًا إنما دُفن في قصر الإمارة بالكوفة أو قريبًا منه، وهكذا هو السنة، فإن حمل ميت من الكوفة إلى مكان بعيد ليس فيه فضيلة أمر غير مشروع، فلا يظن بآل عليّ رضي الله عنه أنهم فعلوا به ذلك، ولا يُظن أيضًا أن ذلك خفي على أهل بيته وللمسلمين ثلاثمائة سنة حتى أظهره قوم من الأعاجم الجهال ذوى الأهواء"[2].

وعلى ذلك يتضح أن الذين بذروا بذورَ شرك القبور كانوا رافضة، فبدايات تعظيم القبور واتخاذها مشاهد وأضرحة ارتبطت تاريخيًّا بأسماء: القرامطة، وبني بويه، والفاطميين (العبيديين)، والسامانيين، والحمدانيين... وجميعهم روافض، وإن تفاوتوا في درجة الغلو.

كما أن مكانة القبور والأضرحة (المقدسة)! غير قابلة للمساومة في دين الرافضة؛ فطائفة البهرة الإسماعيلية (من غلاة الرافضة) ذات نشاط واسع في عمارة وتجديد المساجد ذات الأضرحة؛ بحجة الاهتمام بالعمارة الإسلامية، وبخاصة في مصر... والقبر الأول الذي يحظى بحج الجماهير في دمشق ـ وهو القبر المنسوب إلى السيدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ـ ما زال مكتوبًا عليه إلى الآن: قام بعمارة البناية الضخمة عليه، والمسجد حولها، والقبة المزخرفة: محمد بن حسين نظام وأولاده من طائفة الشيعة.

وأيضًا فإن أصحاب الأضرحة الكبرى ممن يُنسبون إلى التصوف، هم في الحقيقة من غلاة الشيعة الباطنية؛ حيث (من العراق انطلق أحد أتباع الرفاعي إلى مصر، وهو (أبو الفتح الواسطي) (جد إبراهيم الدسوقي) لنشر دعوتهم الباطنية بها، وقد كان ذلك في العهد الأيوبي، وبعد موت الواسطي جاء

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (651/2).

(2) مجموع الفتاوى: (447/27).

(البدوي) ليخلفه في دعوته تلك، وقد توزع هؤلاء الدعاة في مصـــر، فكان (الدســـوقي) بدســـوق و(أبو الحســن الشــاذلي) بالإســكندرية، و(أبو الفتح الواســطي) ما بين القاهرة وطنطا والإســكندرية، ولما مات الواسطي حل محله البدوي بطنطا، وجميعهم من فلول العبيديين الذين طردهم صـلاح الدين الأيوبي من مصر، ثم حاولوا العودة تحت ستار التصوف والزهد... كما أن كلاّ من ابن بشيش وابن عربي قد تتلمذا على يد (أبي مدين) بالمغرب).[(1)]

وفي أواخر عهدهم أنشأ الفاطميون المشهد الحسيني في مصر عام 550هـ عندما شعروا بأن سلطتهم قد ضعفت ليجذبوا إليهم المصريين.

ثم بدأت تنتشر بعد ذلك المقامات، والمشاهد، والترب، والقباب، والروضات، والمراقد، وهذه الأنواع من الأبنية قد ابتدأت في العصر العباسي الأول قبل بناء سامراء. وإن أقدم قبة تعود لضريح عرفناه لحد الآن هي القبة الصليبية في سامراء كما أسلفنا. وهي أقدم المشاهد الشاخصة إلى الآن.

وقال ابن خلكان عند حديثه عن وفاة معز الدولة أحمد بن بويه المتوفى سنة356 هـ/967م: "إنه دفن في داره، ثم نُقل إلى مشهدٍ بُنِيَ له في مقابر قريش. وقبة زمرد خاتون يقع هذا الضريح الذي يعرف بضريح السيدة زبيدة في بغداد. ويرجّح أن هذا الضريح يعود إلى القرن السادس الهجري، وأن الناصر لدين الله هو الذي شيَّده، وأنه من أبنية السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله، وأم ولده الناصر لدين الله المتوفى سنة (599هـ/1202م). وفي سنة (598هـ/1201م) دُفنت في تربة زمرد خاتون ضرّتها بنفشه، ثم دفن به أبو الحسن علي بن الناصر لدين الله سنة612 هـ/1215م، ودُفنت به أيضًا عائشة زوجة الوالي حسن باشا والي بغداد سنة1131 هـ/1711م". وكذلك ضريح الحسن البصري يرجع تاريخ بنائه إلى ما بين (630-607هـ/1232-1210م).[2]

ومرقد ذي الكفل اختلفت الآراء حول تحديد تاريخ المرقد، منهم من يقول: إن تاريخه يعود إلى سنة703 هـ/1303م، وهي السنة التي تولى فيها الجايتو الحكم.[3]

ثم ظهر بعد ذلك ما يسمى بأضرحة الرؤيا أو المقامات المنامية، فمصر كمثال تتعدد فيها هذه المقامات، فقد تجد ضريحًا مُقَامًا لوليّ لم تطأ قدمه أرضها، وبعد وفاته بمدة زمنية يُقام له ضريح، وتعلو القباب وتحتها صناديق النذور، وتُقام المساجد على الأضرحة، وتلتف حوله المقابر، وتُنسَج الكرامات، ويبزغ موضوع المولد كمثال، وتُوقَفُ عليه الأوقاف.

---

(1) بدع الاعتقاد، لمحمد حامد الناصر، ص: 247، نقلاً عن (السيد البدوي دراسة نقدية) للدكتور عبد الله صابر.

(2) البداية والنهاية لابن كثير، (12/ 109).

(3) انظر أضـواء على التراث الحضـاري المعماري الإسـلامي في العراق/ منشـورات المنظمة الإسـلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – 1429هـ/2008م .
http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Iraq/p7.php.

تقول الدكتورة سعاد ماهر: "ظهر في العصور الوسطى، –وخاصة في أوقات المحن والحروب التي لا تجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار– أن يتلمس الناس أضرحة آل البيت والأولياء للزيارة والبركة والدعاء؛ ليكشف الله عنهم السوء، ويرفع البلاء، ومن ثَم ظهر ما يُعرف بأضرحة الرؤيا، فإذا رأى ولي من أولياء الله الصالحين في منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجدًا أو ضريحًا لأحد من أهل البيت أو الولي المسمى في الرؤيا، فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه[1].

وعلى ذلك لا يلزم أن يكون الولي المقام الضريح باسمه ثبت وجوده في ذلك المكان، بل لا يلزم أن يكون وطئت قدمه أرض تلك البلاد أصلاً، ومن هنا ظهرت أضرحة مزعومة ومكذوبة في طول البلاد وعرضها، وتعددت الأضرحة للولي الواحد في أكثر من قُطْر، ولتسويغ ذلك الخطل نسجوا خرافة واضحة الزور والبهتان، فقالوا: إن الأرض لأجسام الأولياء كالماء للسمك، فيظهرون بأماكن متعددة، ولذلك يُزار كل مكان قيل عنه: إنه فيه نبي كريم أو ولي عظيم.

ومثال نموذجي ضريح رابعة العدوية بمصر؛ حيث تُوفيت رابعة العدوية على الراجح سنة 180 هجرية أو سنة 185 هجرية، ودُفنت في خلوتها بالبصرة، أما عن قبرها في مصر فلعله من أضرحة الرؤيا، وفى ذلك يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: "وإنَّا لا نعرف أن رابعة العدوية زارت مصر وإن ابتدعت الأساطير قبرًا بقرافة الإمام يُزَار ويُتبَرك به، ومثله بمصر أضرحة رؤيا لا حصر لها.

ولغفلة جموع كثيرة من الأمة عن حقيقة دينها، فقد أنبتت هذه الجذور شبكة واسعة من القبور والأضرحة (المقدسة) عمت معظم أنحاء العالم الإسلامي، بل إن بعض الباحثين يقدر عدد الأضرحة في القُطر الذي يعيش فيه بما لا يقل عن عدد المدن والقرى في هذا القطر؛ حيث يقول: (وأضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر ونحو ستة آلاف قرية: هي مراكز لإقامة الموالد للمريدين والمحبين، ويمكننا القول: إنه من الصعب أن نجد يومًا على مدار السنة ليس فيه احتفال بمولد ولي في مكان ما بمصر).[2]

أما في الشام فقد أحصى عبد الرحمن بك سامي سنة (1890م) في دمشق وحدها 194 ضريحًا ومزارًا، بينما عدَّ نعمان قسطالي المشهور منها 44 ضريحًا، وذكر أنه منسوب للصحابة أكثر من سبعة وعشرين قبرًا، لكل واحد منها قبة ويُزَار ويُتَبَرَّك به.

وفي الآستانة عاصمة السلطنة العثمانية كان يوجد 481 جامعًا يكاد لا يخلو جامع فيها من ضريح، أشهرها الجامع الذي بُنِيَ على القبر المنسوب إلى أبي أيوب الأنصاري في الآستانة (القسطنطينية).

وفي الهند يوجد أكثر من مئة وخمسين ضريحًا مشهورًا يؤمها الآلاف من الناس.

---

(1) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (102/1) .

(2) عرفة عبده علي ، موالد مصر المحروسة ، ص7.

وفي بغداد كان يوجد أكثر من مائة وخمسين جامعًا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وقلّ أن يخلو جامع منها من ضريح، وفي الموصل يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحًا مشهورًا، كلها داخل جوامع، وهذا كله بخلاف الأضرحة الموجودة في المساجد والأضرحة المفردة [1].

وانتقلت هذه البدعة من الرافضة إلى فِرَق الصوفية في العالم الإسلامي، فلم يسلم من هذا المنكر العظيم والشر المستطير إلا القليل من بلاد المسلمين، حتى مكة والمدينة أفضل بلاد الله قد كانت فيها القباب على بعض القبور في البقيع والمعلاة.

تحت القبة من؟!

كشف المهندس إبراهيم أبو النجا، الخبير في ترميم الآثار الإسلامية أن أكثر من 50% من الأضرحة المنتشرة في محافظات مصر "زائفة"، وليست لرفات أولياء كما يُزعم، مؤكدًا أن الأمر لا يعدو عن كونه مجرد باب يرتزق منه سدنة القبور .

وأشار أبو النجا إلى أنه ينطبق على عملية بناء القباب على القبور المثل القائل: "فاكر تحت القبة شيخ"!! والذي يعود أصله عندما اتفق رجلان على إقامة ضريح فوق جثة حمار، وفوق الضريح قبة ونصباه وليًّا يزوره المريدون، "فكانت مغنمًا للشريكين الذين اختلفا فأراد أحدهما أن ينبه الآخر فقال: "إحنا دفنينوا سوا ".

وأكد أن هناك عددًا من الأضرحة هي لأناس عاديين لا يملكون كرامات، مدللاً على ذلك بالضريح الذي يوجد على يسار بوابة الفتوح في شارع المعز لدين الله الفاطمي، والذي يقال: إن بأسفله قبر "محب القاهرة حسن الذوق"، وهو مغربي الأصل هاجر من بلاده إلى القاهرة الفاطمية، ولما تقدمت به السن أراد أبناؤه إعادته لبلاده، ولكنه رفض فأجبروه، فمات على مدخل القاهرة، ودُفن بها فكان المثل الشهير: "الذوق ما خرجش من مصر"، إلا أن أهل الحي جعلوا منه شيخًا ووليًّا من أولياء الله، فصنعوا فتحة في القبة لإلقاء النقود، ومن ثَم الحصول على البركة المزعومة منه.

وقد انتهت هيئة الآثار من إعداد مشروع سيتم إحالته لمجلس الوزراء، بهدف إزالة الأضرحة "الزائفة"، والمنتشرة في مختلف المحافظات المصرية.

وقال أبو النجا: "من العجائب أن يتم تنصيب طفل أو مجذوب أو مصاب بالتخلف العقلي وليًّا؛ لأنه في الاعتقاد شخص "مبروك"، ودعوته مجابة، ومن أهم القرى المصرية التي اشتهرت بهذه الظاهرة قرية سيف الدين مركز الزرقا بمحافظة دمياط، وفيها قبة الشيخ عصام، وهو طفل وُلد مجذوبًا لأب من مواليد 1901م يعمل مفتشًا بإحدى المعاهد الأزهرية.

([1]) فسطاط الخرافة.. الجذور والواقع، خالد محمد حامد، مجلة البيان، العدد 131.

كما هناك الشيخ ياسر من مواليد أبريل 1971م، والذي يعاني من تخلف عقلي لأب نجار وأم خياطة، والشيخة سناء تبلغ من العمر 30 عامًا وُلدت بالتخلف العقلي، وهناك ضريح باسم "سيدي عباطة" مقام بمقابر سيدي جلال نسبة إلى جلال الدين السيوطي بحي السيدة عائشة، ويُقام له مولد سنوي، رغم عدم معرفة أي من الباحثين والمؤرخين به .

نقل أبو النجا عن العالم الفرنسي فرانسوا جومار في موسوعة وصف مصر، قال: "إن الدراويش فئة من المجانين الذين يُرسلون شعورهم، ويؤمن بهم العامة في تبجيل أعمى وخارق للمألوف، وأحد هؤلاء ممن رأيتهم بالقاهرة، أُشيع أنه يُوحى إليه من محمد، وكانت لديه عادة التجول في شارع المدينة عاريًا تمامًا، وكانت النساء حتى ذوات الوضع المتميز فيهن يقفن ويقتربن منه لتقبيل يده، بدلاً من أن يتراجعن إزاء هيئته .

وقد ولدت الخزعبلات على أيدي الدراويش الذين خرجوا من خانقاوات المتصوفة، وهي كلمة فارسية، ومعناها "بيت"، ثم أطلقها العامة على مستشفى المجانين، وحُرّفت إلى كلمة "خانكة"، وكانت عند بداية إنشائها على يد صلاح الدين الأيوبي بيوتًا للعلم، إلا أن سلاطين المماليك أعطوها للدراويش والصوفية، وكان كل صوفي يصرف له في اليوم رطل من لحم الضأن المطبوخ، وأربعة أرطال من الخبز، علاوة على أربعين درهمًا ورطل من الحلوى ورطلان من زيت الزيتون، ومثلها من الصابون. وهؤلاء يقول عنهم المقريزي: "لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى".

ونتيجة لذلك، تحولت الخانقاوات إلى أوكار تنابلة السلطان، فادعوا الزهد في حين امتنعوا عن أداء شعائر الصلاة، مدعين أنهم يقومون بها في الأماكن المقدسة، وكان للسلاطين دور كبير في مساندة هؤلاء "المجاذيب"، فقد تحول التصوف إلى وظيفة لخدمة السلطان.[1]

([1]) **انظر: مفكرة الإسلام**، بتاريخ الأحد 3 من ربيع الثاني1430هـ 29-3-2009م، على الرابط التالي: http://www.islammemo.cc/akhbar/arab/2009/03/29/79653.html.

الفصل الثاني

حكم الشرع في بناء الأضرحة على القبور

الفصل الثاني

حكم الشرع في بناء الأضرحة على القبور

لقد سدّ النبي –صلى الله عليه وسلم– كل الطرق المفضية إلى الشرك، وحذَّر منها غاية التحذير، ومن ذلك: مسألة القبور، وبناء الأضرحة والقباب عليها، قد وضع تلك الضوابط للوقاية من عبادتها، والغلو في أصحابها، وقد استفاضت السنة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الصحاح والسنن والمسانيد في النهي عن رفع القبور والبناء عليها، وتجصيصها، واتخاذها مساجد، وتسوية ما رُفع منها.

ومن ذلك :

1– أنه قد حذّر صلى الله عليه وسلم من الغلو في الأولياء والصالحين؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى عبادتهم، فقال: (إياكم والغُلُوَّ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغُلُوُّ) [(1)]، وقال: (لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسوله).[(2)]

2– وحذّر صلى الله عليه وسلم من البناء على القبور، كما روى أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته) [(3)]. والمقصود بالتسوية هنا: أي تسويته بسائر القبور، وتكون في حدود الشبر ارتفاعًا عن سطح الأرض.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: " فِيهِ أَنَّ السُّنَّة أَنَّ الْقَبْر لَا يُرْفَع عَلَى الْأَرْض رَفْعًا كَثِيرًا، وَلَا يُسَنَّم، بَلْ يُرْفَع نَحْو شِبْر وَيُسَطَّح، وَهَذَا مَذْهَب الشَّافِعِيّ وَمَنْ وَافَقَهُ، وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاض عَنْ أَكْثَر الْعُلَمَاء أَنَّ الْأَفْضَل عِنْدهمْ تَسْنِيمهَا وَهُوَ مَذْهَب مَالِك" ا.هـ[(4)].

قال الإمام الشوكاني في شرحه لهذا الحديث: (... ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخُولاً أوليًّا: القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وهو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعله، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) . فسُنّته صلى الله عليه وسلم تسوية هذه القبور المشرفة كلها. [(5)]

---

(1) أخرجه النسائي والبيهقي وأحمد (1/ 215 و 247) وصححه الألباني.

(2) أخرجه البخاري (3261).

(3) أخرجه مسلم (969).

(4) شرح النووي على صحيح مسلم (36/7).

(5) نيل الأوطار للشوكاني (4/ 131).

3- ونهى عن تجصيصها والبناء عليها، عن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله – صلى الله عليه –وسلم أن يجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبْنَى عليه بناء) [1].

والحديث دليل على تحريم الثلاثة المذكورة؛ لأنه الأصل في النهي، وذهب الجمهور إلى أن النهي في البناء والتجصيص للتنزيه، والقعود للتحريم، وهو جمع بين الحقيقة والمجاز، ولا يُعرف ما الصارف عن حمل الجميع على الحقيقة التي هي أصل النهي، وقد وردت الأحاديث في النهي عن البناء على القبور، والكتب عليها، والتسريج، وأن يُزَاد فيها، وأن توطأ، فأخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن مسعود مرفوعًا: (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[2]. وفي لفظ للنسائي: (نهى أن يُبنى على القبر أو يُزاد عليه أو يُجصص أو يُكتب عليه)[3].

4- وحذَّر صلى الله عليه وسلم من الصلاة عند القبور، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (لما نُزِل برسول الله صلى الله عليه وسلم –تعني الموتَ– طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال – وهو كذلك –: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا، ولو لا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجدًا. [4]

* وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك) [5].

واتخاذُها مساجد معناهُ: الصلاة عندها وإن لم يبنَ مسجدٌ عليها؛ فكلُّ موضع قُصد للصلاة فيه فقد اتُّخذَ مسجدًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: (جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) [6]، فإذا بُنِيَ عليها مسجد فالأمر أشد.

وقد خالف أكثر الناس هذه النواهي، وارتكبوا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، فوقعوا بسبب ذلك في الشرك الأكبر؛ فبنوا على القبور مساجد وأضرحة ومقامات، وجعلوها مزارات تُمارس عندها كل أنواع الشرك الأكبر، من الذبح لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وصرف النذور لهم، وغير ذلك .

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله–: (ومن جمع بين سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدُهما مضادًا للآخر مناقضًا له؛ بحيث لا يجتمعان أبدًا؛ فنهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن

---

(1) أخرجه مسلم (970).
(2) أخرجه أحمد (3118) ، وأبو داود (3236) ، والترمذي (320)، وضعفه الألباني.
(3) أخرجه النسائي (2043) وضعفه الألباني.
(4) أخرجه البخاري (435) ومسلم (531).
(5) أخرجه مسلم (532).
(6) أخرجه البخاري (328) ، ومسلم (521).

الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد؛ مضاهاةً لبيوت الله، ونهى عن إيقاد السُّرُج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن تُتَّخذَ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر. وأمر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بنُ أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثُكَ على ما بعثني على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته) [1]. وفي صحيحه أيضًا عن ثُمامَة بن شُفيّ قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسُوِّي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها) [2]... فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه؟! ولا ريبَ أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره... فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤال حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك؛ فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت، ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له) [3]ا.هـ [4].

5- وما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - العبد الصالح - بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)) [5].

* وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) [6]. وفي لفظ آخر قال: ((قاتل الله اليهود والنصارى)). [7]

* وروي مسلم عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً،

---

(1) أخرجه مسلم (969).

(2) أخرجه مسلم (968).

(3) (إغاثة اللهفان (1/214- 217).

(4) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، الشيخ صالح الفوزان، ص105.

(5) أخرجه البخاري (427) ، ومسلم (528).

(6) أخرجه مسلم (530).

(7) أخرجه مسلم (530).

ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)[1].

* وروى مسلم عن ابن مسعود –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد) [2] .

* واستشار رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن يبني فسطاطًا على ميت له، فقال له: "لا تفعل، إنما يظله عمله"[3].

6– وعن القاسم بن محمد قال: "دخلت على عائشة فقلت: يا أماه، اكشفي لي عن قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور، لا لاطئة ولا مشرفة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء"[4].

* وعن عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه أمر بتسوية القبور، وأن تُرفع من الأرض شيئًا[5]، وورد هذا المعنى عن عدد من السلف؛ كالحسن البصري، وأبي مجلز، وغيرهما؛ انظرها في مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة والمحلى لابن حزم وغيرها.

7– وروى حرب الكرماني عن زيد بن ثابت أن ابنًا له مات فاشترى غلام له جَصًّا وآجُرًا ليبني على القبر، فقال له زيد: حفرتَ وكفرتَ، أتريد أن تبني على قبر ابني مسجدًا؟ ونهاه عن ذلك.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أصلي وهناك قبر، فقال عمر بن الخطاب: القبر القبر! فظننته يقول: القمر، وإذا هو يقول: القبر،[6] أو كما قال.

فتضمنت هذه الأحاديث والآثار تحريم هذه الأعمال ولعن فاعليها، وأنهم شرار الخلق عند الله، وفي هذه الأحاديث دلالة على شدة خوف النبي –صلى الله عليه وسلم– على أمته من أن ترتكب ما ارتكبته الأمم قبلها من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، فقد نهى عن ذلك أولاً، ثم نهى عنه قبل أن يموت بخمس ليال، ثم لعن وهو في السياق من فعل ذلك، فبناء المساجد والقباب على قبور الأنبياء والصالحين من الصحابة والتابعين وأهل البيت المكرمين لقرابتهم من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم،

---

(1) أخرجه مسلم (532).
(2) أخرجه البزار في مسنده (1724).
(3) فتح الباري لابن حجر (432/4).
(4) أخرجه أبو داود (3222) وضعفه الألباني.
(5) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (6489).
(6) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به (437/1).

بناؤها من المحدثات في الدين، وقد حدثت في هذه الأمة بعد القرون المفضلة في القرن الرابع في دولة بين بويه الرافضية[1].

وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقرابين للمزارات شرك أكبر؛ سببه مخالفة هَدْي النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور؛ من عدم البناء عليها وإقامة المساجد عليها؛ لأنها لما بُنيت عليها القباب، وأُقيمت حولها المساجد والمزارات، ظن الجهال أن المدفونين فيها ينفعون أو يضرون، وأنهم يُغيثون من استغاث بهم، ويقضون حوائج من التجأ إليهم، فقدموا لهم النذور والقرابين؛ حتى صارت أوثانًا تُعبدُ من دون الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد) [2]، وما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه سيحصل شيء من ذلك، وقد حصل عند القبور في كثير من بلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، وإن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات، من بعض الجهال أو الخرافيين، لكنهم لا يقدرون على الوصول إلى قبره؛ لأن قبره في بيته وليس في المسجد، وهو محوط بالجدران[3].

---

(1) فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، على الرابط التالي:
.http://www.dd-sunnah.net/records/view/action/view/id/1475

(2) أخرجه أحمد (7352)، وأبو يَعْلَى (6681) وصححه الألباني.

(3) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع .../الشيخ صالح الفوزان/ 105.

بيان إجماع علماء المسلمين على تحريم البناء على القبور

ومن أعظم الأدلة على تحريم البناء على القبور؛ إجماع أئمة الإسلام على ذلك، ومن المعلوم أن إجماع المسلمين حجة شرعية، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة. (1)

فقد نصوا على وجوب أن يكون القبر مكشوفًا إلى السماء غير مغطى بغرفة ولا قبة ولا مسجد ولا غير ذلك، وممن حكى إجماعهم الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني –رحمه الله– حيث قال: (اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لفاعلها كما يأتي بيانه، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين) (2).

ومن أقوال أهل العلم:

* **قال ابن القيم – رحمه الله –:** " ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تعلية القبور ولا بناؤها بآجر ولا بحجر ولبن ولا تشييدها، ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة مخالفة لهديه – صلى الله عليه وسلم–. وقد بعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ألا يدع تمثالاً إلا طمسه ولا قبرًا مشرفا إلا سوّاه.

فسنته صلى الله عليه وسلم تسوية هذه القبور المشرفة كلها، ونهى أن يُجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه. وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم وقبر صاحبيه فقبره صلى الله عليه وسلم مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واشتد نهيه في ذلك حتى لعن فاعله، ونهى عن الصلاة إلى القبور، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا، ولعن زورات القبور.

وكان هديه أن لا تُهان القبور وتوطأ، وألا يُجلس عليها، ويُتكأ عليها، ولا تعظم بحيث تُتخذ مساجد، فيصلى عندها وإليها، وتُتخذ أعيادًا وأوثانًا....

فأبى المشركون إلا دعاء الميت، والإشراك به، والإقسام على الله به، وسؤاله الحوائج والاستعانة به، والتوجه إليه بعكس هديه صلى الله عليه وسلم، فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميت، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت، وهم ثلاثة أقسام؛ إما أن يدعوا الميت، أو يدعوا به أو عنده، ويرون

---

(1) أخرجه الترمذي (2167) وصححه الألباني برقم 1848 في صحيح الجامع.

(2) شرح الصدور، ص 20.

الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد، ومن تأمل هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين، وبالله التوفيق [1] ا.هـ.

* **وقد قال ابن القيم أيضًا في إغاثة اللهفان:** "يجب هدم القباب التي بُنيت على القبور؛ لأنها أُسست على معصية الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–، وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما القرافة، وهي مقبرة بمصر لها أبنية وسوق قائمة، منهم ابن الجُميزي (ت649هـ) والظهير التزمنتي (ت682هـ) وغيرهما، وقال القاضي ابن كج (ت405 هـ) ولا يجوز أن تُجصّص القبور ولا أن يُبنى عليها قباب ولا غير قباب، والوصية بها باطلة[2].

وقال الفقيه الشافعي الأذرعي (ت781هـ): وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه.

وقال ابن رشد (ت520هـ): كره مالك البناء على القبر، وجعل البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة.

وقد قال الإمام الشافعي في الأم: "رأيت الأئمة بمكة، يأمرون بهدم ما يُبنَى على القبور ويؤيد الهدم، قوله: ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته (وحديث جابر الذي بمسلم) نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن البناء على القبو"ر.ا.هـ ..

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلقًا على قول الشافعي السابق: ولأنها أُسست على معصية الرسول، لنهيه عن البناء عليها، وأمره بتسويتها؛ فبناء أُسس على معصيته، ومخالفته صلى الله عليه وسلم بناء غير محترم، وأولى بالهدم من بناء الغاصب قطعًا، وأولى من هدم مسجد الضرار، المأمور بهدمه شرعًا، إذ المفسدة أعظم حماية للتوحيد ..ا.هـ[3].

* **وقد أفتى ابن حجر –رحمه الله–** كما ذكره في كتاب الزواجر: وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور؛ إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، وكانت هذه الفتوى في عهد الملك الظاهر إذ عزم على هدم كل ما في القرافة من البناء كيف كان، فاتفق علماء عصره أنه يجب على ولي الأمر أن يهدم ذلك كله، ويجب عليه أن يكلف أصحابها رمي ترابها في الكيمان. [4]

* **وقال الإمام الصنعاني** في كتابه تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد: "فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، غالبًا، بل

---

(1) زاد المعاد 524/1 .

(2) إغاثة اللهفان (210/1).

(3) الدرر السنية ج2 ص202.

(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر (287/1).

كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه، من فاضل أو عالم أو صوفي، أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات، من دون توسل به ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبرًا قد شُيّد عليه البناء، وسُرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر، وأرخيت عليه الستور، وألقيت على الورود والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضرر، وبفلان النفع، حتى يغرسوا جِبلّته كل باطل، فلذلك ثبت الأحاديث النبوية بالمنع من ذلك ".ا.هـ[1]

* و**قال الإمام الصنعاني** في كتاب « البدر التمام » شرح « بلوغ المرام» : "وهذه الأخبار المعبر فيها باللعن والتشبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا قبري وثنًا يُعبد من دون الله"، تفيد التحريم للعمارة، والتزيين والتجصيص، ووضع الصندوق المزخرف، ووضع الستائر على القبر، وعلى سمائه، والتمسح بجدار القبر، وأن ذلك قد يُفضي مع بُعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان؛ فكان في المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام، من جلب المصالح ودفع المفاسد، سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تُفضي إليه".ا.هـ[2]

* **وقال الشـــوكاني – رحمه الله –**: " ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث [يعني حديث علي السابق] دخولاً أوليًّا: القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعل ذلك... وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإســـلام؛ منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصـــنام، وعظُم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسـأله العباد من ربهم، وشـدوا إليها الرحال، وتمسـحوا بها واسـتغاثوا؛ وبالجملة إنهم لم يَدَعوا شـيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب لله ويغار حميةً للدين الحنيف، لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا ؟!!

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشـــك معه أن كثيرًا من هؤلاء المقبورين، أو أكثرهم، إذا توجهت عليه يمين من جهة خصـــمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشـــيخك ومعتقدك، الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق ؟!!

---

(1) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد (ص 375).

(2) سبل السلام (111/2).

وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة؛ فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أيّ رُزْء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا. ا.هـ [1].

* وقال صاحب « البدر التمام » شارح « بلوغ المرام » حسين بن محمد بن سعيد المغربي قوله: " وظاهر هذه الأخبار المقترنة باللعن والتشبيه بالوثن بقوله: (لا تجعلوا قبري وثنًا يعبد من دون الله)؛ تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتجصيص، ووضع الصندوق المزخرف، ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه، والتمسح بجدار القبر، وأن ذلك قد يفضي مع بُعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان في المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكم المعتبر في تشريع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد، سواء كانت بنفسها، أو باعتبار ما تُفضي إليه.

* **قال الشيخ ابن باز– رحمه الله –:** " وقد دلت السنة الصحيحة عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام– على أنه لا يجوز البناء على القبور ولا اتخاذ المساجد عليها، ولا اتخاذ القباب ولا أي بناء، كل ذلك محرم بنص الرسول –عليه الصلاة والسلام–،... – وذكر الأحاديث –... ثم قال: فأخبر عليه الصلاة والسلام أن الذين يتخذون المساجد على القبور هم شرار الخلق، وهكذا من يتخذ عليها الصور؛ لأنها دعاية إلى الشرك ووسيلة له؛ لأن العامة إذا رأوا هذا عظموا المدفونين واستغاثوا بهم، ودعوهم من دون الله، وطلبوهم المدد والعون، وهذا هو الشرك الأكبر وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه –... دلالة على تحريم البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها، وعلى ذم من فعل ذلك من ثلاث جهات:

إحداها: ذمه صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك.

والثانية: قوله: ((فلا تتخذوا القبور مساجد)).

والثالثة: قوله: ((فإني أنهاكم عن ذلك)) [2].

فحذر من البناء على القبور بهذه الجهات الثلاث، فوجب على أمته أن يحذروا ما حذرهم منه، وأن يبتعدوا عما ذم الله به من قبلهم من اليهود والنصارى، ومن تشبه بهم من اتخاذ المساجد على القبور والبناء عليها، وهذه الأحاديث التي ذكرنا صريحة في ذلك.

([1]) نيل الأوطار (4/83-84) .

(2) أخرجه مسلم (532).

والحكمة في ذلك كما قال أهل العلم: الذريعة الموصلة إلى الشرك الأكبر. فعبادة أهل القبور بدعائهم والاستغاثة والنذور والذبائح لهم، وطلب المدد والعون منهم، كما هو واقع الآن في بلدان كثيرة في السودان ومصر وفي الشام وفي العراق وفي بلدان أخرى – كل ذلك من الشرك الأكبر...

فالواجب على أهل العلم جميعًا الذين منَّ الله عليهم بمعرفة دينهم على بصيرة، سواء كانوا من الصوفية أو غيرهم أن يتقوا الله، وأن ينصحوا عباد الله، وأن يعلّموهم دينهم وأن يحذروهم من البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها والقباب، أو غير ذلك من أنواع البناء، وأن يحذروهم من الاستغاثة بالموتى ودعائهم، فالدعاء عبادة يجب صرفها لله وحده...

فالميت لا يُمْتَهَن ولا يُعَظَّم بالغلو فيه ودعائه مع الله، والطواف بقبره، ونحو ذلك من أنواع الغلو، وبذلك يعلم أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالأمر الوسط بشأن الأموات، فلا يُغلى فيهم ويُعْبَدُون مع الله، ولا يُمْتَهَنُون بالقعود على قبورهم ونحو ذلك، وهي وسط في كل الأمور والحمد لله؛ لأنها تشريع من حكيم عليم يضع الأمور في مواضعها، كما قال عز وجل: (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) ومن هذا ما جاء في الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)، فجمعت الشريعة الكاملة العظيمة بين الأمرين؛ بين تحريم الغلو بدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم، والصلاة إلى قبورهم وبين النهي عن إيذائهم، وامتهانهم والجلوس على قبورهم أو الوطء عليها والاتكاء عليها، كل هذا ممنوع فلا هذا ولا هذه....

إن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها والقباب كذلك منكر معلوم عند أهل العلم، جاءت الشريعة بالنهي عنه؛ لكونه وسيلة إلى الشرك [1].

وقال أيضًا –رحمه الله –: " البناء على القبور أمر منكر لا يجوز اتخاذ قباب عليها، ولا اتخاذ المساجد عليها، بل نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم– عن البناء عليها، بل لعن من فعل ذلك... وفيه النهي عن الكتابة على القبور أيضًا.

والحاصل: أن البناء على القبور أمرٌ منكر نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم واتخاذ المساجد عليها كذلك؛ لأنه وسيلة إلى الغلو فيها، وعبادتها من دون الله بالدعاء، أو بالطواف، أو الاستغاثة بها، أو الذبح لها، كل هذا يقع من بعض الجهلة، وهذا من الشرك الأكبر....

وإن طلب الحوائج من الموتى أو من الأصنام، أو من الأشجار والأحجار، أو من الكواكب، كله شرك بالله عز وجل، وهكذا الطواف على القبور منكر.

والطواف يكون بالكعبة، لاُ يطاف بالقبور، فهذا منكر عظيم، بل شرك أكبر، إذا قصد به التقرب إلى صاحب القبر، وهو شرك أكبر، وإذا ظن أنه قربة لله، وأنه يتقرب إلى الله بهذا، فهذه بدعة؛ الطواف من

---

(1) من فتاوى ابن باز http://www.binbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=4571 .

خصائص البيت العتيق: الكعبة، القبور لا يُطاف بها أبدًا هذا منكر وبدعة، وإذا كان فعله تقربًا لصاحب القبر صار شركًا أكبر، وهكذا دعاء الميت، والاستغاثة بالميت، والنذر له والذبح له، كله من الشرك الأكبر.

فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك، وعلى أعيان المسلمين منع هؤلاء من هذا العمل، وعلى الحكام والأمراء أن يمنعوا الجهلة من هذا الشرك ... لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها وتجصيصها؛ لأن هذا وسيلة إلى الغلو فيها، وإلى أن تُعبد مع الله.

وهكذا لا يهدى إليها نقود ولا ذبائح ولا ملابس ولا يُوضع لها سدنة، وهذه العجوز التي تأتي القبر تُمنع، لا تأتي إلى هذه المقابر ولا تقوم بتنظيفها؛ لأنها دعاية للشرك، ... أما البناء على القبر لتعظيمه أو إظهار شرفه وفضله فهذا كله منكر، لا يجوز البناء على القبور أبدًا، ويمنع وجود السدنة عند القبور؛ لأخذ أموال الناس أو تضليل الناس ودعوتهم إلى الشرك، كل هذا يجب منعه"[1].

* **وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله** – في فتاوى نور على الدرب: "إذا كان يريد البناء على القبور، فإن هذا محرم، وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لما فيه من تعظيم أهل القبور، وكونه وسيلة وذريعة إلى أن تُعبد هذه القبور وتُتخذ آلهة مع الله كما هو الشأن في كثير من الأبنية التي بُنيت على القبور، فأصبح الناس يشركون بأصحاب هذه القبور مع الله سبحانه وتعالى"[2].

([1]) من فتاوى ابن باز، حكم خدمة الأضرحة، والذبح والنذر لها.

([2]) من فتاوى ابن عثيمين، نور على الدرب (9/3).

الفصل الثالث

حكم المساجد التي فيها القبور

وحكم الصلاة فيها

الفصل الثالث

حكم المساجد التي فيها القبور

وحكم الصلاة فيها

استفاض الشرع الحنيف في بيان حرمة بناء المساجد على القبور والصلاة فيها، وأجمع العلماء على ذلك، ولم نرَ في قرون الإسلام المفضلة أي من هذه المظاهر المحرمة، فلم تظهر هذه البدع إلا بعد انقضاء عهد النبوة وعهد والصحابة والتابعين وتابعي التابعين، مما يُفقدها أي شرعية ابتداءً، هذا فضلاً عن تضافر الأدلة من سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها، وكذلك اتفاق علماء المذاهب، وكذلك اتفاق علماء الإسلام في القديم والحديث على ذلك.

بيان أدلة النهي عن اتخاذ القبور مساجد[1]

1- حديث جندب بن عبد الله البجلي –رضي الله عنه– أنه قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل أن يموت بخمس يقول: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك) [2].

2- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: لولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا) [3].

3- حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نُزِل برسول الله – صلى الله عليه وسلم– ؛ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذّر ما صنعوا[4]، وفي لفظ: "لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".[5]

---

(1)عشرون دليلاً في النهي عن الصلاة عند القبور، ماجد بن سليمان الرسي، على الرابط التالي:
http://www.saaid.net/kutob/9.htm

(2) أخرجه مسلم (532).

(3) أخرجه البخاري (1330)، ومسلم (529).

(4) أخرجه البخاري (435، 436) واللفظ له، ومسلم (531).

(5) أخرجه أحمد (252/6)، والنسائي (2045).

* **قال ابن حجر رحمه الله:** وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يُعظم قبره كما فَعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى، إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم.[1]

4- حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في مرضه الذي مات فيه: (أدخِلوا عليَّ أصحابي، فدخلوا عليه وهو متقنع ببردة مَعافِري، فكشف القناع فقال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). [2]

5- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). [3]

6- حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبـــي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، يُحَرِّم ذلك على أمته. [4]

7- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد). [5]

8- حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال: (كان آخر ما تكلم به نبي الله صلى الله عليه وسلم؛ أن أخرِجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب، واعلموا أن شـــرار الناس الذين يتخذون القـــبور مساجد). [6]

9- حديث أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تجعل قبـري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). [7]

قال ابن عبد البر رحمـــه الله:"... قال صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تجعل قبـــري وثنًا يصلى إليه ويُسجد نحوه ويُعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين صلوا إلى قبور أنبـــيائهم واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان

---

(1) فتح الباري لابن حجر (532/1).
(2) أخرجه الطيالسي (669)، وأحمد (204/5)، وحسنه الألباني في « تحذير الساجد » ص 16، ط 4.
(3) أخرجه البخاري (437)، ومسلم (530).
(4) أخرجه أحمد (274/6)، والنسائي (2045)، وصححه الألباني في « صحيح النسائي » (1933).
(5) أخرجه أحمد (405/1)، وصححه الألباني.
(6) أخرجه أحمد (195/1)، وصححه محققو « المسند » (223/3) .
(7) أخرجه رواه أحمد (246/2)، وصححه الألباني.

النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه؛ خشيةً عليهم من امتثال طرقهم"[1].

10- حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها). وفي رواية: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها). [2] والصلاة إلى القبر تعني استقباله.

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: "فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى قبر"[3].

11- حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تصلوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر). [4]

12- حديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يُبنى على القبور، أو يُقعد عليها، أو يُصلى عليها). [5]

13- حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) [6].

14- حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: (اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا) [7]. وفي رواية: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا). [8] وفي رواية: صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا. [9]

قال ابن حجر في « الفتح »: "استُنبط من قوله في الحديث: (ولا تتخذوها قبورًا) ؛ أن القبور ليست بمحل للعبادة"[10].

16- ومن الأدلة كذلك إنكار الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سهيل بن أبي سهيل لما رآه دنا عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له: ما لي رأيتك عند القبر؟! فقال:

---

(1) التمهيد لابن عبد البر (45/5).
(2) أخرجه مسلم (972) .
(3) شرح النووي على صحيح مسلم (394/3).
(4) أخرجه الطبراني (12168) عن ابن عباس، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (1016).
(5) أخرجه أبو يعلى في « مسنده » (1020)، وصححه الألباني.
(6) أخرجه الترمذي (317) وأبو داود (492)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (507).
(7) أخرجه البخاري (432)، وأبو داود (1043).
(8) أخرجه مسلم (777)، وأحمد (16/2).
(9) أخرجه أحمد (6/2)، والترمذي (451)، والنسائي (1597).
(10) فتح الباري لابن حجر (529/1).

سلمت على النبـــي صلى الله عليه وسلم. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبـــري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). [1].

17- ومن الأدلة على تحريم الصلاة في المقـابر أن موضع مسجده صلى الله عليه وسلم كان مقبـرة للمشـركين قبل بنائه، فنَبش النبي صـلى الله عليه وسـلم قبورهم، ونقل رفات الموتى، ثم سـوَّى الأرض، ثم بنى المسجد، ولم يتخذ المكان مسجدًا إلا بعد إزالة القبور منه. [2]

وهذا دليل واضـح على تحريم الصـلاة في مسـجد فيه قبر، فلم يرضَ النبي صـلى الله عليه وسلم ببناء مسـجده على قبور المشـركين، مع أن المدفونين ليسـوا مظنة غلو الناس فيهم، فكيف بمن هم مظنة غلو الناس فيهم.

18- أن المنقول عن الصـحابة هو الإنكار على من صـلى أو دعا عند قبر، وكفى بفعل الصـحابة حجة إذا اسـتقر عنهم فعل أو ترك مع قيام المقتضـي، فعن أنس قال: قمت يومًا أصـلي وبين يدي قبر لا أشـــعر بـه، فناداني عمر (القبر، القبر)، فظننت أنـه يعني القمر، فقال لي بعض من يليني: (إنما يعني القبر)، فتنحيت عنه.[3]

فهذا يدل على أن المستقر عند الصحابة تحريم الصلاة عند القبور.

والقول بتحريم الصـــلاة عند القبور ورد عن جمع من الصـــحابة والتابعين كأنس وعبد الله بن عمرو، والحســـن العرني، والمســـيب بن رافع، وخيثمة بن عبد الرحمن المدني، وإبراهيم النخعي، وابن ســـيرين ومكحول. [4]

20- ومن أدلة تحريم الصـــلاة عند القبور أن في ذلك تشـــبهًا بالكفار، كما دلت على ذلك الأحاديث الثلاثة الأولى، ومن المعلوم أن التشـــبه بالكفار في عباداتهم حرام، وقد جاء الوعيد الشـــديد في حق من تشبه بهم في قوله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم).[5]

قال ابن كثير رحمه الله: "ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم، وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تُشرع لنا ولم نقرر عليها".[6]

---

(1) أخرجه سـعيد بن منصـور في « سـننه »، كما في « اقتضـاء الصـراط المسـتقيم »، وقال الألباني رحمه الله: إسناده قوي (الجنائز، ص 280، ط 1412).

(2) جزء من حديث رواه البخاري (428)، ومسلم (524).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به (437/1).

(4) انظر أقوالهم في «مصنف ابن أبي شيبة» (7574 – 7578، 7581، 7582، 7585).

(5) أخرجه أبو داود (4031) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الألباني: حسن صحيح.

(6) انظر «تفسير القرآن العظيم»، سورة البقرة، آية 104.

وكان صلى الله عليه وسلم يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار، ويخاف على أمته اتباعهم.

إجماع أهل العلم على تحريم بناء المساجد على القبور

ومن أعظم الأدلة على تحريم الصلاة عند القبور؛ اتفاق أئمة الإسلام على ذلك، وقد نقل إجماعهم السيوطي الشافعي – رحمه الله – فقال بعدما ذكر صفة الزيارة الشرعية ما نصه: "وما سوى ذلك من المحدثات كالصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها؛ فقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك، والتغليظ على فاعله، فأما بناء المساجد عليها وإشعال القناديل أو الشمع أو السرج عندها فقد لعن فاعله كما جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وصرح عامة علماء الطوائف بالنهي عن ذلك؛ متابعةً للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك، ولا ريب في القطع بتحريمه. ثم ذكر حديث جندب – رضي الله عنه –.[1]

قال ابن رجب رحمه الله: (وقد اتفق أئمة الإسلام على هذا المعنى) يعني تحريم الصلاة عند القبور.[2]

قال مقيده عفا الله عنه: ولا يُعلم لهؤلاء الأئمة مخالف، ومن خالف فخلافه مردود عليه؛ لأنه خالف الكتاب والسنة وما سار عليه السلف الصالح، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى، وأتباعهم على الحق، جعلنا الله منهم.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله: " كيف يقال: إن المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يرددون أدلة النهي عنه، واللعن لفاعله، خلفا عن سلف في كل عصر، ومع هذا فلم يزل علماء الإسلام منكرين لذلك، مبالغين في النهي عنه، وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين – وهو الإمام المحيط بمذاهب سلف الأمة وخلفها – أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور". ثم قال: وصرح أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة، لكن ينبغي أن يحمل ذلك على كراهة التحريم إحسانًا للظن بهم، وأن لا يُظن بهم أن يُجوِّزوا ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله والنهي عنه".[3]

وقال العلامة الفقيه علاء الدين أبو الحسن البعلي رحمه الله: "ويحرم الإسراج على القبور واتخاذ المساجد عليها وبينها، ويتعين إزالتها. قال أبو العباس – ابن تيمية –: ولا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين".[4]

---

(1) انظر كتاب الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي، ص 129 – 130.

(2) انظر فتح الباري » (248/3) لابن رجب، كتاب الصلاة.

(3) انظر كتاب شرح الصدور للشوكاني، ص 37.

(4) انظر كتاب الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص 52.

وقال أيضـا: فإن نـهيه عن اتخاذ القبور مسـاجد يتضـمن النهي عن بناء المسـاجد عليها، وعن قصـد الصـــلاة عندها، وكلاهما منهي عنه باتفاق العلماء، فإنهم قد نهوا عن بناء المســـاجد على القبور، بل صرحوا بتحريم ذلك، كما دل عليه النص. [1]

(1) انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، لابن القيم (2/774-775).

بيان اتفاق المذاهب الأربعة

على أن بناء المساجد على القبور محرم[1]

وبناء على التحريم الوارد في الأحاديث، قال علماء المذاهب الأربعة بتحريم بناء المساجد على القبور محرم، وفيما يلي نص أقوالهم:

مذهب الأحناف:

قال الإمام محمد الشيباني، تلميذ أبي حنيفة: "لا نرى أن يُزاد على ما خرج من القبر، ونكره أن يُجَصَّص أو يُطيَّن أو يُجعل عنده مسجدًا.

والكراهة عند الحنفية إذا أُطلقت فهي للتحريم كما هو معروف عندهم.

مذهب المالكية:

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: "اتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه، لا يجوز.

ثم ساق الأحاديث الدالة على ذلك، ثم قال: قال علماؤنا: وهذا يحرِّم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد.

وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها"، أي: لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها، كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام.

مذهب الشافعية:

* قال الإمام الشافعي–رحمه الله– في كتاب «الأم» ما نصه: وأكره أن يُبنى على القبر مسجد.

* وقال النووي رحمه الله: "اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهورًا بالصلاح أو غيره، لعموم الأحاديث.

ومن المعلوم أن معنى الكراهة عند المتقدمين هو التحريم.

* وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): "وفائدة التنصيص على زمن النهي: الإشارة إلى أنه من الأمر المحكم، الذي لم يُنْسَخ؛ لكونه صدر في آخر حياته"، ومنها عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمه ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: "أولئك إذا

---

(1) للاستزادة انظر تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للعلامة الألباني رحمه الله.

مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله" (متفق عليه). [1]

مذهب الحنابلة:

* قال ابن قدامة رحمه الله: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر (لعن الله زوارات القبور...)، ولأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر مثل ما صنعوا. متفق عليه. ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها. [2]

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اتفق الأئمة أنه لا يُبنى مسجد على قبر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن مَن كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك"، وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر إما بتسوية القبر وإما بنبشه وإن كان جديدًا، وإن كان المسجد بُني بعد القبر، فإما أن يُزال المسجد، أو تُزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يُصلى فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه". [3]

* وقد بيّن الإمام ابن القيم الحكم في المساجد التي تُبْنَى على القبور، فقال: "وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بُني على قبر، كما ينبش الميت إذا دُفن في المسجد، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق، فلو وضعا معًا لم يجز، ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ولعنه من اتخذ القبر مسجدًا، أو أوقد عليه سراجًا، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه بين الناس كما ترى". [4] فهذا الذي قال الإمام ابن القيم رحمه الله ملخص مفيد في الموضوع لمن تدبره وتأمله، نكتفي به.

* قال ابن حجر الهيثمي في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر): "الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها". [5]

---

(1) فتح الباري لابن حجر (148/2).
(2) المغني لابن قدامة (382/2).
(3) مجموع الفتاوى (194/22).
(4) زاد المعاد (500/3).
(5) الزواجر عن اقتراف الكبائر: (285/1).

من أقوال أهل العلم المعاصرين:

*** سئل الشيخ ابن باز– رحمه الله – هل تصح الصلاة في المساجد التي يوجد فيها قبور؟**

الجواب:

... المساجد التي فيها قبور لا يُصلى فيها، ويجب أن تنبش القبور، ويُنقل رفاتها إلى المقابر العامة، ويُجعل رفات كل قبر في حفرة خاصة كسائر القبور، ولا يجوز أن يبقى في المساجد قبور، لا قبر ولي ولا غيره؛ لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم نهى– وحذر من ذلك، ولعن اليهود والنصارى على عملهم ذلك، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة رضي الله عنها يحذر ما صنعوا" أخرجه البخاري (1330) ومسلم (529).

وقال عليه الصلاة والسلام لما أخبرته أم سلمه وأم حبيبة بكنيسة في الحبشة فيها تصاوير فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله" متفق على صحته (البخاري 427، ومسلم 528).

وقال عليه الصلاة والسلام: " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" خرجه مسلم في صحيحه (532) عن جندب بن عبد الله البجلي. فنهى عليه الصلاة والسلام عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، وأخبر: أنهم شرار الخلق، فالواجب الحذر من ذلك.

ومعلوم أن كل من صلى عند قبر فقد اتخذه مسجدًا، ومن بنى عليه مسجدًا فقد اتخذه مسجدًا، فالواجب أن تبعد القبور عن المساجد، وألا يُجعل فيها قبور؛ امتثالاً لأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، وحذرًا من اللعنة التي صدرت من ربنا عز وجل لمن بنى المساجد على القبور؛ لأنه إذا صلى في مسجد فيه قبور قد يزين له الشيطان دعوة الميت، أو الاستغاثة به، أو الصلاة له، أو السجود له، فيقع الشرك الأكبر، ولأن هذا من عمل اليهود والنصارى، فوجب أن نخالفهم، وأن نبتعد عن طريقهم، وعن عملهم السيئ. لكن لو كانت القبور هي القديمة ثم بُني عليها المسجد، فالواجب هدمه وإزالته؛ لأنه هو المحدث، كما نص على ذلك أهل العلم؛ حسمًا لأسباب الشرك وسدًّا لذرائعه [1].

*** وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: ما حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر؟**

فأجاب بقوله: إذا كان هذا المسجد مبنيًّا على القبر، فإن الصلاة فيه محرمة ويجب هدمه؛ لأن النبي – صلي الله عليه وسلم – لعن اليهود والنصارى؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تحذيرًا مما صنعوا، أما إذا كان المسجد سابقًا على القبر فإنه يجب إخراج القبر من المسجد، ويدفن فيما يدفن فيه الناس، ولا حرج

([1]) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله (10/ 246) .

علينا في هذه الحال إذا نبشنا هذا القبر؛ لأنه دفن في مكان لا يحل أن يدفن فيه، فإن المساجد لا يحل دفن الموتى فيها، والصلاة في المسجد إذا كان سابقًا على القبر صحيحة، بشرط ألا يكون القبر في ناحية القبلة، فيصلي الناس إليه؛ لأن النبي –صلي الله عليه وسلم– نهى عن الصلاة إلى القبور[1].

*** وقد سئل الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – أيضا في فتاوى نور على الدرب السؤال الآتي:**

يوجد لدينا قبر رجل ويقولون بأنه ولي، وقد بني عليه قبة وبجانبه ما يقارب من ثلاثة قبور أخرى، والقبة المذكورة قد جعلوا فيها مقدمة ومكان يُصلى فيه، والقبور المذكورة تقع خلف المصلين، ونحن نصلي في هذه القبة والقبور من خلفنا، فنرجو من فضيلة الشيخ النصح والتوضيح هل صلاتنا صحيحة أم لا جزاكم الله خيرًا.

الجواب: البناء على القبور محرم، وكل بناء بُنِيَ على قبر فإنه يجب هدمه، ولا يجوز إقراره، والصلاة فيه لا تصح، بل هي باطلة، فلا يحل لكم أن تصلوا في هذه الساحة، وإن صليتم فأنتم آثمون وصلاتكم باطلة مردودة عليكم، ثم إني أقول من قال: إن هذا قبر ولي قد يكون دجلاً وكذبًا، ثم أقول: ما هو الولي؟ قد يكون دجالاً دجل على الناس، وقال: إنه من أولياء الله، وهو من أعداء الله، وأولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون لقوله تعالى: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)** [يونس: 62– 63] فلا بد من هذه المقدمات أن يعلم أن هذا من أولياء الله؛ لكونه مؤمنًا تقيًّا، وأن يعلم أنه دُفن في هذا، وبعد هذا يجب أن تُهدم القبة التي عليه، ولا تصح الصلاة فيها.[2]

فتاوى علماء الأزهر في هذا الشأن:

* وذهب جمهور علماء الأمة إلى القول بعدم جواز الصلاة في مثل هذه المساجد، ولقد أفتى معظم علماء الأزهر بالقول بعدم الجواز، من هؤلاء العلماء: الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية سابقًا، قال: لا يجتمع مسجد وقبر في الإسلام. الفتوى صادرة برقم 319 في السادس عشر من جمادى الأولى عام ألف وثلاثمائة وتسعة وخمسون الموافق للثاني والعشرين من يونيه عام ألف وتسعمائة وأربعون ميلادية.

* كما أفتى الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق بحرمة الصلاة في مساجد بها قبور، وهذه الفتوى ضمن مجموعة فتاوى مشيخة الأزهر الشريف، ورأي الشيخ في هذا معلوم، ولقد صرحت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف لجريدة الأساس في عددها الثاني عشر والثالث عشر بتحريم إقامة الأضرحة وتشييد القبور، راجع كتاب فتاوى هامة لفتحي أمين عثمان الصفحة الثانية عشرة.

---

(1) فتاوى نور على الدرب، لابن عثيمين (314/3).

(2) فتاوى نور على الدرب، لابن عثيمين (294/18).

* وقد أفتى الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري السابق ومدير جامعة الأزهر بتحريم تزيين القبور، وإقامة الأضرحة عليها، راجع جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر في الرابع عشر من شهر فبراير عام ألف وتسعمائة وخمسة وخمسون وكتاب، فتاوى هامة لفتحي أمين عثمان الصفحة الخامسة عشرة، حرمة رفع البناء والقباب على القبور، فتاوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ الرابع عشر من شهر الله المحرم عام ألف وثلاثمائة وسبعة وأربعون الموافق للثاني من يوليو عام ألف وتسعمائة وثمانية وعشرون.

* وقد أفتى الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية سابقًا بحرمة الطواف بالأضرحة والتوسل بالأولياء، وهذه الفتوى نشرتها مجلة الإذاعة بتاريخ السابع من شهر سبتمبر عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسون.

* وقد سئل الشيخ الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، وهو مالكي المذهب: ما حكم الذهاب إلى قبور الأولياء لطلب حاجة ؟ وما حكم الصلاة بمسجد فيه قبر؟

الجواب:

الذهاب إلى الولي والطلب منه بواسطته أن يعطيه الله ولدًا معصية كبيرة يجب التوبة منها عاجلاً والندم عليها، والواجب على المسلم أن يدعو ربه، ولا يطلب من أحد غيره شيئًا، فهو قريب سبحانه ممن دعاه، كما قال: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)** [البقرة: 186]، ولم يطلب منا لا في هذه الآية، ولا في غيرها أن نتجه إليه بواسطة ولي ولا غيره.

والصلاة في مسجد فيه قبر صحيحة جائزة عند جمهور أهل العلم إذا لم يكن القبر أمام المصلي داخل بيت الصلاة بأن كان خارج بيت الصلاة ويفصله عن المصلي جدار أو غرفة، وإذا كنت تريد تفصيل أقوال أهل العلم فيها فارجع إلى كتابي (الغلو في الدين).

وسئل الشيخ أيضًا عن: قرية أقدمت على توسيع مسجد أقيم على قبرين، ثم عُزلا بسور. هل تجوز الصلاة في هذا المسجد؟

فأجاب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

المسجد بيت من بيوت الله يتردد إليه العابدون لأداء شعائرهم الدينية اليومية كالصلوات الخمس، والأسبوعية كالجمعة.

والمسجد تناط إليه مهام أخرى شرعية كإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد وقراءة الفاتحة للمتزوجين، والصلح بين المتخاصمين.

كما أنه وسيلة من وسائل التعارف والتعاون والاتحاد وجمع الكلمة، والتشاور بين أبناء الحي والقرية في سبيل المنفعة العامة ومصلحة المسلمين.

والمسجد هذا وظيفته وطبيعته يجب أن يخضع لمقاييس إسلامية عند تأسيسه، من حيث التصميم والشرعية، كتحديد القبلة بدقة في المحراب، وعدم بنائه على أرض مغصوبة مملوكة للغير أو الإنفاق عليه من مال حرام أو مشبوه، أو يقام على أرض فيها مقابر، أو تعلق صور على جدرانه.

وعلى هذا لا ينبغي لأية جمعية دينية أن تقدم على بناء مسجد أو تعديله أو توسيعه إلا بعد استشارة أهل العلم والاختصاص؛ حتى لا تقع في خطأ شرعي قد يصعب تصحيحه.

وما فائدة مسجد تُصرف فيه الملايين والصلاة فيه غير مقبولة عند الله لأنه أُسس على غير تقوى الله، كبناء مسجد جديد بجوار مسجد قديم قصد التنافس والتفاخر وإحياء النعرات القبلية، وكبنائه على أرض فيه قبر كما جاء في السؤال.

وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز بناء مسجد في مكان تحقق فيه وجود قبر بدليل قول النبي – صلى الله عليه وسلم–: " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، وقال أيضًا: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك" رواه مسلم.

قال أيضًا: "الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام" رواه الخمسة.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" رواه الجماعة.

وقد شدد الرسول –صلى الله عليه وسلم– في النهي وبيّن أنه كان سببًا في انحراف الأمم السابقة عن إخلاص العبادة لله تعالى.

ومحافظة على عقيدة المسلم يجب إخلاء المساجد من الأضرحة، وخاصة إذا كانت في جهة القبلة، والصلاة إلى القبر أيًّا كان محرمة، ونهى عنها وحكم النهي الشديد يؤدي إلى بطلانها، قال تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }** [الجن: 18]

ولذا يجب على قرية صاحب السؤال اتباع أحد الحلين الآتيين:

الأول: ما دام القبران داخل المسجد يجب نبشهما ونقلهما إلى المقبرة العامة، فهما كسائر خلق الله من المسلمين، ولا مزية لهما على غيرهما، وإبقاؤهما لا تصح الصلاة فيه استنادًا إلى الأحاديث السابقة، وخاصة أنه قد يؤدي بمرور الزمن إلى تناسي أصل القبرين، وتُحاك حولهما الأساطير والخرافات، وينساق الناس إلى زيارتهما؛ لأن العوام مولعون بتقديس من يُدفن في داخل المساجد.

والسور الذي بُني لعزل القبرين ليس مبررًا كافيًا لإضفاء الشرعية في صحة الصلاة؛ لأن بعض المصلين يستقبلونه في صلاتهم؛ فضلاً عن تشويهه لمنظر المسجد.

الثاني: فإذا كان من يصر للإبقاء على القبرين ولا يكون هذا إلا من جماعة قليلة من عائلتهما، فإنه في هذه الحالة يجب عزلهما بالتوسع في هذا السور على أن يمتد من جدار المدخل العام إلى جدار المدخل الخلفي وإلحاقه بالسقف، وهذا الحل يلحق ضررًا كبيرًا بالمسجد وهو إنقاص جزء من مساحته ومع بقائها

فارغة، ويؤدي إلى ضيق المسجد بالمصلين؛ نظرًا لازدياد عددهم مستقبلاً، وخاصة في صلاة الجمعة والعيدين.

وعلى هذا فعلى أهل الرأي إقناع معارضي نقل القبرين باتباع الحل الأول، وهو أخف الضررين؛ حفاظًا على المنفعة العامة والمصلحة الشرعية.

والخلاصة: إذا لم يُعمل بهذه الفتوى باتباع أحد الحلين السابقين، فعلى الإمام أن يرفض إقامة الصلاة في هذا المسجد حتى يغيّر المنكر. (1)

قال الشيخ أبو طارق البويحياوي عبد الله حشروف: "تحدثت في مقال سابق عن الحجاج الذين يزورون القبب في منطقة القبائل قبل توجههم إلى البقاع المقدسة، وبينت أن هذا شرك وبدعة محرمة؛ يجب أن تتضافر الجهود للقضاء عليها.

أما الآن فهذه رسالة عن مفهوم الولي وقبته المزركشة.

فالولي حينما يكون على قيد الحياة هو: العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته، المتمسك بفرائض الله، المداوم على نوافله، المنفّذ لأوامر الله، المجتنب لنواهيه، المبتعد عن الشبهات التي تمسّ مروءته، المتصف بأخلاق إسلامية، متواضعًا تقيًّا ورعًا زاهدًا، المتعامل مع المسلمين وغيرهم وفق الشريعة الإسلامية الغرّاء، وكل قول وعمل يصدر منه ينبغي أن يكون وفق ما في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس معنى هذا أن الولي – بهذه الصفات – معصوم من الأخطاء، فالعصمة للأنبياء والمرسلين، فالأولياء ليسوا أنبياء معصومين ولا بملائكة مطهّرين، وإنما هم بشر يعيشون مع البشر، يخطئون ويصيبون كما يخطئ ويصيب البشر.

وربما قد تجري على أيديهم كرامات على أن تكون منسجمة مع ما في كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهما المعيار الوحيد الذي يعرف به الولي الصالح من الولي الطالح. فمن كانت أعماله وكراماته على خلاف الشريعة الإسلامية المطهّرة فهو من أولياء الشيطان حتى ولو ادعى الطيران في الهواء أو المشي على الماء ولا يصيبه بلل.

ومهما اتصف الولي بهذه الصفات المذكورة أو بعضها، فإنه لا يجوز له أن يدّعي الولاية لنفسه أو ينيب من يقوم بالدعاية له، أو يبث أنصارًا أو أتباعًا عن عشيرته وأشياعه كما يفعل الطرقيون –أهل الطرق والبدع الصوفية– خشية أن يؤول الأمر إلى مقاصد سيئة، كتمهيد لأداء الزيارات له، فتكثر حوله المزاعم، وتُحاك حوله الأساطير. وعندما يُذاع صيته ويعمّ خبره الآفاق، عندئذ تتبلور فكرة بناء القبة على ضريحه؛ ضمانًا وطعمًا في استمرار موارد الجباية على أهله وعشيرته.

---

(1) فتوى المجلس العلمي، تيزي وزو، رئيس لجنة الفتوى: عبد الله حشروف، نقلاً عن كتاب الأولياء والقبب للشيخ أبي طارق البويحياوي عبد الله حشروف، اعتنى بها تلميذه نسيم الجزائري.

فالولي الصالح لا ينشد زهرة الدنيا ولا تفتنه مباهجها، ولا يتكالب على زخارفها، ولا يجعل أكبر همه دينارها ودرهمها، ولا يرضى بأن يتقوّل عليه ما ليس له من خوارق، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه من كبار أولياء الله الصالحين بنص من حديث نبوي شريف، لم يدّعِ الولاية لنفسه، فقد كان الصحابة يراجعونه ويراجعهم، ويشاورهم ويأخذ برأيهم.

فإذا مات هذا الولي وفارق الدنيا فهو كبقية المتوفين من المسلمين، ومهما كانت منزلته عند الله، وفي قلوب أشياعه وأنصاره، فإنه في حاجة إلى دعاء له بالرحمة والمغفرة من الأحياء، وبالتصدق عليه من أهله وأولاده، فأعماله قد انقطعت بموته، "وبركاته" لمن يستنجد به في الحياة، فقد تجمدت بجمود جثته، فهو ومن حوتهم القبور من أهل القبلة في أشد الحاجة إلى من يستغفر لهم من الأحياء، باستثناء الأنبياء والمرسلين؛ اعتبارًا لقوله تعالى: {**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**} [الحشر: 10].

أما ما يزعمه ويتشدق به عُميان الجهل المركب بأن من استغاث بالولي الصالح، أو استنجد بجاهه أو توسل ببركاته بتقبيل جدران قبته، والتمسح بصندوقه، والتمرغ على ضريحه، أو يخصص النذر له إذا فاز بأمنيته، أو يرزقه من حيث لا يحتسب، أو يخلصه من مأزق وقع فيه، أو يرفع عنه مصيبة حلت به، أو يحبب إليه من يشاء... من اعتقد كل هذا فقد ضل ضلالاً بعيدًا، وجعل لله ندًّا، فكأن هذا الولي هو المتصرف في سنن الله الكونية نيابة عن الله، وهي من اختلاق الدجالين المتواكلين، وأصحاب العقول المريضة، والعقيدة المغشوشة، وذوي الثقافة السطحية الهزيلة.

فالتوسل المشروع هو التوصل إلى تحصيل المرغوب، وتحقيق المطلوب، وذلك عن طريق التقرب إلى الله تعالى بطاعته، والعمل على مرضاته بصالح الأعمال، وطيب الأقوال، ولا يجعل بينه وبين الله وسيطًا ليكون هو المترجم فيما بينه وبين ربه فيما يفعل ويترك.

فالمؤمن العارف بدينه، إذا سأل فليسأل الله، وإذا دعا فليدع الله، وإذا استغفر فليستغفر الله، وإذا استغاث فليستغث بالله، وإذا مرض فليطلب الشفاء من الله، وإذا تضرع فليتضرع إلى الله، وإذا تذلل فليتذلل لله، وإذا عبد فليعبد الله، وإذا خلف فليحلف بالله، وإذا عزم فليتوكل على الله، وكل ما في الكون ملك لله، يتصرف في ملكه كيف يشاء حسب سننه وقوانينه التي وضعها أزلاً. فهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ويمنع ويمنح، ويشفي ويكفي، يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، ويجعل من يشاء عقيمًا، لا رادّ لحكمه ولا مناقض لقضائه، وكل شيء عنده بمقدار.

وكل من اعتقد أن الولي المقبور تتبخر (بركاته) من رمسه فتشق الأرض، وتنال من استغاث به من الأحياء بالرزق، أو النجاة، أو الشفاء، فهو على شفا جرف هار من الهلاك.

وكل من يزعم أن الولي يتصرف في قضاء الله وقدره بإصدار مرسوم من (المجلس الولائي) للأولياء بالتعديل أو النقض فهو من الكافرين المشركين.

وكل من يظن أن الولي يشفع لمن يشاء من الأحياء وهو في لحده فهو من الأغبياء.

إلى متى تبقى هذه الخرافات والخزعبلات في الأذهان، ولا يشمر المصلحون عن ساعدهم لمحاربتها والقضاء عليها تدريجيًّا، والتنبيه عن خطورتها، وهي تمس العقيدة الإسلامية في الصميم؟!

إلى متى نرى بعض الأئمة التقليدين يساقون إلى قبة زردات، طائعين خاضعين ليتصدروا مجلس الدعوات والبركات في القبة، والمنكر يتكرر على مرأى منهم ومسمع وهم صامتون؛ طمعًا في سمعة مزيفة ومتعة زائلة[(1)].

(1) نقلاً عن كتاب الأولياء والقبب للشـــيخ أبي طارق البويحياوي عبد الله حشـــروف، اعتنى بها تلميذه نســـيم الجزائري.

الفصل الرابع

آثار انتشار الأضرحة في بلاد المسلمين

.. واستغلال الشيعة لها

الفصل الرابع

آثار انتشار الأضرحة في بلاد المسلمين
.. واستغلال الشيعة لها

أولاً: آثار انتشار الأضرحة في بلاد المسلمين:

نتج عن بناء الأضرحة في المساجد وتشييدها وتزيينها مفاسد عظيمة في بلاد الإسلام، ومن أشهر هذه المفاسد وما ترتب عليها من آثار خطيرة ما يلي:

1- انتشار الشركيات والبدع:

من أخطر الآثار المترتبة على انتشار هذه الأضرحة والقبور هو الشرك بالله الذي هو أعظم الذنوب، والذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى.

والراصد لأحوال القبوريين يلحظ بوضوح انتشار الشرك بينهم بجميع أنواعه وصوره ودرجاته.. شرك في الربوبية، وشرك في الإلوهية، وشرك في الأسماء والصفات.. شرك أكبر، وشرك أصغر...

فالشـــرك في الربوبية ظهر واضحًا في اعتقاد القبوريين في الأضرحة وأصحابها: أنهم يسمعون ويبصرون، ويجيبون من يتوجه إليهم، وأنهم يعلمون الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وأن لهم قدرة في التصرف والتأثير في الكون بما ليس في طاقة البشر: كالخلق والإفناء، والإحياء والإماتة، وشفاء الأمراض، والنفع والضر، والعطاء والمنع، والإغناء والإفقار، وتحويل الأشياء عن حقيقتها... كما زعم القبوريون أن في الأضرحة وأصحابها القدرة على تفريج الكربات، وقضاء الحاجات، ومحو الذنوب وغفرانها...

وبناءً على هذا التصور المنحرف في الربوبية **نشأ شرك الإلوهية**؛ حيث توجه القبوريون إلى الأضرحة وأصحابها بالعبادات والتقربات التي لا يصح صرفها إلا لله – عز وجل –، ففضلاً عن تبركهم بها على وجه غير مشروع، وجعلهم إياها عيدًا ومنسكًا حتى إنهم ليحجون إليها... فإنهم عظّموها كما لو كانوا يعظمون الله – سبحانه –، فأقسموا بها، واستشفوا، واستنصروا، ولاذوا.. واستغاثوا بها، وذبحوا لها، ونذروا، وطافوا حولها، وسيّبوا لها السوائب، وساقوا إليها الهدي... وإليها توجهوا بالطلب والدعاء: وهذه بدأت بأن "بث بعض المتصوفة فكرة أن الدعاء عند قبور الأولياء والصالحين مستجاب "، وانتهت بأن أخذ العوام يطوفون بقبور الصالحين، يستعينون بهم، ويخاطبونهم، ويستنهضون هممهم بالصياح والصراخ، حتى أصبح الواقع " أن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله – تعالى– من الأولياء: الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل: يا سيدي فلان! أغثني.

وكل ذلك لا يخص ضريحًا دون آخر، بل هو عام في جميع الأضرحة المقصودة بالتوجه والاعتقادات؛ فحيثما كان ضريح يُعتقد فيه؛ كان الشرك بجميع صوره وأنواعه ودرجاته؛ فهذا قبر ابن

عربي بدمشـــق، يحكي عبد الله بن محمد بن خميس مشـــاهداته عنده، فيقول: "لقد ذهبت إلى قبر ابن عربي في دمشق فوجدت فئامًا من الناس يغدون إليه ويروحون.. وجدتهم يطوفون حوله، ويتوسلون به، ويعلنون دعاءهم له من دون الله. وجدت المرأة تضع خدها على شباك الضريح وتمرغه وتنادي: أغثني يا محيي الدين. وجدت الصبايا البريئات يجئن إليه، ويمددن أمامه الأكف، ويمسحن الوجوه، ويخشعن، ويتضرعن.

بل لقد اعترف أحد كبار منظِّري القبورية وهو الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري بوجود الشرك الأكبر والكفر الصراح في القبورية، فقال: "إن كثيرًا من العوام بالمغرب ينطقون بما هو كفر في حق الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكذلك نرى بعضهم يفعل ذلك مع من يعتقده من الأحياء، فيسجد له، ويقبل الأرض بين يديه في حال سجوده، ويطلب منه في تلك الحال الشفاء والغنى والذرية، ونحو ذلك مما لا يُطلب إلا من الله – تعالى–، وإن عندنا بالمغرب من يقول في ابن مشيش: إنه الذي خلق الابن والدنيا، ومنهم من قال – والمطر نازل بشدة –: يا مولانا عبد السلام، الطف بعبادك!. فهذا كفر"[1].

2– انتشار الشرك في الطاعة (في التحليل والتحريم):

يرتبط التحليل والتحريم (التشريع) بالمعبود ارتباطًا وثيقًا، حتى لقد توافقت وتزامنت دعوة العرب للشرك بالله في عبادته وتغيير دين إبراهيم –عليه السلام–، مع إدخال تشريعات لم يأذن بها الله، بل أمر بها الطواغيت، فعمرو بن لحي الذي كان أول من غيَّر دين إبراهيم –عليه السلام– وأدخل عبادة الأصنام في العرب، كان هو نفسه أول من سيَّب السوائب، وشرع لهم الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها".

وتعدى أمر التشـــريع عند القبوريين تســـييب عجل للضـــريح، إلى التلاعب في بعض العبادات المفروضـــة، ويمثل الحج أبرز مثال لهذا التلاعب، الذي بدأ بســـن آداب وطقوس معينة لزيارة تلك الأضـرحة، "فالزيارة ليسـت مجرد مرور عابر، ويجب أن تُؤخذ بمعناها الدقيق، فعملية الاسـتقبال داخل الضـــريح هي لقاء بين الولي (الداعي) والزائر (الضـــيف)" لذلك لم يقتصـــر القبوريون ".. على إقامة المباني والأضرحة عليها فحسب، بل صنعوا في آداب زيارتها وترتيبها المصنفات الطوال، منها: كتاب شمس الدين محمد بن الزيات المعروف (الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة)".

ومن (آداب للزيارة) إلى (مناسـك للحج)، فقد "آل الأمر بهؤلاء الضـلال المشـركين إلى أن شـرعوا للقبور حجًّا، ووضـعوا له مناسـك، حتى صـنَّف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسـماه: (مناسـك حج المشاهد) مضاهاةً منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقةٌ لدين الإسلام ودخولٌ في دين عُبَّاد الأصنام".

---

(1) دوافع تقديس القبور والأضرحة وآثارها .. أفيون الشعوب الإسلامية، خالد أبو الفتوح، كتاب القبور والأضرحة .. دراسة وتقويم، جمع من العلماء.

ولم يكتفوا بتصـنيف الكتب في ذلك، بل أشـاعوا ذلك التشـريع في جمهورهم، فكثير من العامة في صـعيد مصـر يرى أن الطواف سبع مرات بقبر الشـيخ القناوي بقنا.. فيه غَنَاء عن أداء الحج إلى بيت الله الحرام.. ".

وعلى ذلك فليس بمسـتغرب أن يقول السـخاوي: "جاء الحُجاج هذه السـنة لسـيدي أحمد البدوي من الشام وحلب ومكة، أكثر من حجاج الحرمين!".

فهذا باب من التشـريع، وكل ذلك أدى إلى الاسـتهانة بأوامر الله –عز وجل–، واسـتبدالها بتعظيم شعائر الأضرحة، وأوامر سدنتها، وبذا كانت القبورية أحد الأسباب التي هيَّأت شعوب العالم الإسلامي لقبول العلمانية الوافدة، وتشريع ما لم يأذن به الله[1].

3- انتشار الخرافات والدجل والشعوذة:

ترتبط الشعوذة والدجل والخرافات ارتباطًا وثيقًا بالقبورية والقبوريين، فغالبًا ما يتحول ضريح لشيخ أو ولي، وربما لا يكون فيه أحدٌ أصلاً – لمكان ذي قدسية خاصة لأهالي المنطقة والمناطق المجاورة، ويتحول "الولي" إلى "قديس".. يشفي الأمراض العضال وسببًا في شفاء كثير من حالات العقم التي فشل الأطباء في علاجها – كما يزعمون–.

ولأنها تجارة مربحة لكل من يرتبط بها، سواء كان أصحاب الضريح أو القائمين عليه، فهناك حرص على تنمية هذه التجارة عبر الترويج لـ"كرامات" أولياء هذه الأضرحة، وأهميتها بين الجهلة وضعاف الدين، والمحبطين والمحبطات من العاقرات والعاطلين، والباحثين عن حلول لمشكلاتهم المستعصية؛ حتى أصبح أكثر زوار هذه الأضرحة والموالد والمشعوذين هم من الطبقات الغنية والمتعلمة والمثقفة!

بالترويج للخرافات والدجل والشعوذة بأن هذا المكان يجلب لهم كل الخير، إذا تم وضع النذور فيه، أو التبرع له، حتى أشاع مؤخرًا حفنة من المعممين بأن المرأة العاقر سوف يرزقها الله بطفل إن قامت بالتبرع إلى هذا القبر. واستغل أتباع تلك الطرق ممارسات فيها نوع من الدجل والشعوذة، وسادت في أوساطهم كثيرًا من الخرافات والأباطيل. وعمت الفوضى بين الشيوخ والمريدين، واستحال التصوف في بعض مظاهره شيئًا من الشعوذة والدجل.

وترتفع الخرافة إلى ذروتها حينما يعمد القبوريون إلى إضـافة التخصـصـات للأضـرحة بعد تقسـيم درجاتها إلى كبرى وصـغرى، فمثلما كان للإغريق – ومن بعدهم للرومان واليونان – آلهةٌ لكل شـيء:

---

(1) دوافع تقديس القبور والأضرحة وآثارها .. أفيون الشعوب الإسلامية، خالد أبو الفتوح، كتاب القبور والأضرحة .. دراسة وتقويم، جمع من العلماء.

إله للحرب، وإله للحب، وإله للخصـــب، إله للخمر.. وجدنا عند القبوريين أضـــرحة ومزارات تشـــتهر بتخصصها في حاجات مختلفة، يخصونها بالتوجه إليها لطلب هذه الحاجة منها.

ولعل من هذا القبيل: الأضرحة والمزارات النسائية، فيطلب القبوريون "من ضريح الشيخة صباح في طنطا – مصـــر– إبراء النســـاء من العقم"، ومزار (بنات عين) في معان بالأردن: "انتشـــر ذكره بين العواقر، يفدن إليه بالقرابين والمصابيح لنيل البرء والشفاء، وهو مختص بالنساء فقط ويدعونه بالمستشفى النسائي"!!

وإضـافة إلى تلك الأضـرحة والمزارات التي اشـتهرت بتخصـصـها النسـائي، هناك ضـريح (النبي شـعيب) في وادي السـلط الجنوبي بالأردن "وهو ولي! مرهوب مختص بالأقسـام الكبرى، إذا أشـكلت الدعاوى واسـتعجمت مذاهبها– زعموا–، وفي حلب بسـورية "اعتاد بعض الناس هناك أن يسـافروا إلى ضريح الشيخ ريح زاعمين أنهم يشفون من ريحهم... وللناس في قبر أبي العلاء المعري [بمعرة النعمان بسورية أيضًا] اعتقاد خطير، يبيِّتون على قبره شربة ماء، ويستعملونها للبرء من الحمى.

وفي مدينة طنطا [بمصـــر] يطلب الناس هناك من ضـــريح عز الرجال –وهو أحد تلاميذ البدوي– شفاء الأطفال.. ومن ضريح محمد الحدري المعروف بالعمري شفاء أمراض الروماتيزم"!!

وكل هذا يدل على خلل عقدي كبير، وضعف إيمان ويقين بالله رب العالمين.

4– انتشار الدروشة وروح التواكل والبلادة والتخلف في المجتمع:

النتيجة الطبيعية لهذه الشـــركيات والطامات وفســـاد المعتقد والســـير وراء الخرافات والخزعبلات والشـعوذات، النتيجة الطبيعية هي أن يتحول الشـخص إلى آلة صـماء لا تعي ولا تدرك، ولا تحس بما حولها، ويسـمون أنفسـهم بالفقراء، ويلبسـون المرقعات، ويؤثرون الحياة الخشـنة، وقد أضـرّت هذه العقيدة بالحياة الاجتماعية ضـــررًا كبيرًا؛ حيث أدت إلى الســـلبية والتواكل، وغير ذلك مما لا يتفق مع روح الإسلام، وأي شـيء يصـيبه أو يحتاجه ليس عليه إلا أن يلوذ بقبر أو ضـريح يدعوه ويلتجئ إليه، عندئذ – حسب معتقده وما يبثه زبانية هذه القبور والأضرحة– لن يصيبه مكروه، ولن يضره شـيء وستُقضـى جميع حوائجه، وستلبَّى جميع طلباته.

فلماذا إذن يتعب الإنسان نفسه، ويشغلها بما لا طائل من ورائه فليستكين وليتواكل.

ونظرة سـريعة إلى جمهور الصـوفية تجدهم من الدراويش المتسـكعين الذين يدورون مع الموالد حيث دارت؛ يأكلون ويشـــربون وينامون، ويرتكبون الموبقات والشـــركيات، كل ذلك دون مقابل،.. آلاف بل أحيانًا ملايين تجدهم يتسـكعون في الموالد لا عمل لهم، يتسـترون بزي المجاذيب التي هي عندهم أعلى درجات الولاية، فكلما كان الصـوفي مجذوبًا لا يعي شـيئًا ولا يحس بأحد، رثّ الهيئة، متسـخ المظهر،

يزيد ويتمم بكلام غير مفهوم يبول على نفسه، تعافه الفِطَر السليمة، وقد سقطت عنه التكاليف، عندئذ يكون قد وصل إلى أعلى درجات الكمال في دين الصوفية، وأصبح وليًّا من الأولياء الذين يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، ويتحكمون في مصائر الناس –والعياذ بالله–، فهل هذا كلام يعقله من عنده أدنى مسحة من عقل.

فلماذا العمل إذن، ولماذا نتعب أنفسنا ونحن بأقل مجهود، يمكن أن نجني الملايين، والشهرة والصيت، والأتباع والمريدين، اللهم إلا بعض التدريبات على سلوك المجاذيب، وهذا أيضًا أمر هين فلن يعدم الدرويش مركز التدريب، ولا المدربين البارعين في أمور الجذب والولاية.

وأيضًا، فإن دعوة المعتقدين في الأضرحة إلى التوجه إليها بالقربات والعبادات لنيل مرادهم، فإن ذلك يثمر تخلفًا اجتماعيًّا مريعًا؛ حيث استغنى الناس بالأضرحة عن الطب وعلومه، فما حاجتهم إلى الطب وعندهم الأضرحة التي تشفيهم – وبأيسر السبل– مما يعجز عنه الأطباء؟! وذلك صرف الناس عن تعلم الطب، بالإضافة إلى إهمال تعلم الطب، فقد أهملت العلوم الأخرى، بل أهملت الخدمات الاجتماعية للأحياء لانشغال الناس بإعمار مراقد الأموات!

ففي الجزائر مثلاً صرف الطرقية الناس عن العمل، وحببوا إليهم التواكل، وأنكروا عليهم حرية الإرادة، وكادوا يجردونهم من قيمهم الإنسانية، وشاعت المنكرات في الموالد "والزردات والوعدات"، واستغل أرباب الطرق الصوفية سذاجة العامة، فهناك "نوع موجود في غالب القطر الجزائري، ويكثر في بعض الجبال، وهو أن بعض المأمورين من بعض شيوخ الطوائف يأتون بثلة من أتباعهم، فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء الناس فتذبح لهم الذبائح، ويكنس لهم ما في البيت.. وشر ما في هذا الشر أنه يُرتكب باسم الدين وينسبه الجهال أنه قربة لرب العالمين.

ومهما تكلمنا عن الصوفية والطرقية وشطحاتهم، وخزعبلاتهم، وبدعهم، وشركياتهم، ومهما أحزننا ذلك وأبكانا، فلن نختلف على أنهم بارعون في أمر واحد، إنها الحركات البهلوانية والأعمال السيركية" (نسبة إلى السيرك)، ومراقصة الثعابين، والمشي على الجمر، وأكل الزجاج.

فلنتأمل حال مجتمعٍ تنتشر فيه مثل تلك المعتقدات والخزعبلات، فالتخلف ديدنه والجهل منتهاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

5– انتشار الفساد الخُلقي والانحراف:

القبور والأضرحة، وما يرافقها من موالد، هي من أعظم أماكن الفساد، والفواحش والمنكرات، فيُرتكب في الموالد أشنع أنواع الجرائم الخُلقية، من اختلاط، وزنا، ولواط، وسرقة، ونصب، وسحر، وغيرها...

فمولد السيد البدوي في طنطا بمصر – مثلاً– نموذج للفساد والفجور، فتجد الاختلاط بين الرجال والنساء، والزنا واللواط، وشرب الحشيش، ولخداع البسطاء الذين قد يستنكرون مثل هذه الفواحش، روّج البدوي بين أتباعه أكاذيب عن قدراته الهائلة ومن ذلك قوله: " وعزة ربي ما عصي أحدٌ في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضًا، أفيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي!!!"

يقول الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله–: فالموالد أسواق الفسوق، فيها خيام للعواهر، وخانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل، يُقصد بها إضحاك الناس... فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف، واعتقاد أهله بغير فهمٍ ولا مراعاة شرعٍ؛ اتخذوا الشيوخ أندادًا، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج، وشفاء المرضى، وسعة الرزق، بعد أن كانت للعبرة وتذكرة القدوة، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلاً لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على الخير؛ ونتيجة لذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلى ما توهموا أنه يرضي غيره، ممن اتخذوهم أندادًا، وصاروا كالإباحيين في الغالب، فلا عجب إذا عم فيهم الجهل، واستحوذ عليهم الضعف، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر؛ لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين، ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها، بل ولا في الثاني، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة، وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى؛ إذ رأى قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات، فظنوا أنهم إذا عملوا مثلها يكون لدينهم عظمة وشأن في نفوس تلك الأمم، فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين، وسقوطهم فيما سقطوا فيه». اهـ. [1]

إضافة إلى المفاسد الأخلاقية التي تحدث حول الأضرحة، هناك أشكال من هذه المفاسد ارتبطت بها أيضًا، وفي ذلك تضرب (الموالد) بنصيب وافر؛ حيث يشيع فيها الفساد الأخلاقي، مقترنًا بالشرك الأكبر والأصغر.

6- الأثر النصراني واليهودي في الموالد:

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى الأثر النصراني واليهودي في هذه الموالد؛ حيث تكاد تتطابق أشكال طقوس احتفالات أعياد الميلاد والموالد للقديسين و(الأولياء) النصارى واليهود مع ما يحدث في موالد الأولياء المسلمين.

---

(1) **مجلة المنار (2/74-76).**

ويصف المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي أحد الموالد على عهده منذ حوالي مائتي عام، فيقول: "ينصبون خيامًا كثيرة، وصواوين، ومطابخ، وقهاوي، ويجتمع العالَم الأكبر من أخلاط الناس، وخواصهم وعوامهم، وفلاحي الأرياف، وأرباب الملاهي والملاعب والغوازي والبغايا والقرادين والحواة، فيملئون الصحراء والبستان، فيطئون القبور، ويبولون ويتغوطون، ويزنون ويلوطون، ويلعبون ويرقصون، ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارًا.. "[1].

فالموالد ما هي إلا فرصة للتحلل من كل الضوابط، والتفلت من كل القيود، سواء أكانت أخلاقية أو شرعية، أو حتى تنظيمية، حتى أصبحت كلمة (مولد) تُطلق على المواقف التي تشيع فيها الفوضى وعدم الانضباط.

فالمولد فرصة لأن "تنتهك فيه حرمات النساء، وتُشرب الخمور"، حتى إنه "أصبح مجال حياة الناس في الترويح عن أنفسهم ومكانًا للهو والرقص والغناء الساقط".

وفي أيام الربيع في الأردن يفد الزائرون إلى مزار (جعفر الطيار) " فترى الفتيات يرقصنَ حول المزار بأغاني مطربة ونغمات رقيقة.."، فليس هذا خاصًّا ببلد دون آخر، بل هو موجود حيثما كانت القبورية، وأينما كانت موالد أو (احتفالات) أو (أعراس) للأضرحة.

7- استغلالها من قبل الحُكام والساسة الظالمين:

الارتباط بين السياسة والقبورية ارتباط وثيق منذ أمد طويل، فديدن السياسيين الظالمين هو تقريب أرباب القبور والأضرحة ومشايخ الصوفية إليهم، وتكريمهم، وذلك حتى يكونوا من دعائم ملكهم، فهم يدورون مع الساسة أيًّا كانوا؛ حتى يحافظوا على مصالحهم وامتيازاتهم.

فالعلاقة بين الخلفاء العثمانيين والتصوف علاقة قوية؛ فالعثمانيون –أصحاب الدعم القوي للقبورية– اعتنقوا الإسلام على يد مشايخ الطرق الصوفية من قبل استقرارهم في آسيا الصغرى؛ حيث إن جلّ السلاطين كانوا صوفيين قبوريين، بل الخلافة العثمانية رغم ما قدمته للإسلام واستطاعت أن تحمي بيضة الإسلام قرونًا طوالاً، إلا أنها للأسف الشديد كانت غارقة في الخرافة، وهذا هو السبب الرئيس في محاربتهم لحركة الإصلاح التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحاولتهم القضاء عليها.

والسلطان عبد الحميد الثاني أشهر خلفاء بني عثمان –على جلالة قدره– كان صوفيًّا قحًّا– ورغم جهوده المشكورة في الحفاظ على أراضي المسلمين، ومحاولاته لوقف انهيار الخلافة الإسلامية – كان له من الخرافة نصيب! وكان قد قرّب إليه ثلاثة من كبار المتصوفة في ذلك العصر، وكان لهم

---

(1) **عجائب الآثار في التراجم والأفكار (المشهور بتاريخ الجبرتي) (304/1).**

مقام سام في السلطنة يومئذ مع نفوذ في جميع الدوائر، وهم: الشيخ محمد ظافر المدني الشاذلي (ت 1321هـ) والشيخ أحمد أسعد المدني (ت سنة 1314هـ) والشيخ أبو الهدى الصيادي (ت سنة 1328 هـ).

وكذلك كان ينادى للاحتفال بالموالد كل سنة في عهد محمد علي وأولاده وأحفاده الذين استمروا على رعاية شئون الموالد، وإحياء الاحتفال بها طوال سني حكمهم، مع أن غالبهم كان حربًا على الإسلام، وكان الواجب عليهم وعلى من حام حولهم من العلماء العمل على رفع راية الدين، وأن يحكموا بما أنزل الله، وأن يعلنوا الجهاد والاستنفار ضد الاحتلال الإنجليزي لتحرير البلاد والعباد.

يذكر صاحب "الخطط التوفيقية" اهتمام الدولة المصرية في عهد الخديوي توفيق بالمولد النبوي وبالأسرة البكرية – شيوخ الصوفية في زمانهم– المعنية بشؤون المولد، والمختصة بإقامته) [(1)].

تمثل قضية المولد النبوي أحد أهم المرتكزات التي تركز عليها الصوفية في الترويج لأفكار على المستوى الشعبي، وتكتسب بها زخمًا إعلاميًّا وسياسيًّا، ومن هنا كان الاحتفال بها لونًا من الظهور بالمظهر الشرعي المتلبس بمحبة النبي ﷺ، خاصة بعد أن نجحت الاتجاهات التجديدية في الحد من ظاهرة الاحتفال بموالد أصحاب الأضرحة.

ومن هنا يأتي التركيز على الاحتفال بالمولد النبوي كمدخل للاحتفال بموالد الأولياء المنسوبين حقيقة أو زورًا إلى آل البيت.. وإذا كانت العلاقة بين الصوفية والساسة هي علاقة تبادل منفعة، ففي الوقت الذي تحاول فيه الحكومات استغلال الصوفية لتحقيق مآربها، تحاول الصوفية أيضًا أن تتكسب من هذه العلاقة، بل هي المستفيد الأكبر من هذه العلاقة، كما أنها استطاعت أن تصل إلى الحكم في بعض المناطق، فوزير الأوقاف المغربي أحمد التوفيق هو صوفي، كما أن الشيخ أحمد الطيب في مصر –وهو خلوتي– أصبح رئيس جامعة الأزهر بعد أن كان مفتيًا للديار المصرية، بل والمفتي الحالي للديار المصرية الدكتور علي جمعة والذي يعد أحد كبار المنظرين للصوفية والداعين لها عبر العالم، وفي الجزائر نجد أن بوتفليقة قريب جدًّا من الصوفية، وهو ما برز في حملته الأخيرة.

يقول الدكتور عمار حسن: «وفي الفترة الأخيرة في مصر ظهر جليًّا تقرب الحكومة من المتصوفة، وتقرب المتصوفة من الحكومة، بل السعي من الطرفين للتقارب؛ فقد خلقت الظروف الملائمة للتحالف ضد الجماعات الإسلامية أمام الرأي العام باعتبارها طرحًا دينيًّا له مكانته عند المصريين؛ بينما هي تحتمي بالنظام ضد ممارسات الجماعات السلفية التي ترى تحريم رفع القباب على القبور، وتحريم الطواف بها وعبادتها، والتي تتعيش الجماعات الصوفية على بثّها بين الناس والتي لولاها لتقوّض ركن ركين من أركان التصوف، ومن هنا فقد حرصت السلطة السياسية على حضور

---

(1) نقلاً عن كتاب: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ص 387–394 بتصرف اختصار.

الموالد والاحتفالات الصوفية، بل صار شيخ مشايخ الصوفية (أبو الوفا التفتازاني) –توفي– عضوًا في الحزب الحاكم ورئيسًا لعدة لجان داخل جهاز الدولة، بل حرص رئيس الدولة بنفسه على الصلاة في مساجد الأولياء، مثل سيدنا الحسين والسيد البدوي».[1]

وبعد صدام الثورة مع جماعة الإخوان المسلمين عام 1954م أدرك النظام أنه لا بد من إيجاد بديل يقدم للناس على أنه التدين الذي تقبله الدولة، فأقدم عبد الحكيم عامر على إقالة شيخ مشايخ الطرق المنتخب "أحمد الصاوي" وعين (محمد محمد علوان) شيخ مشايخ الطرق الخلوتية شيخًا عامًّا للطرق الصوفية منذ أن طُبقت لائحة المجلس الصوفي الأعلى عام 1903م، وتم هذا في إطار نظام إصلاح الطرق الذي تولى عبد الحكيم عامر الإشراف عليه، وقد استسلمت جماهير الطرقيين للمصلح الجديد (عبد الحكيم عامر)، واستكانت لتوجيهاته طوعًا أو كرهًا، خاصة بعد أن رأوا كيف فعلت الثورة بأكبر وأقوى تجمع إسلامي في مصر وهم الإخوان[2].

والأسباب التي تجعل الساسة يستغلون ويقربون الصوفيين القبوريين هي:

1– التقرب إلى الشعوب وضمان ولائهم، وإضعاف شوكة المعارضين والمنافسين في بعض الأوقات؛ فالاحتفال بهذه البدع يساعد على التفاف الشعب حول هؤلاء الحكام، مما يزهدهم في المعارضين لهم، لاسيما إذا كانوا لا يهتمون بهذه الخرافات.

2– التقرب إلى الشعوب وضمان ولائهم، وفي هذا إضعاف لشوكة المعارضين والمنافسين في بعض الأوقات، فالاحتفال بهذه البدع يساعد على التفاف الشعب حول هؤلاء الحكام.

3– إلقاء طابع الهيبة والتدين على النظام.

4– تخدير الشعوب، والسيطرة عليها، وإشغالهم عن تنحية شرع الله عن الحكم والمطالبة به. يقول الباحث عمار علي حسن: "واستعراض تاريخ مصر، منذ الفراعنة وحتى الوقت الراهن، يشير إلى أن كل مرحلة خلقت لنفسها الوسائل التي تجذب الجماهير من طقوس دينية وفلكلور شعبي... إلخ، وذلك لدعم النظام السياسي القائم، والتمكين لوحدة المجتمع واستقراره، وقد التقى الحكام مع أصحاب النفوذ الديني وغيرهم على هذه القاعدة، وكان المتصوفة من أصحاب السبق في هذا المضمار، خاصة بعد الفتح الإسلامي لمصر، فالإسلام كدين لم يكن طيّعًا في يد الحكام ليستخدموه في الأغراض السياسية؛ لذا بحثوا عن الرجال الذين يطوّعون لهم النصوص لتتوافق مع مسلكهم في الحكم"[3].

---

(1) نقض العرى .. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي.

(2) دمعة على التوحيد.. حقيقة القبورية وأثرها في واقع الأمة، ص 208.

(1) المصدر السابق، ص 177.

5- الدعاية السياسية والتأثير على الجماهير، وإعطاء انطباع بتدين الأنظمة، وعدم عدائها للدين، ففي زيارة مهمة للرئيس الباكستاني (برفيز مشرف) إلى الهند شملت إجراء محادثات مع رئيس الوزراء الهندي (مانموهان سينج)، توجه الرئيس (مشرف) لولاية راجستان بغرب الهند لزيارة ضريح إسلامي بارز، ثم توجه إلى العاصمة دلهي.

كما قام الرئيس الجزائري (عبد العزيز بوتفليقة) بزيارات مكثفة لعدد من زوايا وأضرحة (الأولياء والصالحين) المنتشرة في مختلف أنحاء الجزائر؛ لزيادة شعبيته لدى عدد كبير من الجزائريين الذين يتبركون بهؤلاء الأولياء، وذلك قبيل الانتخابات الرئاسية التي أقيمت في الثامن من أبريل 2004م.

6 - إلهاء الناس عن التفكر في المظالم التي يمارسها الحكام، والتعمية على الممارسات والمظالم والفساد والانحراف الغارقة فيه هذه الأنظمة، فبدلاً من أن ينشغل الإنسان المصري - مثلاً- بالتفكير في ظروفه الاجتماعية، والاقتصادية السيئة، وبدلاً من أن يفكّر في فقره وبلائه، وبدلاً من أن يفكر في طريقة للخلاص من وضعه السيئ بالثورة على الحاكم؛ فإن الحاكم نفسه يعمل على شغل فكره من خلال تشجيعه للبدع والخرافات، فيجد عالمه وخلاصه في رحاب هذه الطقوس؛ وهكذا انشغل المصريون كلهم في هذه الحقبة من الزمن بالطرق الصوفية، وتركهم للحكام) [1].

7- قتل روح الجهاد في الأمة، وتقديم البديل عن الدين الصحيح؛ فلقد كانت ثورة يوليو المصرية تنظر نظرة عدائية لأي نشاط إسلامي حرّ، باستثناء الطرق الصوفية؛ حيث اعتبرتها أداة لفريق الثورة الذي كان يستهدف فرض الاشتراكية الإلحادية لا في مصر وحدها، بل في المحيط العربي كله.

وأصبح للطرق الصوفية مجلة تصدر عن مجلسهم الأعلى، وكانت شبه ناطقة باسم الحكومة، ومسوّغة لكل إجراءاتها الثورية الاشتراكية... وظلت السلطة مستمرة في دفع عجلة الصوفية للأمام على حساب الاتجاهات الدعوية الأخرى.

8- إرضاء أعداء الإسلام؛ حيث يقدمون لهم إسلامًا لا يُعادي أحدًا، ففي صيف (2001م) شنّت الحكومة اليمنية هجمة شرسة على جميع المعاهد الدينية؛ بحجة مكافحة الإرهاب، فقامت بإغلاقها عدا (دار المصطفى) بـ (تريم)، وهي تتبنى النهج الصوفي.

9- كسب ود الطرقيين واستمالتهم؛ حيث إنهم حشد قوي في أي انتخابات. يقول الباحث عمار علي حسن: "كانت الصوفية على رأس القوى الدينية التي استخدمها النظام المصري في تبرير وتدعيم سياساته، فحرص المسئولون على حضور موالد الصوفية واحتفالاتها، وخاصة المولد النبوي ومولد الحسين والسيدة زينب والسيد البدوي[2].

---

(2) نقض العرى.. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي، محمد بن عبد الله المقدي، مجلة البيان عدد223 بتصرف.

(1) دمعة على التوحيد.. حقيقة القبورية وأثرها في واقع الأمة، ص 186.

10- إعطاء الشرعية لهذه الأنظمة، ولا شك أن الشرعية الدينية للدول والأنظمة -مثلها مثل الشرعيات الأخرى، كالشرعية التاريخية والدستورية والثورية- تعد إحدى أهم الدعائم التي تقوم عليها نُظُم الحكم، لا بد أن يدعمها حتى ولو شكلاً وظاهرًا، وهذا ما يستغله القبوريون.

11- ضرب الاتجاهات الدينية المعارضة لهم: فرغم إعلان السياسيين العلمانيين أن لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، إلا أننا رأيناهم يدعمون القبوريين بانتهازية واضحة، باعتبارها مظهرًا من مظاهر الدين يمكن ضرب الصحوة الإسلامية به، وذلك بسحب البساط من تحت أرجلها باعتبار الدين أرضيتها التي تنطلق منها.

8- استغلالها من قبل أعداء الإسلام والمحتلين:

من الملاحظات الجديرة بأن نقف أمامها كثيرًا هي حالة الانتعاش الكبير التي تصيب الفرق المنحرفة في ظل الاحتلال - كالصوفية القبورية-، ولا يختلف اثنان أن هذه الفِرق هي المرتع الخصب الذي يرتع فيه الاحتلال، والذي يستطيع من خلاله أن يتمكن من البلاد والعباد، ولقد ساهمت هذه الطرق بمنتهى الإخلاص في هذا المجال.

لقد أدرك الإنجليز أن الطرق القبورية تلعب دورًا مهمًّا من خلال مزاولة أنشطتها بين الطبقة العامة من الشعب، فالصوفية والقبورية بدعوتها الظاهرية إلى الزهد، وترك مباهج الحياة والانصراف عن الدنيا، يمكن أن تُضفي الصبغة الدينية على موقف الخنوع والخضوع للمحتل الأجنبي بخلفيات قدرية اتكالية استسلامية، ولهذا حرصت سلطات الاحتلال في مصر وغيرها على إطلاق يد الطرق الصوفية في ممارسة أنشطتها، وقد ساعد على ذلك سيطرة سلطات الاحتلال على وزارة الداخلية مما مكّنها من السيطرة على تلك الطرق، ومعرفة تحركاتها وأساليبها وتوجيهها إلى الوجهة التي تضمن للمحتل خدمات أكثر.

(استمر هذا حتى بعد سقوط الدولة العثمانية؛ حيث احتضنت سلطات الاحتلال الأجنبي الطرق الصوفية في البلاد التي بسطت سلطانها عليها، وعمل بعض أولئك على رد الجميل للمحتلين، فكانوا يُضْفُون الشرعية على وجودهم، ويسوّغون للناس بقاءهم، ووصل الأمر إلى أن بعض مشايخ الصوفية في مصر، قاموا بجمع توقيعات أثناء ثورة 1919م تطالب ببقاء الإنجليز في مصر! وكان من هؤلاء شيخ الطريقة السمانية: محمد إبراهيم الجمل)[1].

وهل تعرف السبب الحقيقي في هزيمة "عرابي"؟! لقد شغل أهل الصوفية الجنود في التل الكبير في أذكار.. حتى نصف الليل.. ثم نام الجنود.. فدخل الإنجليز في الفجر!! [2].

---

(1) دمعة على التوحيد 204.

(2) الصُّوفِيَّةُ والوَجْهُ الآخَر د. محمّد جَميل غَازي .

وخدمات الصوفية للاستعمار الفرنسي أيضًا معروفة، ومن القصص ذات الدلالات القوية:

أن الشـــيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤســـس الطريقة "التجانية" في الجزائر تزوج في ســـنة 1870م بالفرنسية الآنسة أوريلي بيكار (مدام أو أيّم التجاني بعدئذ)، وقد أصدرت هي كتابًا فرنسيًّا في هذه الأيام أسـمته: "أميرة الرمال" تعني نفسـها، وقد ملأته بالمثالب والمطاعن على الزاوية التجانية، وذكرت فيه أن سـيدي أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكاردينال لافيجري على حسـب الطقوس المسـيحية؛ وذلك لأن قانون الزواج الفرنسـي كان دينيًّا مسـيحيًّا لا مدنيًّا، ولما توفي عنها سـيدي أحمد هذا خلفه عليها وعلى السـجادة التجانية أخوه سيدي علي! ولما أنعمت فرنسـا بوسـام الشـرف على هذه السيدة، قالت الحكومة في تقريرها الرسـمي ما نصـه: "لأن هذه السـيد قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسـنة كما تحب فرنسـا وترضـى؛ ولأنها كسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة، لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين (التجانيين)، ولأنها سـاقت إلينا جنودًا مجندة من "أحباب" هذه الطريقة ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص".

تعيش هذه السـيدة (أيم التجاني) في مزرعة لها كبرى في ضـواحي مدينة بلعباس – وهران عيشـة المترفين ذوي الرفاهية والنعيم، وهي الآن لم تقطع علاقاتها بالزاوية التجانية، بل لا تزال تسـيطر عليها، وتقبض على أزمتها، ومع أن الأحباب التجانيين يتبركون بهذه السـيدة، ويتمسـكون بآثارها، ويتيممون لصلواتهم على التراب الذي تمشي عليه، ويسمونها "زوجة السيدين"، فإنها لا تزال مسيحية كاثوليكية إلى هذه الساعة، ومن العجيب أن إحدى وستين سنة قضتها كلها في الإسلام وبين المسلمين من (1870–1930)، لم تغير من مسيحيتها شيئًا، وهذا دليل على ما كانت تكنّه في قلبها لهؤلاء الأحباب في رقابهم وأموالهم!! [1].

ومن القصـص ذات الدلالات أيضًـا: يقول الدكتور عمر فروخ: ذكر مصـطفى كامل بطل الوطنية المصـرية في كتابه (المسـألة الشـرقية) قصـة غريبة في أذن القارئ العادي، قال: "ومن الأمور المشـهورة عن احتلال فرنسـا للقيروان في تونس: أن رجلاً فرنسـيًّا دخل في الإسـلام، وسـمى نفسـه سـيد أحمد الهادي، واجتهد في تحصـيل الشـريعة حتى وصـل إلى درجة عالية، وعُين إمامًا لمسـجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنسـاويون من المدينة اسـتعد أهلها للدفاع عنها، وجاءوا يسـألونه أن يسـتشـير لهم ضـريح شـيخ في المسـجد يعتقدون فيه، فدخل (سـيد أحمد) الضـريح، ثم خرج مهولاً بما سـينالهم من المصـائب، وقال لهم: إن الشـيخ ينصـحكم بالتسـليم؛ لأن وقوع البلاد صـار محتمًا، فاتبع

(1) اعترافات خطيرة حور دور التصوف في خدمة المحتل، مجلة الراصد الإلكترونية العدد 43 محرم 1428هـ .
(2) دمعة على التوحيد ص77.

القوم البســـطاء قوله، ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع، بل دخلها الفرنســـاويون آمنين في 26 أكتوبر سنة 1881م[1].

وهذه الأحداث تبين لنا بجلاء مدى قابلية الطرق الصـــوفية على أن تُســـتغل من قبل أي قوة، وبالتالي هذا مما شـجّع المحتل على الاهتمام بهذه الطرق، والاهتمام كذلك بكل طقوسـها وبدعها، وكان من مظاهر هذا الاهتمام تشـــجيعها على مزاولة البدع، ومن هذه البدع الموالد، ومن أهم الموالد مولد الرسول ﷺ، ولعلنا نذكر بعض الأمثلة على ذلك:

يذكر الجبرتي أن الناس انكمشـــوا عن بدعهم خوفًا من الفرنســـيين، ولكن ما إن ســـمح لهم الفرنسـيون بها، بل شـجّعوها حتى تسـارع الناس إليها ملهوفين عليها. وذكر أن نابليون بونابرت سـأل الشـيخ البكري عن عدم إقامة المولد النبوي بعد احتلال القاهرة، فاعتذر الشـيخ البكري بتعطيل الأمور، وتوقف الأحوال، فلم يقبل نابليون بذلك، وقال: "لا بد من ذلك، وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنســي معاونة منه في إقامة هذا المولد، وأمر بتزيين البلد كالعادة، واجتمع الفرنسـيون يوم المولد، ولعبوا ميداينهم، وضـربوا طبولهم ودبادبهم. وقد كان نابليون يواظب على حضور المولد النبوي بنفسه".

وكما أمر الفرنسـيون بإقامة المولد النبوي، وإعادة الشـعائر المعطلة، فكذلك أُعيد المولد الحسـيني خوفًا منهم؛ حيث قام الشـيخ السـادات بعمله، وقد حضـر نابليون هذا المولد أيضًـا، بل كانوا يجبرون الناس ويقهرونهم على الاحتفال بهذه الموالد، ويغرمون من يأبى أن يحتفل بها، ويسمّرون دكانه.

إن المرء ليتساءل عن اهتمام الفرنسيين بإعادة هذه الموالد المبتدعة، وقهر الناس على الاحتفال بها، ودعمها بالمال؟!

ويجيبنا الجبرتي على هذا التســاؤل بما رآه الفرنســيون في هذه الموالد "من الخروج عن الشــرائع، واجتماع النسـاء، واتباع الشـهوات والتلاهي، وفعل المحرمات... لقد أدرك الفرنسـيون ما يقع بسـبب هذه الموالد من سلبيات، وما تستنفده من جهود وأموال، وتشـغله من أوقات وتفكير، وما في ذلك من صـرف للناس عن جهاد المحتلين ومقاومتهم، وهو ما لم يدركه الكثير من العلماء ممن شـــجعوا تلك الموالد، أو حتى غضّوا الطرف عنها... وكذلك أدركوا ما لتلك الموالد من مكانة عظيمة في حياة الناس، لذا سارعوا بإعادتها، حتى يلهوا الناس بها، وتعود الأمور إلى مجاريها، وكأن شـيئًا لم يحدث، ويغلقوا على أنفسـهم بابًا واسعًا من أبواب الثورة ...

وأخذ الفرنسـيون يفكرون في ما يغطون به سـخط الشـعب المصـري، ويقرب قلوب الناس إليهم، فرأوا أن من أجدى الوسائل التي قد تؤدي إلى ذلك إحياء الموالد، كما كانت في سالف الأيام.

أما المسلمون فقد كانت هذه الموالد في حسّهم من أعظم شعائر الدين التي يتقربون بها إلى الله عز وجل، وإلى أصـــحاب الموالد أنفســـهم، ويعتقدون وجوب إقامتها، والمداومة عليها، وبذل الغالي والنفيس لأجلها[1].

وَقدْ سَعَى النَّصَارَى الصَّلِيْبِيُّوْنَ في القرْنِ الماضِي في نشْرِ هَذِهِ الخرَافاتِ، وَصرَفوْا النّاسَ عَنْ دِينِهِمْ إلىَ الوَثنِيَّةِ، وَعَمّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ تِجَاهَ أُوْلئِكَ المسْتعْمِرِينَ، بِالتزْيين لهمْ أَفعَالهمْ عِنْدَ القبوْرِ وَمَعَ المقبوْرِين.

حَتَّى إنَّ بَعْضَ الجزَائرِيينَ يحكي: أَنَّ الفرَنسِيِّينَ لمّا اسْتَوْلوْا عَلى الجزَائرِ، كانوْا يَعْمَدُوْنَ إلىَ بَعْضِ المشَـاهِدِ وَالأَضْـرِحَةِ التي يُنْسَـبُ أَصْـحَابهَا إلىَ الصَّـلاحِ، فيَجْمَعُوْنَ النّاسَ لها ثمَّ يُوَجِّهُوْنَ المِدْفعَ إلَيْهَا مُظهرِيْنَ لهمْ أَنهُمْ يُرِيْدُوْنَ إصَابتهُ وَتدْمِيرَهُ، وَقدْ مَلؤُهُ بَارُوْدًا دُوْنَ ذخِيرَةٍ مَكرًا!

ثمَّ يُطلِقوْنَ عَلَيْهِ، فيدَوِّي صَـوْتُ المِدْفعِ، حَتَّى يَخالَ الحاضِـرُوْنَ أَنهُ قدْ أَصَـابهُ، ثمَّ يَنْظرُوْنَ فإذا هُوَ بَاقٍ مَكانهُ ! فيزِيدُ تعلقهُمْ بهِ وَاعْتِقادُهُمْ فِيْه[2]!

حين دخلت القوات الصـــليبية الأمريكية والبريطانية إلى البلاد الأفغانية، كان أول ما قاموا بـه أنهم فتحوا المزارات والأضـرحة، وسـمحوا للموالد أن تُقام وروّجوا لها. يقول أحد شـيوخ الطرق واسـمه (صـوفي محمد) وهو في الستين من عمره لوكالة (رويتـرز): (إن حركة طالبان المتعصبة أغلقت المزارات، وأوقفت الاحتفالات، ومنعتنا من حلقات الذكر والإنشـــاد طوال فترة حكمها، رغم أنها لم تتوقف حتى في وجود الحكم الشيوعي والاحتلال الروسي! وأنا سعـــيد جدًّا بسقوط تلك الحركة المتعصبة، وأمريكا سمحت لنا بممارســـة طقوسنا وإقامة موالدنا، ونحن نشكر لها ذلك وبشدة)، هكذا قال!! وهكذا فعلت أمريكا!! فتحت الأضرحة، وأقامت الموالد لإحياء البدعة، ومحاربة السنة، ولتشويه الإسلام...

وفي العراق أيضًا . في مدينة كركوك . أوضح عدد من أهالي المدينة أن مِن المتصوفة في المدينة مَن أخذوا يهادنون الاحتلال والحكومة المعينة خوفًا من الاعتقال، خاصـــة شـــيخ الطريقة الكســـتزانية ويدعى محمد الكســـتزاني، والذي أعلن قبل أشـــهر أن الجهاد في العراق ينبغي أن تنطبق عليه عدة شـــروط قبل إعلانه منها: صـــفاء القلب، وتحقيق الصـــلة بين العبد وربه. وهو ما أثار حفيظة المقاومة العراقية وأهالي المدينة على حد سواء[3].

وتسعى أمريكا وبكل جد لكسب ولاء هذه الطرق، ومثال ذلك حرص سيدي العارف بالله "فرانسيس ريتشـاردونى" السـفير الأمريكي – الأسـبق – في القاهرة على حضـور الموالد الدينية، وخصـوصًـا مولد

(1) نقلاً عن كتاب: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، (ص 379 – 382).
(2) انظر كتاب: مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، عبد العزيز بن فيصل الراجحي.

(1) نقض العرى .. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي، محمد بن عبد الله المقدي، مجلة البيان عدد 223.

العارف بالله السيد البدوي للسنة الثانية على التوالي– واستقبال محافظ الغربية للسفير بالأناشيد الدينية ومنها طلع البدر–!! وهذا الأمر له دلالات؛ ينبغي إمعان النظر فيها.

ولا يعني ذلك أن كل الطرق الصـــوفية على درجة واحدة من الولاء للمحتل – وزاد الحرص بعد 11 سبتمبر؛ حيث ظهرت التيارات الجهادية كعدو حقيقي، يمكن أن يقوّض هيبة أمريكا، وكانت أهداف أمريكا من وراء استغلال المولد كالتالي:

1– إبراز الصوفية كبديل عن التيارات الأخرى، وأنها تمثل الإسلام الصحيح: وترتكز فكرة الاستبدال على وجود رغبة عامة وعارمة لدى الجماهير في التدين. وكان الحل أن ندع المســـلمين يتدينون كما يريدون، لكن فلنقدم لهم نحن (التوليفة) المناسبة للتدين.

2– محاربة فكرة الجهاد الإســلامي، والتي تعتبر في رأيي أكبر ما يقضّ مضــاجع الأمريكان أن يروا انبعاث حركات المقاومة والجهاد في كل مكان؛ لذا يســـعون إلى القضـــاء على حركات المقاومة في كل مكان، كما يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال، وفى غيرها.

3– تمييع قضايا الولاء والبراء لدى المسلمين، وإبراز الأمريكان كمحبين للسلام، ومدافعين عن الإسلام الصحيح الذي يمثله الطرقيون.

4– اســتمالة الجهلاء وضــعاف النفوس ليدوروا في فلك المخططات الأمريكية للســيطرة على العالم الإسلامي، والقضاء على أيّ محاولة للنهوض مرة أخرى.

5– تحييد أكبر عدد من المسلمين في قضايا الصراع المعاصر، والإيحاء بأن صراعهم مع الإرهاب وليس الإسلام، ولما لا وهي تساعد التيارات الأكثر عددًا من المسلمين.

6– محاربة التيارات السياسية الإسلامية، وإفشال مشاريعها للوصول إلى الحكم، وتدمير المنهج السياسي في الإسلام، وبيان أن الإسلام لا يصلح لا للحكم ولا للسياسة، وأن المنهج الصحيح هو في الانكباب على الموالد والشطح والخرافة التي تمثلها الصوفية!!

ثانياً: استغلال الشيعة للقبورية في نشر باطلهم:

(1) بالنسبة للشيعة:

يجمع الباحثون والدارسون المتخصصون أن القبور والأضرحة هي صناعة شيعية بامتياز، وأن الشيعة هم وراء نشر القبورية في ربوع الدولة الإسلامية، وكانت القبورية في أوجّها إبان الحكم العبيدي لمصر والمغرب العربي – الدولة الفاطمية – وكان سبب ابتداعهم هذه البدع أن المسلمين في مصر

والشام لم يرتضوا سيرتهم في الحكم، وطريقتهم في إدارة شؤون الناس؛ لاسيما وقد انتشرت البدع، بل والشركيات، على أيديهم، فخاف بنو عبيد من ثورة الناس عليهم، فحاولوا استمالة قلوبهم، وكسب عواطفهم بإحداث الاحتفالات البدعية، فاخترع حاكمهم آنذاك المعز لدين الله العبيدي- مولد النبي وموالد أخرى مثل (موالد لفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، ولجماعة من سلالة آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم).

وهذا مما يؤكد أن هذه البدع منذ ظهورها إلى اليوم والهدف من ورائها هدف سياسي؛ إذ لولا الساسة لما قامت لها قائمة.

قال المقريزي: (وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة: النبوي، والعلوي، والفاطمي، والإمام الحاضر وما يهتم به، وقدم العهد به حتى نسي ذكرها، فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله، ويرددون الحديث معه فيها، ويحسنون له معارضة الوزير بسببها، وإعادتها، وإقامة الجواري والرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر) ا.هـ[1].

وقال الدكتوران حسن إبراهيم حسن -مدير جامعة أسيوط سابقًا- وطه أحمد شرف -مفتش المواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم-: "وكذلك كان المعز لدين الله يستغل هذه الأعياد التي كان زخر بها عهده في نشر خصائص المذهب الإسماعيلي وعقائده!! لذلك كان يحتفل بيوم عاشوراء ليحيي فيها ذكرى الحسين رضي الله عنه، كما كان يحيي ذكرى مولد كثير من الأئمة، وذكرى مولد الخليفة القائم بالأمر، وهكذا اتخذ المعز من الاحتفال بهذه الأعياد وسيلة لجذب رعاياه إليه، ونشر مبادئ المذهب الإسماعيلي) اهـ[2].

وكان هدف الشيعة من نشر هذه القبور والأضرحة هو:

1- نشر العقائد الشيعية؛ من خلال التذرع بحب آل البيت، والارتباط بهم، وهذا ما صنعه العبيديون من قبل، ويفعله أحفادهم والمتأثرون بهم في كثير من البلاد اليوم.

2- كسب ولاء الناس، والتعمية على تصرفاتهم القبيحة، وكفرهم الشنيع. ففي أواخر عهدهم أنشئوا المشهد الحسيني عام 550هـ عندما شعروا بأن سلطتهم قد ضعُفت ليجذبوا إليهم المصريين، وعهدوا إلى ابن مرزوق القرشي (564هـ) تربية مريدي الصوفية، فانتظم أتباعه في طوائف وطرق لنشر الدعوة الشيعية؛ إلا أن هذه التنظيمات انهارت بانهيار الدولة الفاطمية، وتحول المشهد الحسيني إلى ضريح صوفي[3].

---

(1) خطط المقريزي (432/1) .

(2) في كتابهما «المعز لدين الله»، تحت عنوان «الحفلات والأعياد»، (ص284).

(3) دمعة على التوحيد21 .

(3) دمعة على التوحيد21 .

3- نشر الفُرْقَة بين صفوف المسلمين، وإبعادهم عن العقيدة الصافية.

4- إضعاف المسلمين باستنزاف خيراتهم، ونشر المنكرات والفواحش بينهم.

5- إشغال المسلمين عن مقاومة أعدائهم، وإلهائهم عن الجهاد في سبيل الله.

الفصل الخامس

جهود علماء الإسلام قديمًا وحديثًا في محاربة القبورية

الفصل الخامس

جهود علماء الإسلام قديمًا وحديثًا في محاربة القبورية

أجمعت الأمة في كل زمان ومكان على مقاومة المد القبوري – الذي لا يتمكن في الأمة إلا في أزمان انتشار الجهل والضعف، أو بمؤازرة أعداء الأمة المحتلين أو الرافضة، كما رأينا من قبل– وغالبًا ما يشنّع هؤلاء القبورية على الأشخاص أو الحركات التي تفضح معتقداتهم، ويحاولون دائمًا أن يحصروها في بعض الأشخاص والحركات بعينها، مثل ابن تيمية أو الحركة الوهابية، أو السلفية بصفة عامة؛ حتى يسهل عليهم التشنيع بهم.

فشرعت في هذا الفصل في جمع جهود كثير من العلماء في كل زمان ومكان– قدر الإمكان–، ومن جميع المذاهب والمشارب؛ حتى يتضح أن الأمة كلها مجمعة على رفض الممارسات الشركية للقبوريين، وأن هذا الرفض ليس محصورًا في أشخاص بأعينهم أو حركات بذاتها.

جهود علماء المذاهب الأربعة
في مواجهة شركيات وبدع القبورية

أولاً: جهود علماء الحنفية في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

يعتبر كتاب "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" للدكتور" شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى:1420هـ)" –والذي نال به درجة العالمية الدكتوراه في العقيدة من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية– من أكبر المراجع وأفضلها التي حشد فيه مؤلفه رحمه الله آلاف الأدلة والنقول التي تبين وتثبت الجهود العظيمة لعلماء الحنفية في الذود عن عقيدة التوحيد الصافية، ومقاومتهم ومحاربتهم لقوى البدع والشرك من القبورية وغيرهم. فهو يُعد موسوعة في بيان جهود علماء الحنفية في مقاومة القبورية.

لذا أتمنى أن يقوم علماء كل مذهب أو جماعة من المسلمين بتجميع الدرر المتناثرة في كتب أهل العلماء ممن ينتمون إلى نفس المذهب؛ لبيان دورهم في محاربة الشركيات والبدع، فهذا بيان لإجماع أهل العلم في كل زمان ومكان على مقاومة الباطل وأهله، وفيه تأصيل لمسألة محاربة الشرك والشركيات.

وأعتقد أن هذا المرجع كافٍ ووافٍ لبيان المطلوب من إثبات دور علماء المذهب الحنفي في مقاومة شركيات القبورية؛ لذا سأقتنص منه أهم النقول التي تبين الحقيقة.

قال رحمه الله: " **المقالة الحنفية الحنيفية التي تقمع القبورية**[1]:

1– مقالة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد أئمة الحنفية: ((لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: أسألك بمعقد العز من عرشك، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استُفيد من قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف:180]، وكره قوله: "بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك أو بحق البيت الحرام)).

2– مقالة الفقهاء الحنفية: ((من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم؛ كفر)).

3– مقالة أخرى للفقهاء الحنفية: ((من ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاده ذلك؛ كفر)).

---

(1) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، دار الصميعي ط 1– 1416هـ– 1996م، (ج1/ص7).

4- مقالة الإمام ولي الله الدهلوي حجة الحنفية (1176هـــ): ((كل من ذهب إلى بلدة أجمير، أو إلى قبر ســالار مســعود، أو ما ضــاهاها لأجل حاجة يطلبها؛ فإنه آثم إثمًا أكبر من القتل والزنا، ليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات، أو مثل من كان يدعو اللات والعزى...)).

ثم بيَّن رحمه الله أن علماء الحنفية: "كانت لهم جهود عظيمة في الرد على القبورية، وكشف عوراتهم، وقطع دابرهم، وقمع شبهاتهم، وكسر جموعهم، وبيان فضائحهم، بنصوص دامغة صارمة قاطعة. فإن أصل مذهب الحنفية كله قضاء على القبورية من أصلها: فقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى مقالة حنفية حنيفية قاطعة لدابر القبورية في القديم والحديث، وهي مقالة سارت بها الركبان، وصارت لأهل التوحيد من أعظم البرهان... وهي قولته المشهورة المستفيضة: ((لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به....)). (1)

ومن أبرز علماء الحنفية الرادين على القبورية المبطلين لعقائدهم الوثنية: الإمام ابن أبي العز(792هـ)، والإمامان: البركوي(981هـ)، وأحمد الرومي (1043هـ)، وصنع الله الحلبي (1120هـ)، والإمام ولي الله الدهلوي(1176هـ)، وأسرته من أبنائه وأحفاده وأسباطه، ولاسيما العلامة إسماعيل المجاهد (1246هـ)، والأسرة الآلوسية ابتداء من الآلوسي الأب (1270هـ)، ثم الابن (1317هـ)، وانتهاء بالحفيد (1342هـ). وبعض الديوبندية، ولاسيما الفنجفيرية. (2)

فقد حكموا على القبورية بأنها فرقة مشركة وثنية عبدة القبور والأنصاب التي جعلوها أوثانًا، وأنصابًا بعبادتهم لها أنواعًا من العبادات، مع التصريح بعدم تكفيرهم قبل إيضاح المحجة، وإقامة الحجة كما هو منهج أهل السنة.

قلت: لقد صرح الحنفية بأنهم كانوا يستعينون به عند الشدائد كدأب قبورية اليوم، وبذلك كفروا، وأشركوا بالله في عبادته؛ قال الإمام ولي الله الدهلوي (1176هـ): (وكفر الله مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحاج: إنه نصب منصب الإلوهية؛ فجعلوا يستعينون به عند الشدائد).

قلت: هذا كله برهان، بل براهين على أن مشركي العرب من أعظم فرق القبورية في العالم، وأنهم أقحاح في القبورية، ومنه تبين أن المشركين كانوا يعبدون الصالحين دون الأحجار لا كما هو زعم القبورية الآن. (3)

قلت: ولقد علل كثيرٌ من علماء الحنفية نهيَ النبي ﷺ هذا عن زيارة القبور في بداية الإسلام؛ أنه ﷺ كان يخاف عليهم، لكون القبور مبدأ لعبادة الأصنام في العرب وقبله، فنهاهم أولاً لكونهم حديثي عهد بالشرك؛ سدًّا لذريعة الشرك، وحماية لحمى التوحيد؛ لأن زيارة القبور كانت تفتح عليهم باب عبادة

---

(1) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1/ص31).
(2) المصدر السابق (ج1/ص32).
(3) المصدر السابق (ج1/ص412).

القبور وأهلها؛ ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم، واطمأنت نفوسهم على تحريم عبادة غير الله- أذن لهم في زيارة القبور؛ للتزهيد في الدنيا، وتذكر الآخرة، والدعاء للأموات بالمغفرة. (1)

ولعلماء الحنفية كلام قامع للصوفية، قاطع لدابرهم، قالع لشبهاتهم ولهم تحقيقات كون الصوفية قبورية؛ بل هم أشنع قبورية هذه الأمة على الإطلاق وأبشعها؛ فهم ملاحدة اتحادية، وزنادقة حلولية، يعبدون القبور وأهلها على طريقة الوثنية.... قال ابن آصف الفنجفيري الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن: (وقد صنّف العلماء الربانيون في ردهم تواليف، وشنّعوا عليهم تشنيعًا بليغًا، لكن الزائغين المحرفين في دين الله يبتغون لذلك حيلاً، وأسسوا قواعد مزخرفًا بالأقوال المموهة الباطلة؛ والعجب عن بعض من ينتمون أنفسهم بشيوخ الحديث، فيدرسون في المشاهد دروسًا، ويقولون: قال الله تعالى، وقال رسوله ﷺ، ويكتمون الحق ويغمضون البصر مما يرون عباد القبور عليها عكوفًا، وينحرون عندها نذورًا، يمسحون أجداثًا، وشرعوا دينًا لم يأذن به الله؛ أعادوا بها معنى سواع ومثله... يغوث وود، بئس ذلك من ود، وقد هتفوا عند الشدائد باسمها... كما يهتف المضطر بالواحد الصمد، وكم نحروا في سوحها من بحيرة... أُهلت لغير الله جهلاً على عمد، وكم طائف عند القبور مقبلاً... ويلتمس الأركان منهن بالأيدي، فيجب على علماء الإسلام إزالة مواضع الشرك، وهدم الطواغيت) (2).

لقد أقام علماء الحنفية عدة براهين قاطعة، وكثيرًا من الحجج الساطعة على كون القبورية أهل شرك ووثنية وعبدة الأوثان والقبور.

الوجه الأول: أن علماء الحنفية قد حقّقوا أن القبورية يرتكبون أنواعًا من الشرك الأكبر؛ بعبادة القبور وأهلها: من السجود لها، والطواف بها، واتخاذها مساجد، والحج إليها، ونحوها، والصوم لأصحابها، والنذر لهم، والاستغاثة بهم في الملمات، واعتقاد علم الغيب فيهم، وإثبات التصرف في الكون لهم، وغيرها من العقائد الشركية الكفرية الوثنية.

الوجه الثاني: أنه قد حقّق علماء الحنفية أن القبورية أشد شركًا من المشركين السابقين؛ من حيث إنهم كانوا يخلصون الدعاء لله وحده في الملمات والكربات، بخلاف القبورية؛ فإنهم يستغيثون بالأموات عند إلمام الملمات.

الوجه الثالث: أن علماء الحنفية قد حقّقوا أن القبورية أعظم عبادة للقبور وأهلها منهم لله في المساجد، وأوقات الأسحار، وأن خوفهم من الأموات أشد من خوفهم من الله تعالى.

الوجه الرابع: أن القبورية لما كانوا يعبدون القبور وأهلها، صح -عند علماء الحنفية- إطلاق عدة أسماء وصفية تُشعر بأنهم وثنية، أهل شرك، عابدو غير الله جل وعلا؛ وليس هذا من باب نبذ الألقاب، بل من باب بيان الحق والجرح، فمنها ما يلي:

---

(1) المصدر السابق (ج1/ص413).

(2) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1/ص420).

1 – عباد القبور.

2 – عبدة القبور.

3 – أهل الشرك.

4 – أشباه عباد الأصنام.

5 – هم من جنس عباد الأصنام، والأوثان.

6 – المقابرية.

7 – القبوريون.

8 – الوثنية.

9– المشركون.

10 – عبدوا القبور وأصحابها.

11 – عابدو القبور.

12 – أشباه النصارى.

الوجه الخامس: أن علماء الحنفية قد حقّقوا: أن القبر إذا عُبِدَ من دون الله تعالى، يصير وثنًا من الأوثان التي عُبدت وتُعبَد من دون الله؛ فالوثن أعمّ من الصنم؛ فيشمل القبر وكل ما عُبد من دون الله؛ فإن الصنم ما كان له جسم أو صورة، وينقش، والوثن يُطلق على ما لم يكن له صورة، فالوثن عام، فقد يُطلق الوثن على الصليب أيضًا، وعلى كل ما يشغل عن الله تعالى، وبناء على أن القبورية جعلوا القبور أوثانًا يعبدونها من دون الله تعالى صح أنهم وثنية، كما صح أنهم عباد القبور، وتحقق أنهم أهل الشرك بلا شك.

الوجه السادس: أن علماء الحنفية قد ذكروا قول النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، واستدلوا به على أن القبر إذا سُجد إليه وعُبِدَ، يصير وثنًا من الأوثان التي تُعبد من دون الله. ولذلك ترى علماء الحنفية يطلقون كلمتي ((الوثن)) و((الأوثان)) على القبور التي عبدتها وتعبدها القبورية في أكناف العالم.

وهذا كله برهان باهر وسلطان قاهر على أن القبورية وثنية، مشركة، عبدة القبور وعباد الأوثان، والله المستعان.

قال الشيخ الرستمي: (فصحَّ أن القبر الذي تُنقل النذور إليه، ويُسجد له، ويدعى صاحبه في الحاجات ويُعبد؛ فهو داخل في الوثن والصنم والنصب، فما قال تعالى في كتابه في شأن الأنصاب يشمل القبر... وما قال في شأن الأوثان يشمل القبور أيضًا). [(1)]

قال الإمام قاسم بن قطلوبغا (879هـ)، وتبعه ابن نجيم الملقب بأبي حنيفة الثاني (970هـ) وخير الدين الرملي (993هـ) وسراج الدين عمر بن نجيم (1005هـ)، وعلاء الدين الحصكفي (1088هـ) وابن عابدين الشامي (1252هـ)، والعلامتان: شكري الآلوسي (1342هـ) والخجندي (1379هـ)، واللفظ للأول؛ مبينين أحوال القبورية في عصورهم وعبادتهم لغير الله بالنذور، والنداء والاستغاثة، وغيرها من أنواع العبادة: (وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام –على ما هو مشاهد– كأن يكون لإنسان غائب، أو مريض، أو له حاجة ضرورية؛ فيأتي بعض قبور الصلحاء، فيجعل ستره على رأسه؛ فيقول: يا سيدي فلان! إن رُد غائبي، أو عُوفي مريضي، أو قضيت حاجتي؛ فلك من الذهب كذا، ومن الفضة كذا، ومن الطعام كذا، ومن الماء كذا، ومن الشمع كذا، ومن الزيت كذا: فهذا النذر باطل بالإجماع؛ لوجوه: منها: أنه نذر لمخلوق؛ والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت؛ والميت لا يملك، ومنها: [أنه] إن ظن: أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاده ذلك كفر...). [(2)]

وقال الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي الملقب عند الحنفية بالإمام الرباني، ومجدد الألف الثاني (1034هـ)، وتبعه الشيخ محمد مراد المنزاوي المكي، مشتكيًا حال القبورية إلى الله، مبينًا أن الشرك قد عمَّ وطمَّ في جهلة أهل الإسلام رجالاً ونساء في الهند بطولها وعرضها: (التبري من الكفر شرط الإسلام، والاجتناب عن شائبة الشرك توحيدٌ، والاستمداد من الأصنام والطاغوت في دفع الأمراض والأسقام، كما هو شائع فيما بين جهلة أهل الإسلام– عين الشرك والضلالة... وأكثر النساء مبتليات بهذا الاستمداد الممنوع عنه، بواسطة كمال الجهل فيهن يطلبن دفع البلية من هذه الأسماء الخالية عن المسميات، ومفتونات بأداء مراسم الشرك وأهل الشرك، خصوصًا وقت عروض مرض الجدري... فإن ذلك الفعل مشهود ومحسوس، من خيارهن وشرارهن، في ذلك الوقت؛ بحيث لا تكاد توجد امرأة خالية من دقائق هذا الشرك... إلا من عصمها الله تعالى... كما أن جهلة أهل الإسلام خصوصًا طائفة نسائهم– يؤدون رسوم أهل الكفر... وكل ذلك شرك وكفر بدين الإسلام؛ قال الله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}[يوسف:106]، وما يفعلونه من ذبح الحيوانات عند قبور المشايخ المنذورة لهم– جعله الفقهاء أيضًا في الروايات الفقهية داخلاً في الشرك... ومثل ذلك صيام النساء بنية المشايخ... ويطلبن

---

(1) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1/ص425–430).

(2) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1/ص 449).

حوائجهن منهم بواسطة ذلك الصيام، ويزعمن قضاء حوائجهن منهم، وهذا الفعل إشراك للغير في عبادة الله تعالى، وطلب لقضاء الحوائج من الغير بواسطة العبادة إليه). [1]

وقال العلامة شكري الآلوسي (1342هـ) مبينًا أن القبورية عمّت وطمّت حتى ابتُلي بها كثير من العلماء، فضلاً عن العوام والصوفية: (وقد رأيت – والله! – بعيني رأسي من سجد للأعتاب، معرضًا عن رب الأرباب، ولا أقول: إن العوام فقط على هذا المنوال، فكم قد رأينا وسمعنا عمن يدّعي العلم قد فعل هذه الفعال، وأما من ينتسب إلى طريقة من الطرائق الكثيرة – فعنده: أن الاستمداد من روحانية المشائخ والاستغاثة بهم من الواجبات الشهيرة؛ فلا حفظ الله لهم حريمًا، ولا صان لهم أديمًا، نسأله أن يطهّر الأرض من أمثالهم، ويريح المسلمين من كفرهم وإضلالهم) [2].

وقال العلامة الخجندي رحمه الله (1379هـ) بعد أن حقّق أن الاستغاثة بالأموات، عند الكربات والمام الملمات، من أعظم العبادات، وأكبر الشركيات، مبينًا أن أكثر أهل بلاد ما وراء النهر والبلاد التركية وبخارى والبلاد الهندية والبلاد الأفريقية – قبورية: (فعلى كل طالب للحق بمطالعة تلك الكتب (كتب شيخ الإسلام وكتبه هو)، ولا يكن كأكثر البخاريين والهنديين والأتراك والأفريقيين، عبادًا لأهل القبور والأرواح. فإنهم بهذا الاعتقاد مشركون، ولا ينفعهم عند الله دعوى الإسلام، أو المجاورة في الحرمين، إلا إذا تابوا وأصلحوا وبينوا...).

وقد أشار –رحمه الله– إلى كثرة القبورية في بلاد ما وراء النهر، والروسية وتركستان وبخارى، والبلاد الروسية قائلاً: "إن سبب غلبة البلاء الأحمر السوفييت على هذه البلاد إنما هو الشرك وعبادة القبور"، ثم حذَّر –رحمه الله– أهل الهند بقوله: "يا أهل الهند! إني أخاف أن ينزل الطوفان الأحمر (السوفييت) عليكم وعلى بلادكم بسبب عبادة القبور وأهلها، فعليكم أن تستيقظوا من رقدتكم، وتنتبهوا من غفلتكم، وتوبوا إلى ربكم". [3]

وقال ابن آصف الفنجفيري (1407هـ) الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن مبينًا أن القبورية قد عمت البلاد والعباد إلا من رحمه ربك: (وقلما تجد بلدة إلا ولها آلهة تُعبد ويُستغاث بهم ويعتقد أهلها فيهم أنهم يتصرفون فيها، جعلوهم للنصر، والرزق، والأولاد، ودفع الضر، وينذرون لهم. وقد امتلأت بلاد الأفاغنة (أفغانستان وما والاها) منها، حتى جعلوا الأعياد، والعروس على قبورهم في كل سنة وكل شهر وخميس وأحد، وغير ذلك من الأيام، فلذا قال الإمام ولي الله الدهلوي: وما من بلدة إلا ولها آلهة تُعبد. [4]

---

(1) المصدر السابق (ج1/ص 425).
(2) المصدر السابق (ج1/ص467).
(3) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1/ص 475).
(4)جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1/ص476).

نصوص علماء الحنفية في الردّ على عقيدة القبورية في زعمهم تصرف الأموات والصالحين في الكون، وبيان أن هذه العقيدة عقيدة شرك وكفر:

– فتوى جمع من فقهاء الحنفية وأئمتهم في تصرُّف الأموات: (ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك شيئًا، ومنها أن من ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاد ذلك كفر).

– فتوى جماعة من فقهاء الحنفية وكبارهم في تصرف الأرواح وتشكلهم وإتيانهم وحضورهم: قالوا: (من قال أرواح المشائخ حاضرة تعلم، يكفر).

– كلام جمع من كبار علماء الحنفية في الرد على القبورية، واللفظ للآلوسي (1270هـ) قالوا: (وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير، وخَطْب جسيم في بر أو بحر: دعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع). [(1)]

– قول الإمام البزازي (827هـ)، وغيره من كبار أئمة الحنفية: (سُئل الزعفراني: عمن يزعم: أنه رأى ابن أدهم يوم التروية بكوفة ورآه أيضًا في ذلك اليوم بمكة. قال: كان ابن مقاتل يكفر... وقال محمد بن يوسف: يكفر، وعلى هذا ما يحكيه جهلة خوارزم: أن فلانًا كان يصلي سُنة الفجر بخوارزم، وفرضه بمكة). [(2)]

– كلام العلامة شكري الآلوسي (1342هـ) في إبطال مزاعم القبورية في الغوث: (أما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع– فهذا قد يقوله طوائف من الناس، ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام؛ مثل تفسير بعضهم: أن الغوث الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم؛ حتى قد يقولون: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته؛ فهذا من جنس قول النصارى في المسيح، والغالية في عليّ؛ وهذا كفر صريح يُستتاب صاحبه؛ فإن تاب، وإلا قُتل...). [(3)]

– وقال أيضًا رحمه الله، في بيان أن القبورية وصلوا في الشرك إلى حدٍّ أشركوا بالله حتى في الربوبية، فصار إشراكهم عند الاستغاثة بالأموات، واعتقادهم التصرف بهم، أعظم وأشد من شرك المشركين الأولين: (ما يعتقده عباد القبور في معبوداتهم من الصالحين وغيرهم، وأن لهم قدرةً على إجابة المضطر، وإغاثة الملهوف، وقضاءِ حوائج السائلين، فهذا شرك في الربوبية، لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية، بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفًا وتدبيرًا) [(4)].

– وقال أيضًا –رحمه الله– مبينًا أن القبورية أعظم شركًا من أهل الجاهلية الأولى في باب الاستغاثة بالأموات عند الكربات، ونزول البليات، وإلمام الملمات: (ومن ذهب إلى مشاهد أهل البيت وغيرهم من

---

(1) المصدر السابق (ج2/ص959).
(2) المصدر السابق (ج2/ص968).
(3) المصدر السابق (ج2/ص971).
(4) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج2/ص1182).

الأولياء في بغداد في موسم الزيارات– تحقق ما ذكرناه، واستقل بالنظر إلى فعل هؤلاء ما كان يفعله المشركون عند آلهتهم كاللات والعزى، وقد رأيت والله بعيني رأسي من سجد للأعتاب، معرضًا عن رب الأرباب، ولا أقول: إن العوام فقط على هذا المنوال، فكم قد رأينا وسمعنا عمن يدعي العلم– قد فعل هذه الفعال!).

– وقال رحمه الله، مبينًا أن عباد القبور أشد شركًا من عُباد الأصنام: (والرسول ﷺ أبطل دين المشركين، ومداره على الاستغاثة والالتجاء إلى غيره، وهي كانت عبادة الوثنيين، وكالذبح، والنذر، غير أنهم كانوا عند النوائب ليستغيثون بالله سبحانه، بخلاف عُباد القبور في عصرنا).

– وقال رحمه الله مبينًا أن شرك القبورية أدهى وأمرّ من شرك المشركين السابقين: (.. يغالون في الصالحين بما لا يرضى الله به، ويبنون على قبورهم المساجد والمشاهد، ويوقدون السرج، إلى غير ذلك من البدع، ثم إنهم يندبونهم في المهمات، ويستغيثون بهم عند طلب الحاجات، وكل ذلك وأمثاله مما لا يرضى به الله ورسوله، ولا أهل العلم والدين، فإنه من أفعال مشركي العرب في الجاهلية، بل هو أدهى وأمرّ).[(1)]

– وقال العلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي (1379هـ) –رحمه الله– مبينًا أن القبورية أشد شركًا في باب الاستغاثة من الوثنية الأولى: (إن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات، لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن [أهل] الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، كما حكاه الله تعالى عنهم في [عدة] آيات، بخلاف المعتقدين في الأموات، فإنهم إذا دهمتهم الشدائد– استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقل من يستغيث بالله سبحانه وحده في تلك الحال).[(2)]

– وقال الأئمة الثلاثة: محمد البركوي (981هـ)، وأحمد الرومي (1043هـ)، والشاه ولي الله الدهلوي (1176هـ)، والشيوخ الثلاثة: سبحان بخش الهندي، وإبراهيم السورتي، ومحمد علي المظفري، واللفظ للأول: مبينين أن القبورية بدّلوا شرع الله في زيارة القبور، كتبديل اليهود، ولكن القبورية فاقوهم بكونهم أشد خضوعًا عند قبور الأموات، الذين يستغيثون بهم، منهم لله في المساجد والأسحار من الأوقات: (فبدّل أهل البدع، والضلال، قولاً غير الذي قِيلَ لهم [في زيارة القبور]، فإنهم بدّلوا الدعاء له [أي الميت] بدعائه نفسه، أو بالدعاء به، وبدّلوا الشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانًا إلى الميت، وإلى الزائر– سؤال الميت، والإقسامَ به على الله تعالى، وخصصوا تلك البقعة بالدعاء الذي

---

(1) المصدر السابق (ج2/ص1182).

(2) المصدر السابق (ج2/ص1186).

هو مخّ العبادة، وجعلوا حضورَ القلب، وخشوعه عندها أعظمَ منه في المساجد، وأوقات الأسحار...).[1]

– وقال الشيخ أبو الحسن الندوي، مبينًا أن القبورية أعظم خوفًا من الأموات، منهم لخالق الكائنات، كاشفًا عن حال القبورية في الشام وغيرها: (يخشون القبور وأصحابها، ولا يخشون الله !! حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذين لا يتحاشون فيما يفعلون من القبائح – كان إذا رأى قبة البيت، أو الهلال الذي على رأس الميت– خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض...).

– وقال: (وقاحة المشركين [يعني القبورية] وجرأتهم!! ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبًا [يعني بالله]، ولا يجترئ أن يحلف بشيخه اليمين الغموس كاذبًا...).ا.هـ[2].

وقال الشيخ محمد سلطان بن أبي عبد الله المعصومي – رحمه الله تعالى – وهو من علماء الحنفية (ت 1318هـ)– في كتابه (حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد) ص(315) – بعد أن ذكر ما يقع فيه بعض الجهال من الاستغاثة بالأولياء والصالحين–: (يا أيها المسلم العاقل الصحيح الإسلام، تدبر وتفكر، هل ثبت أن أحدًا من الصحابة –رضي الله عنهم– نادى النبي ﷺ في حياته أو بعد مماته من بعيد واستغاث به؟ ولم يثبت عن أحد منهم أنه فعل مثل ذلك ! بل قد ورد المنع من ذلك... إلى أن قال: وها أنا أذكر من نصوص المذهب الحنفي –من الكتب المعتبرة والفتاوى المشهورة– ففي شرح القدوري: "إن من يدعو غائبًا أو ميتًا عند غير القبور، وقال يا سيدي فلان ادع الله تعالى في حاجتي فلانة، زاعمًا أنه يعلم الغيب، ويسمع كلامه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وأوان، فهذا شرك صريح، فإن علم الغيب من الصفات المختصة بالله تعالى، وكذا إن قال عند قبر نبي أو صالح: يا سيدي فلان اشف مرضي، واكشف عني كربتي، وغير ذلك، فهو شرك جلي، إذ نداء غير الله طالبًا بذلك دفع شر أو جلب نفع فيما لا يقدر عليه الغير دعاء، والدعاء عبادة، وعبادة غير الله شرك)... (ثم نقل المعصومي عدة نقولات عن أئمة الحنفية مما يدل على هذا المعنى) ([3]).

وقال الشيخ المعصومي– أيضًا– بعد أن ضرب عدة أمثلة لاستغاثات الصوفية بالأولياء، ثم قال: (اعلموا أيها المسلمون، يا أيها الحنفيون، هداني الله وإياكم، أنَّ هذه الكلمات كلَّها شرك، وكفر، وضلال في الدين الإسلامي، والشرع المحمدي، والمذهب الحنفي، بل والمذاهب الأربعة إجماعًا، وقائلها

---

(1) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (جـ2/ص1203).

(2) المصدر السابق (جـ2/ ص1227).

(3) أقوال أهل العلم في الاستغاثة بغير الله تعالى، على الرابط التالي:

http://www.ikhwan.net/vb/showthread.php?t=17049.

مشرك لا تصحّ صلاته، ولا صيامه، ولا حجه، ولا إمامته، إلاَّ إذا تاب، وآمن، وأعلن توبته كما أشهر شركه) المصدر: كتاب حكم الله الواحد الصمد ([1]).

وقال الزبيدي: ((وقبيح بذوي الإيمان أن يُنزلوا حاجتهم بغير الله تعالى، مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته، وهم يسمعون قوله تعالى: { **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**} إتحاف السادة المتقين ([2]).

ثانيًا: جهود علماء المالكية في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

قام الدكتور محمد بن عبد الله الخميس بجهود طيبة في تجميع الآثار الواردة عند المالكية، والتي تثبت جهودهم في تقرير العقيدة الصحيحة، ومقاومة الشركيات والبدع، لاسيما شركيات القبورية، وقد ألف رسالتين قيمتين الأولى بعنوان "المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد"، والثانية بعنوان "بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية" في بيان دور علماء المذاهب والمذهب المالكي في مقاومة القبورية، كما توجد رسالة جامعية قيمة بعنوان "جهود أئمة المالكية في تقرير توحيد العبادة" للشيخ: عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن العرفج، كما توجد رسالة دكتوراه من جامعة إفريقيا العالمية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بعنوان "جهود أئمة المالكية في تعزيز مسائل العقيدة الإسلامية" للباحث عمر محيي الدين الخليفة.

مما جاء في كتاب "بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية" للخميس:

"جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه: النهي عن ما هو من وسائل الشرك، كتجصيص القبور، وتعليتها، والكتابة عليها، والبناء عليها، واتخاذها مساجد، واستقبالها للدعاء، والسجود عليها، والصلاة عليها، وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة.

وقال الإمام مالك: «أكره تجصيص القبور، والبناء عليها، وهذه الحجارة التي يُبنَى عليها»[(3)].

---

(1) الردّ على المدعو دويسان، وكشف باطل المفترين على أهل السنة البهتان، حامد بن عبد الله العلي، على الرابط التالي:

http://www.h-alali.org/files/twesan.doc

(2) أقوال أهل العلم في الاستغاثة بغير الله تعالى، مرجع سابق.

(3) المدونة (478/1).

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يُدْفَن في المسجد قال: «وإذا منع من ذلك، فسائر آثاره أحرى بذلك، وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان؛ مخالفةً لليهود والنصارى».

وقال القرطبي: «وقال علماؤنا: وهذا يحرّم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»، وقال ابن رشد: «إن فات– يعني صلاة الجنازة– لم يصل عليه؛ لئلا يكون ذريعة الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[(1)].

وقال ابن رشد كذلك: « كره مالك البناء على القبر وأن يُجعل عليه البلاطة المكتوبة»[(2)].

قال القرطبي: في شرح حديث النبي ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»، أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي ذلك إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذّر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وسدَّ الذرائع المؤدية إلى ذلك.

إلى أن قال: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا، فذلك يُهدم ويُزَال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبهًا بمن كان يعظّم القبور ويعبدها».

وقال الإمام مالك: «لا أرى» أن يقف عند قبر النبي، ﷺ، يدعو ولكن يسلم ويمضي. ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوطة، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان.

وقال أيضًا في المبسوطة: «لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي ﷺ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر».

قيل له: فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلى ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده. [(3)]

... وقال القرطبي: «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة – رضي الله عنها – أن أم حبيبة وأم سلمة – رضي الله عنهن – ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[(4)].

---

(1) البيان والتحصيل للقرطبي (255/2).
(2) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (481/5).
(3) انظر كل هذه النقول في المدخل لابن الحاج (262/1).
(4) أخرجه البخاري (427) ، ومسلم (528).

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله –عز وجل– عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها، فحذّر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك[1].

وقال ابن الحاج في المدخل: «لا يجوز الطواف حول الأضرحة، فإنه لا يُطاف إلا بالبيت العتيق، وكذا لم يُشرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود».

وقال أبو بكر الطرطوشي: «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أمر بقطع الشجرة التي بُويِعَ تحتها النبي ﷺ؛ لأن الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عمر الفتنة عليهم... [2]

قال: وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[3].

وقال الطرطوشي: «قال عمر بن الخطاب إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا؛ كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعًا، فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصلّ، ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها».[4]

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر، ودعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والنذر لغير الله، والذبح لغير الله، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرّف في الكون مع الله، أو اعتقاد أن أحدًا يعلم الغيب، أو الحلف بغير الله، أو اعتقاد أن للكواكب تأثيرًا في إنزال المطر والتوكل على غير الله.

قال ابن العربي: «مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبى لإطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربع سواها لا أمارة عليها، فكل من قال: إنه ينزل الغيث غدًا فهو كافر، أخبر عنه بأمارات ادعاها أو بقول مطلق، ومن قال: إنه يعلم ما في الرحم، فهو كافر... وأما من ادعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره أيضًا، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر، فقد قال علماؤنا: يُؤدب ويُسجن، ولا يكفر، أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنه أمرٌ يُدرك بالحساب، وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله سبحانه في قوله جل وعلا: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾، لحسابهم له، وإخبارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبهم فلأنهم يدخلون

---

(1) تفسير القرطبي (85/2).
(2) الاعتصام للشاطبي (448/1).
(3) البدع لابن وضاح (ص 91– 92).
(4) الدرر السنية (10/ 186).

الشك على العامة في تعليق العلم بالغيب فتتشوش عقائدهم في الدين، وتتزلزل قواعدهم في اليقين، فأُدبوا حتى يُسِرُّوا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[(1)].

وقال ابن عبد البر: (لا يجوز الحلف بغير الله –عز وجل– في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مُجْمَع عليه، وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديدًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك» ذكره أبو داود وغيره. وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»...)[(2)].

وقال ابن رشد: «والمحظورة أن يحلف باللات، والعزى، والطواغيت، أو بشيء مما يُعبَد من دون الله تعالى؛ لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى».

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي ذكر عليه غير اسم الله تعالى، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل؛ فالوثني يذبح للوثن، والمجوسي للنار، والمعطل لا يعتقد شيئًا فيذبح لنفسه، ولا خلاف بين العلماء أن ما ذبح المجوسي لناره، والوثني لوثنه لا يؤكل... ومنه إهلال الصبي واستهلاله وصياحه عند ولادته، وقال ابن عباس وغيره: المراد ما ذُبح للأنصاب والأوثان.. وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبّر عن النية التي هي علة التحريم، ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل التي نحرها غالب أبو الفرزدق، فقال: إنها مما أُهِلَّ لغير الله به، فتركها الناسُ، قال ابن عطية: ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سُئل عن امرأة صنعت لِلُعَبِهَا عرسًا، فنحرت جزورًا، فقال الحسن: لا يحل أكلها، فإنها إنما نُحرت لصنم.[(3)]

وقال الميلي: «دعاء غير الله... فهو شرك صريح وكفر قبيح، وله نوعان: أحدهما: دعاء غير الله مع الله، كالذي يقول: يا ربي، ويا شيخي، يا ربي وجدي، ياالله وناسه، ياالله وسيدي عبد القادر، وسمعت كثيرًا يحكون أنهم كثيرًا ما يسمعون فلانًا يقول: يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي، ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش إحدى فصائل أولاد العباد... وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح؛ لأن الداعي عطف غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة، وهي تقضي مشاركة ما بعدها في الحكم، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء.

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي (2/ 738).

(2) التمهيد لابن عبد البر (14/ 366 – 367).

(3) تفسير القرطبي (2/ 223).

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول: يا رجال الدالة، يا دوان الصالحين، وإطلاق الشرك على هذا النوع باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يبرأ منه في العقد، فكأن الله في كلامه مضمر »[1].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: «قد نهي عن النذر، وندب إلى الدعاء، ويظهر به التوجه إلى الله –تعالى– والتضرع له، وهذا بخلاف النذر، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول، وترك العمل إلى حين الضرورة»[2].

قال ابن عبد البر: « يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد»، وقال: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة، أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يُعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يُصنع بالصنم، فقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا»[3] يُصلَّى إليه، ويُسجد نحوه، ويُعبَد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله ﷺ يحذّر أصحابه، وسائر أمته الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدًا كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ، يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنها ممالا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم»[4].

وقال الميلي: «مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلهية: إن ما وقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدين، وبالغوا في التبرك بالصالحين، فإن الله يقول: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾، وعلماء الاجتماع يقولون: "التاريخ يعيد نفسه". والمتكلمون يحكمون بأن: "ما جرى على المثل يجري على المماثل"، فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدين إلى جهالة المشركين، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غشّ وتضليل وجحدٌ للشريعة وتعطيل.

وقال: ألست ترى في أوساطهم قبابًا تُبذَل في شيدها الأموال، وتُشَدّ لزيارتها الرحال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بِدُور تُنْعَت بدار الضمان تشترى ضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرية نسب للمرابطين إعطاؤها بقوة غيبية. أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدسون صفتهم مرابطين أو طرقيين هذا إلى اجتماعات تُنتهك فيها كل الحُرمات باسم

---

(1) بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية، د. محمد بن عبد الله الخميس، دار الوطن ص 15–32 .

(2) انظر سبل السلام للصنعاني (6/ 369).

(3) أخرجه أحمد (7352)، وأبو يَعْلَى (6681) وصححه الألباني.

(4) التمهيد لابن عبد البر (5/ 45).

الزردات، أو تحت ستار الاعتقادات، والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدَّت الناس عن اتباع السنة المطهرة، والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره، وتعدد مظاهره وآثاره».

وقال: وإذا قيل للناس أن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان، قالوا: إنكم تسبّون الصالحين! يا إخواننا افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء، فإن كل ما نُصب ليُعبَد من دون الله فهو وثن أو صنم، وكل من عبَده فهو هالك، وليس كل معبود من دون الله هالكًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ، فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى وليّ صالح.

وقال: وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية، فلو فرضنا أحدًا نذر لها شيئًا فهو عاصٍ بالوفاء به، فإن أضاف إليه التقرب من صاحبها فهو مشرك.

وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة وسائر المتمولات، ويعتقدون أن نذرهم سبب يقربهم من رضى المنذور له، وأن لذلك المنذور له دخلاً في حصول غرضهم، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقًا بمن نذروا له واشتدت خشيتهم منه، وبذلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعويض الغنم بالظباء. فالعرب مع أصنامهم أقل هيبة من هؤلاء مع أوليائهم، وإن تساوى الفريقان في حق من ألهوه أكثر من اعتبار حق الإله الحق، ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبالي مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة أو بهما معًا، ومن صلى وزكى لا ينكر على تاركهما ما ينكره على من تراخى في زيارة شيخ طريقة، أو إقامة زردة أو أداء وعدة، وكذلك ما حكاه القرآن عن العرب في آياته: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾**[1]...

وقال: «إن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله، جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[2].

وقال: «وقد يعبّرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد من أرواح الصالحين، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم، يتصرفون في العالم، ويقضون حاجات قاصديهم، ويستدل مستدلهم بما ورد في حياة

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 100.

(2) الكشف المبدي (253/1) .

الأرواح مما قدمنا أصحه وأصرحه، فيتخذون المزارات يبنون عليها البناءات، ويرون أن روح الصالح فلان هنالك، إما لأنه دُفن هنالك أو جلس به، بل تجد بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد –رحمه الله– وهو لم يعرف تلك الأمكنة ولا سمع بها، وهذه المزارات الجيلانية تجدها غربي وطن الجزائر أكثر منها في شرقه، أما أن يكون للصالح الواحد قبران فهذا نعرفه لغير الصالح وأشهرهم بوطننا الشيخ محمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا. ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والمسح بالحيطان وكل ما يضاف على ذلك المكان».

وقال: « نهى الرسول ﷺ عن الحلف بالمخلوق فأبى أكثر الناس إلا الحلف به، وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر، فأجروا هذه اليمين على ألسنتهم أكثر من اليمين بالله، وأمر من حلف بالله أن يصدق، فتلاعبوا باليمين الشرعية، واحترموا اليمين الشركية»[1].

وقال ابن عاشور عن خطورة الشرك: «أكبر الاعتداء؛ إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم؛ لأن من حقه أن يُفرَد بالعبادة اعتقادًا وعملاً وقولاً؛ لأن ذلك حقه على مخلوقاته، ففي الحديث: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»... إلى أن قال: وذلك أن الشرك جمع بين الاعتراف لله بالإلهية والاعتراف لغيره بالربوبية أيضًا، ولما كان الاعتراف لغيره ظلمًا كان إيمانهم بالله مخلوطًا بظلم».ا.هـ[2].

وقال أيضًا في تفسيره: "وقد كان اتخاذ المساجد على قبور الصالحين من سنة النصارى، ونهى عنه النبي ﷺ كما في الحديث يوم وفاة رسول الله ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبرُه»[3]، أي لأبرز في المسجد النبوي ولم يُجعل وراء جدار الحجرة. واتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها منهي عنه؛ لأن ذلك ذريعة إلى عبادة صاحب القبر أو شبيهٌ بفعل من يعبدون صَالِحي مِلَّتِهِم. وإنما كانت الذريعة مخصوصة بالأموات؛ لأن ما يعرض لأصحابهم من الأسف على فقدانهم يبعثهم على الإفراط فيما يحسبون أنه إكرام لهم بعد موتهم، ثم يتناسى الأمر ويظن الناس أن ذلك لخاصية في ذلك الميّت. وكان بناء المساجد على القبور سُنة لأهل النصرانية، فإن كان شرعًا لهم فقد نسخه الإسلام، وإن كان بدعة منهم في دينهم فأجدر ا.هـ[4].

وقال أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية لما ذكر حديث الشجرة المسماة بذات أنواط: (فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة، أو شجرة يقصدها الناس، ويُعظمون من شأنها، ويرجون البُرءَ، والشفاء لمرضاهم من قِبَلِها؛ وينوطون بها المسامير، والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها)[5].

---

(1) بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية، د. محمد بن عبد الله الخميس، دار الوطن ص 15–32 .

(2) التحرير والتنوير (85/5).

(3) أخرجه البخاري (435) ومسلم (531).

(4) التحرير والتنوير (290/15).

(5) كتاب الحوادث والبدع ص39.

وقال القرطبي - رحمه الله-: قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتآنسوا برؤية تلك الصُّوَر ويتذكَّروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله -عزَّ وجلَّ- عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثمَّ أنهم خَلَف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها؛ فحذَّر النبيُّ ﷺ عن مثل ذلك، وشدَّد النكير والوعيد على من فعل ذلك، وسدَّ الذرائع المؤدِّية إلى ذلك، فقال: "اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد"[1].[2]

---

(1) تفسير القرطبي (380/10) .

(2) للمزيد انظر بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية، د. محمد بن عبد الله الخميس، دار الوطن ص 15-32 .

ثالثًا جهود علماء الشافعية في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

توجد رسالة هامة بعنوان "جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة" للدكتور عبد الله العنقري، جمع فيه مئات النقول من مذهب الشافعية يرد بها على شركيات القبورية.

وكذلك توجد رسالة بعنوان "جهود علماء الشافعية في بيان صور الشرك وذرائعه" ومما جاء فيها:

فعلماء الشافعية –رحمهم الله– لهم جهود مشكورة في سدّ منافذ الشرك حماية لجناب التوحيد، فقد جاء عن الإمام الشافعي وأتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور وتعليتها والبناء عليها والكتابة عليها وإسراجها واتخاذها مساجد والصلاة إليها وتقبيلها ومسحها باليد...

قال الإمام الشافعي – رحمه الله -: ((يكره أن يجصص القبر وأن يكتب عليه اسم صاحبه أو غير ذلك وأن يبنى عليه)). [1]

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله –: (وأكره أن يُبنَى على القبر مسجد، وأن يسوَّى أو يصلى عليه، وهو غير مسوَّى أو يصلى إليه... إلى أن قال: وأكره هذا لِلسُّنّة والآثار وأنه كره – والله أعلم– أن يعظَّم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجدًا، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)[2]، ويقصد رحمه الله بالكراهة التحريم كما هو مذهبه.

قال ابن حجر الهيثمي الشافعي: (والقول بالكراهة التنزيهية غير صحيح؛ إذ لا يُظن بالعلماء تجويز فعلٍ تواتر عن النبي ﷺ لعنُ فاعله) [3].

وجاء في حاشية السندي شرح النسائي: قوله (مساجد) أي قبلة للصلاة يصلون إليها، أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها، ولعل وجه الكراهة أنه قد يُفضي إلى عبادة نفس القبر، سيما في الأنبياء والأحبار [4].

قال الإمام النووي: ((قال العلماء إنما نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا؛ خوفًا من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين– والتابعون إلى الزيادة في مسجد الرسول ﷺ حين كثر المصلون، وامتدت الزيادة في مسجد الرسول ﷺ إلى أن أدخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة - رضي الله عنها – مدفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبيه أبي بكر وعمر– رضي الله عنهما – بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن

---

(1) المجموع (226/5) .

(2) الأُم/ للإمام الشافعي/ (278/1)/ طبع دار المعرفة بيروت، والمهذب (456/1) .

(3) الزواجر 1/ 246.

(4) حاشية السندي على سنن النسائي (95/4).

أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث ((ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا[1]، والله أعلم بالصواب)) [2].

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله–: ((... أن عمر بلغه أن قومًا يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقُطعت)) قال الحافظ ((وبيان الحكمة في ذلك وهو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها نفعًا أو ضرًّا كما نراه اليوم مشاهدًا فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله ((كانت رحمة)) أي كان إخفاؤها عليهم رحمة من الله تعالى)) [3].

وقال الحافظ ابن حجر في كلامه على حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: (وكأنه علم أنه مرتحل فخاف أن يُعظَّم قبره، كما فعل من مضى فلعنَ اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم). [4].

ويناسب هذا المقام ما ذكره الإمامان النووي وابن حجر في شرحهما على الصحيحين في الكلام على قصة موت موسى عليه السلام، وسؤال ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة.

قال النووي – رحمه الله –: (قال بعض العلماء: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس؛ لأنه خاف أن يكون قبره مشهورًا عندهم فيفتتن به الناس. [5]

وقال ابن حجر: (لكن حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليُعمِّي موضع قبره لئلا يعبده الجهال من أمته.[6]

وقال العلامة ابن دقيق العيد – رحمه الله تعالى– في شرح عمدة الأحكام في حديث عائشة وقوله ((بنوا على قبره مسجدًا)) إشارة إلى المنع من ذلك، وقد صرح به الحديث الآخر: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد) [7].

قال ابن حجر المكي الهيثمي–رحمه الله–: ((الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها واستلامها والصلاة إليها... ثم قال تنبيه: عَدّ هذه ستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، كأنه أخذ مما

---

(1) أخرجه البخاري (435) ومسلم (531).
(2) شرح النووي على صحيح مسلم (5/ 13).
(3) فتح الباري (448/7).
(4) فتح الباري(532/1).
(5) شرح النووي على صحيح مسلم (15/ 128).
(6) فتح الباري(207/3).
(7) أخرجه أحمد (7352)، وأبو يَعْلَى (6681) وصححه الألباني.

ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجدًا منها واضح لأنه . يعني النبي ﷺ – لعن من فعل ذلك وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية ((يحذر ما صنعوا)) أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنع كصنع أولئك فيُلْعَنوا كما لعنوا... ومن ثَم قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء... ومثلها مثل: الصلاة عليه، والتبرك والإعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهرة من ظاهر الأحاديث المذكورة... فإن أعظم المحرّمات وأسباب الشرك الصلاة عندها، واتخاذها مساجد أو بناءها عليها، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك؛ إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعلٍ تواتر عن النبي ﷺ لعنُ فاعله، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور؛ إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أُسست على معصية الرسول ﷺ، لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو السرج على القبر ولا يصح وقفه ونذره)).[(1)]

وقال ابن حجر الهيثمي تحت باب الأفعال والأقوال المكفرة: ((ومنها ما يفعله كثيرون من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ إذا قصدوا عبادتهم أو التقرب إليهم. لا إن قصدوا تعظيمهم أو أطلقوا فلا يكون كفرًا بل هو حرام قطعًا)) [(2)].

قال الإمام الذهبي الشافعي– رحمه الله– عند ترجمته لنفيسة بنت الحسن رحمهم الله ((... وللجهلة المصريين فيها اعتقادٌ يتجاوز الوصف ولا يجوز مما فيه من الشرك ويسجدون لها ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس العبيدية)) [(3)].

وقال الشهرستاني الشافعي: ((... القوم لما عكفوا على التوجه إليها –الأصنام– كان عكوفهم ذلك عبادة، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها)).[(4)]

وسئل ابن الصلاح عن هذا السجود الذي قدمناه فقال: ((هو من عظائم الذنوب ونخشى أن يكون كفرًا)).ا.هـ. [(5)]

قال الشيخ أحمد بن حسن المعلم في موسوعته القيمة "القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها"، والتي سننقل منها هذه النقول التي تبين جهود علماء الشافعية: ((تأمل قول الشافعي– رحمه الله–: (ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)، إذن ليست العلة أن في ذلك تضييقًا على المسلمين في مقابرهم، وإن كان ذلك لازمًا من اتخاذ مقابر المسلمين العامة مساجد على بعض القبور، وليست العلة الخوف من تنجس الأرض؛ لأن الحكم عامّ في القبر الذي ابتدِئ حفره كما هو في

---

(1) الزواجر عن اقتراف الكبائر (195/1).

(2) منتدى أنصار السنة / جهود علماء الشافعية في بيان صور الشرك وذرائعه .
http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=4635

(3) سير أعلام النبلاء (106/10).

(4) الملل والنحل (259/2).

(5) المجموع (44/2).

القبر المنبوش؛ وإنما العلة عند الشافعي–رحمه الله– خشية الفتنة والضلال على من يأتي بعده، وأي فتنة أو ضلال أعظم من أن يعَظَّم المخلوق حتى يُصرَف لقبره من العبادة والتقديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل؟! [1]

ثم قال نقلا عن ابن حجر الهيثمي: نعم قال بعض الحنابلة: قصدُ الرجل الصلاة عند القبر متبركًا به عين المحادة لله ورسوله، وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعًا) [2].

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الكبرى" في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: (المنقول المعتمد كما جزم به النووي في شرح المهذب حرمة البناء في المقبرة المسبلة، فإن بُني فيها هُدم، ولا فرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلماء وغيرهم، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لا يُلتفت إليه، وكم أنكر العلماء على باني قبة الإمام الشافعي– رحمه الله – وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكارًا) [3].

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي –رحمه الله– في كتابه "الباعث على إنكار البدع والحوادث" وهو يتكلم عن البدع والمحدثات المستقبحة: (ومن هذا القسم أيضًا: ما قد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان، والعمد وسرْج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظّم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها؛ وهي ما بين عُيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر...).ا.هـ [4].

قَالَ الشَّافِعِيّ: "وَرَأَيْت الْأَئِمَّة بِمَكَّة يَأْمُرُونَ بِهَدْمِ مَا يُبْنَى". قال النووي في شرح مسلم 312/3 في شرح قوله: (وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْته) . وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى: (وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْته). فِيهِ أَنَّ السُّنَّة أَنَّ الْقَبْر لَا يُرْفَع عَلَى الْأَرْض رَفْعًا كَثِيرًا ، وَلَا يُسَنَّم ، بَلْ يُرْفَع نَحْو شِبْر وَيُسَطَّح ، وَهَذَا مَذْهَب الشَّافِعِيّ وَمَنْ وَافَقَهُ ، وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاض عَنْ أَكْثَر الْعُلَمَاء أَنَّ الْأَفْضَل عِنْدهمْ تَسْنِيمهَا وَهُوَ مَذْهَب مَالِك. [5]

وقال النووي: ((اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهورًا بالصلاح أو غيره، لعموم الأحاديث، قال الشافعي والأصحاب: وتُكره الصلاة إلى

---

(1) القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها، ص 30.

(2) المرجع السابق.

(3) القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها، ص 41.

(4) المرجع السابق، ص 46.

(5) الْأُمّ (277/1).

القبور، سواءٌ كان الميت صالحًا أو غيره قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام الزعفراني رحمه الله: ولا يُصلَّى إلى قبر ولا عنده تبرُّكًا به ولا إعظامًا له، للأحاديث)) [(1)].

وقد أورد المناوي في فيض القدير نقلاً عن الحافظ العراقي قوله: ((قال الزين العراقي: والظاهر أنه لا فرق فلو بنى مسجدًا بقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يَصِحَّ الشرطُ لمخالفته لمقتضى وقفه مسجدًا)) [(2)].

وقال أحمد بن علي المقريزي – رحمه الله–: (وشرك الأمم كلُّه نوعان: شرك في الإلهية، وشرك في الربوبية، فالشرك في الإلهية والعبادة، هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عُباد الأصنام، وعباد الملائكة، وعباد الجن، وعُباد المشايخ، والصالحين، الأحياء، والأموات، الذين قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده، وينالونا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه خاصته. والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب، وتردُّه، وتقبّح أهله، وتنصّ على أنّهم أعداء الله تعالى. وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك، من أوّلهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم، إلاّ بسبب هذا الشرك ومن أجله) ا.هـ[(3)].

قال الآلوسي –رحمه الله– في قوله تعالى: {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف: 21]: «مذهبنا في شرع من قبلنا وإن كان أنه يلزمنا على أنه شريعتنا، لكن لا مُطلقًا، بل إن قصَّ اللهُ – تعالى – علينا بلا إنكار، وإنكارُ رسوله ﷺ كإنكاره – عزَّ وجلَّ، وقد سمعتَ أنه – عليه الصلاة والسلام – لَعَنَ الذين يتخذون المساجد على القبور، على أن كون ما ذكر من شرائع من قبلنا ممنوع، وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارى؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والآية ليست كالآيات التي ذكرنا آنفًا احتجاج الأئمة بها، وليس فيها أكثر من حكاية قول طائفة من الناس وعزمهم على فعل ذلك، وليست خارجة مخرج المدح لهم والحض على التأسِّي بهم، فمتى لم يثبت أنَّ فيهم معصومًا لا يدل على فعلهم – فضلاً عن عزمهم– على مشروعية ما كانوا بصدده. وممَّا يقوِّي قِلة الوثوق بفعلهم القول بأنَّ المراد بهم الأمراء والسلاطين كما روي عن قتادة». [(4)].

وقال –رحمه الله–: «هذا، واستدلَّ بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة فيها... وهو قول باطلٌ عاطلٌ فاسدٌ كاسدٌ... »، وقال –رحمه الله –: أنه وقع في

---

(1) شرح المهذب ص316.

(2) فيض القدير (274/5).

(3) تجريد التوحيد، ص5352.

(4) روح المعاني (31/5).

كلام بعض الشـــافعية عدّ اتخاذ القبور مســـاجد والصـــلاة إليها واســـتلامها والطواف بها ونحو ذلك من الكبائر».[1]

(1) روح المعاني (196/11).

رابعًا: جهود علماء الحنابلة في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

إن جهود الحنابلة في مواجهة ومقاومة بدع وشركيات القبورية أكثر من أن يتم حصرها، فعلماء الحنابلة من أكثر العلماء الذين واجهوا وقاوموا القبورية.

قال العلامة منصور البهوتي: ((قال الشيخ: أو كان مبغضًا لرسوله أو لما جاء به "الرسول" اتفاقًا، وقال: أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم إجماعًا انتهى" أي كفر؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3].[(1)]

وقال الشيخ مرعي الكرمي: (أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعًا، قاله الشيخ) [(2)].

وقال العلامة مصطفى الرحيباني: ((أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم) كفر (إجماعًا قاله الشيخ) تقي الدين، وقال: أو كان مبغضًا لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقًا؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [(3)].

وقال العلامة ابن الجوزي: (قال ابن عقيل: لما [صعبت] التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالألواح [بالحوائج]، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ التراب تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخِرَق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى). [(4)]

وقال الإمام ابن عقيل: (وفي الفنون: لا يخلق القبور بالخلوق، والتزويق والتقبيل لها والطواف بها، والتوسل بهم إلى الله، قال: ولا يكفيهم ذلك حتى يقولوا: بالسر الذي بينك وبين الله. وأي شيء من الله يسمى سرًّا بينه وبين خلقه؟ قال: ويُكره استعمال النيران والتبخير بالعود، والأبنية الشاهقة الباب، سموا ذلك مشهدًا. واستشفوا بالتربة من الأسقام، وكتبوا إلى التربة الرقاع، ودسُّوها في الأثقاب، فهذا يقول: جمالي قد جربت، وهذا يقول: أرضي قد أجدبت، كأنهم يخاطبون حيًّا ويدعون إلها).[(5)]

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه

---

(1) كشاف القناع (168/6).

(2)غاية المنتهى (355/3).

(3) مطالب أولي النهى (279/6).

(4) تلبيس إبليس ص 448، وهو عند ابن القيم في إغاثة اللهفان 195/1 وما بين المعقوفتين منه.

(5) نقله ابن مفلح في الفروع 273/2.

وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصا في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك) [(1)].

وقال ابن عقيل في كتابه الفنون: (إن من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج، ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر: (افعل لي كذا)؛ هو كافر بهذه الأوضاع، ومن دعا ميتًا وطلب قضاء الحوائج فهو كافر).

وقال ابن رجب – رحمه الله –: هذا الحديث (... إنَّ أُولَئِكِ إِذَا كَانَ فِيْهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا...) يدلُّ على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى، ولا ريب أنَّ كُلَّ واحدٍ منهما محرَّم على انفراد، فتصوير صور الآدميِّين محرَّم، وبناءً القبور على المساجد بانفراده محرَّم كما دلَّت عليه النصوص أخرى يأتي ذكر بعضها... فإن اجتمع بناء المسجد على القبور ونحوها من آثار الصالحين مع تصوير صورهم فلا شكَّ في تحريمه، سواء كانت صورًا مجسّدة كالأصنام أو على حائطٍ ونحوه، كما يفعله النصارى في كنائسهم، والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتاها بالحبشة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ظل، وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد هاجرتا إلى الحبشة. فتصوير الصور على مثل صور الأنبياء والصالحين؛ للتبرك بها والاستشفاع بها محرم في دين الإسلام، وهو من جنس عبادة الأوثان، وهو الذي أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة). [(2)]

وقال ابن قدامة الحنبلي –رحمه الله–: (ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر ما صنعوا...، ولأنَّ تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرُّب إليها، وقد روينا أنَّ ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، ومسحها، والصلاة عندها) [(3)].

قال العلاَّمة الشنقيطي في تفسيره: "التحقيق في معنى الوسيلة، هو ما ذهب إليه عامة العلماء، في أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وفق ما جاء به الرسول... وبهذا التحقيق تعلم أنَّ ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف، من أنَّ المراد بالوسيلة في الآية، الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين الله، أنَّه تخبُّط في الجهل، والعمى، وضلالٌ بَيِّن، وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنهم: {**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**} [الزمر: 3]، وقوله: { **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ**

---

(1) جامع العلوم والحكم (481/1).
(2) فتح الباري (197/3).
(3) المغني (360/1).

هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 18]، فيجب على كلِّ مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضا الله، وجنته، ورحمته، هو اتباع رسوله ﷺ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل". ا.هـ[(1)].

(1) أضواء البيان (98/2).

جهود ابن تيمية – رحمه الله– في مواجهة شركيات وبدع القبورية(1):

دعوة ابن تيمية جاءت في ظروف تاريخية حرجة، جابه سلطان الإسلام فيها أعظم الأخطار؛ فالمغول من بعد الصليبيين؛ واجهت الأمة بهم فتنًا دهماء بكماء صماء، وقد وُلد ابن تيمية – رحمه الله– في أيام حكم المماليك الذين كانت دولتهم تضم ما يمثل في عصرنا مصر وسورية ولبنان وفلسطين، وكانوا قوة لا يُستهان بها في ذلك الوقت، بالرغم من الضعف العام الذي انتاب بقية أجزاء العالم الإسلامي.

وكان ابن تيمية مدركًا لطبيعة عصره، متفهمًا لحقيقة الصراع، وكان على يقين بحاجة الأمة في مصر والشام إلى ولاية شرعية عامة، تقف وراءها لمواجهة الفتن، ولم يكن أمامه من يصلح لتمثيل تلك الولاية إلا المماليك، فقد رأى فيهم قوة للدين بالرغم من مثالبهم المتعددة، فأعطاهم تأييده المشروط، وهو: الطاعة في المعروف. ولقد استطاع هؤلاء المماليك أن يؤسسوا حكمًا مستقلاً، فكانوا بذلك أملاً في الخروج من المحنة، ورأى ابن تيمية المصلحة في شد أزرهم، وتقويم اعوجاجهم وتقويم الأمة بهم حتى تتعافى أمام الصعاب.

وبالنظر إلى عداوته الشديدة لهؤلاء المبتدعة وأمثالهم من الأحمدية والكسروانية والحشاشين، فقد (سعى جاهدًا لإزالتهم من الوجود، وحثَّ السلطة على إبادتهم قدر الإمكان).

وقد أعلن حربًا لا تعرف الهوادة ضد فكر الصوفية الغلاة، وخاصة (ابن عربي) الملحد، فلم يدّخر وُسعًا في تفنيد آرائه ونقض أفكاره، وكذلك إقناع الحكام بوضع حد لسريان خدعه وبدعه وضلالاته التي كانت تسري في العامة سريان النار في الهشيم.

لقد رأى ابن تيمية أن أوضاع المسلمين تسير نحو الأسوأ إذا تُرِكَ أمثال هؤلاء الذين يوجّهون الأمة نحو الشعوذة والسحر والخرافة... بما ينتهي بهم إلى ضروب من البدع الاعتقادية الشركية... ولم يشأ أن يقصر جهده على مقاومة العدو الخارجي، بل كان على يقين أن عدو الداخل من المنافقين، هو السند والمعين لعدو الخارج {هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} [المنافقون: 4].

لقد رأى غلاة الصوفية يستغلون ضعف العلم والإيمان في طبقات من الناس فيغرونهم بأفكار عن وحدة الوجود ووحدة الشهود، وكرامات الأولياء، ومنازل الأقطاب، وقداسة الأضرحة والأعتاب.. فتصدى لهم وكان لهم بالمرصاد في دمشق ومصر.

وقد كان من حسن حظ المسلمين، أن بعض الولاة بالرغم من مثالب كثيرة عندهم كانوا يُكِنّون للعلماء احترامًا، ويُمكّنون لهم في دعوتهم، ويرون لهم حقًّا في توجيه الأمة. وكان ابن تيمية بدوره يعطي لهم ما أرادوا من الطاعة في غير معصية، ويستعين بهم بعد الله في إنكار المنكرات وإظهار الشعائر وإقامة الدين. وكان قد قام قبل ذلك بأمر من قبيل إنكار المنكر باليد، فذهب إلى مسجد يسمى (التاريخ)

---

(1) انظر: سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل، د.عبد العزيز مصطفى، البيان العدد131– رجب هـ1419– نوفمبر 1998م .

وعمد هو وأصحابه إلى صخرة مجاورة للمسجد على ضفاف نهر، كان الجهال يزورونها ويفعلون عندها الأفاعيل الشركية، فاصطحب معه حجّارين، وتعاون هو وأصحابه معهم في تحطيمها وتقطيعها.

قال ابن كثير: (فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيمًا، وبهذا وأمثاله حسده الأعداء، وأبرزوا له العداوة). [(1)]

وقال ابن تيمية في رسالته الواسطة: "ومن أثبت الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجّاب الذين بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم؛ بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، وهؤلاء مشبِّهون لله، شبّهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أندادًا ". [(2)]

وهكذا صرَّح عامَّة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها مُتابعةً منهم للسُّنَّة الصحيحة الصريحة من غير اختلافٍ بين الأئمة المعروفين، قال ابن تيمية رحمه الله: (ويحرم الإسراج على القبور، واتخاذ المساجد عليها وبنيها ويتعيَّن إزالتها، ولا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين) [(3)].

---

(1) البداية والنهاية (34/14).

(2) مجموع الفتاوى (126/1).

(3) الفتاوى الكبرى (359/5).

جهود ابن القيم – رحمه الله– في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

قال ابن القيم – رحمه الله –: (وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة منه باللعن والنهى بصيغتيه: صيغة: «لا تفعلوا»، وصيغة: «إني أنهاكم» ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقلّ نصيبه أو عدم عن تحقيق شهادة أن لا إله إلاَّ الله. فإنَّ هذا وأمثاله من النبيِّ ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه. فأبى المشركون إلا معصية لأمره، وارتكابًا لنهيه، وغرَّهم الشيطان. فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين. وكُلَّما كنتم أشدّ لها تعظيمًا، وأشدّ فيهم غلوًّا، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد. ولعمر الله، من هذا الباب بعينه دخل على عبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة. فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم، وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها: من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم.[1]

وقال: (قال شيخنا– ابن تيمية–: هذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتبُ؛ أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس، قال: وهؤلاء من جنس عُباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعُباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر والتمسحُ به وتقبيلُه.

الثانية: أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يسأله بعينه.

الرابعة: أن يظن أن الدعاء عند القبر مجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والدعاء عنده؟ لأجل طلب حوائجه، وهذا أيضًا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمةٌ وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة الدين، وإن كان كثيرٌ من المتأخرين يفعل ذلك))[2].

وقال: (أصل تعظيم القبور مأخوذ من عُباد الأصنام؛ فإنهم قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب من الله تعالى ومزية لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها؟ كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له. قالوا: فحق الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وبقلبه إلى الميت، ويعكف همته عليه، ويوجّه قصده كله وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جَمعُ الهمة والقلب عليه كان أعظمَ لانتفاعه به.

---

(1) إغاثة اللهفان (189/1) .

(2) إغاثة اللهفان (235/1، 236) بتصرف يسير.

وذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عُباد الكواكب في عبادتها، قالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العُلوية فاض عليها منها النور، وهذا السر عُبدت الكواكبُ، واتخذت لها الهياكلُ، وصُنعت لها الدعواتُ، واتَخذت الأصنام المتخذة لها وهذا بعينه هو الذي أوجب لعُباد القبور اتخاذها أعيادًا، وتعليق الستور عليها وإيقاد السُّرُج عليها، وبناء المساجد عليها، وهذا هو الذي قصد ﷺ إبطاله بالكلية، وسد الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه من قصده، وكان رسول الله ﷺ في شق وهؤلاء في شق، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور هي الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله [قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله] وتوجه بهمته إليه وعكف قلبه عليه صار بينهم وبينه اتصال يفيض به عليه [منه] نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما حصل لذلك من السلطان من الإفضال والإنعام فإنه ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه.

فهذا سر عبادة الأصنام وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح أموالهم ودماءهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم. قال تعالى: **{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [الزمر:42–44] فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده، والشفاعة له، والذي يشفع إنما يشفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم وهي التي أبطلها سبحانه وتعالى في كتابه بقوله: **{وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ}** [البقرة:123] وقوله: **{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ}** [البقرة:254] وقوله: **{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام:51]**، وقال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ}** [السجدة:4] فأخبر سبحانه إنه ليس للعباد شفيع من دونه؟ بل إذا أراد تعالى رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى: **{مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ}** [يونس:3] وقال تعالى: **{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}** [البقرة:255]، فالشفاعة بإذنه ليست شفاعته من دونه، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك، والشفاعة التي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول: اشفع في فلان إذا كان المشفوع له ممن ارتضاه سبحانه لقوله: **{وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}** [الأنبياء:28] وقال جل وعلا: **{يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً}** [طه:109] فأخبر تعالى أنها لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له، وإذنه للشافع فيه، وسر هذا كله أن الأمر كله بيده وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيدٌ، لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلا بعد إذنه وأمره. وأما قياس رب العالمين على الكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصه وأوليائه من يشفع

عنده في الحوائج فهذا قياسٌ فاسدٌ، والفرق بينهما هو الفرق بين الخلق والخالق، والرب والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة له إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره).[1]

(1) إغاثة اللهفان لابن القيم (1/237-239) بتصرف .

جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

كانت الفترة التي عاصرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مطلع القرن الثاني عشر الهجري) فترة انتكاس في الفطر، وارتكاس في العقائد؛ ذلك أن مظاهر الشرك الجلي قد ظهرت في مواطن كثيرة من بلاد الإسلام، وتمثل هذا الشرك في تحول فئام من الناس إلى عبادة الأولياء والصالحين أمواتًا وأحياءً؛ فكل ما يجب أن يصرف لله تعالى من العبادات القلبية والعملية، كان يصرفها أولئك للمقبورين بزعم أنهم كانوا صالحين، فاستغاثوا بهم في النوازل ونذروا، وطافوا وتمسحوا بآثارهم ومدافنهم، بل تعدى الأمر إلى الشرك بالجمادات كالأحجار والأشجار.

وقد كان في بلاد نجد من تلك الانحرافات ما أقضَ مضجع الشيخ وأنقض ظهره، فلم ير لنفسه عذرًا في السكوت على هذا الشر المنتشر في الآفاق.

ففي (الجبيلة) كان الناس يقصدون قبر (زيد بن الخطاب) – رضي الله عنه– ويدعونه لتفريج الكرب وكشف النوب، فعكف الناس على عبادتها، وصارت لعبادة تلك المقابر أعظم المنزلة في صدور الناس رغبًا ورهبًا، وكان في أسفل الدرعية غار كبير يزعم الجهال أن الله تعالى شقه في جبل لإنقاذ امرأة من بعض الفسقة الذين أرادوها بسوء، فكان الجهلة يرسلون إلى الغار وهو أحجار اللحم والخبز وصنوف الهدايا.

وفي شعيب (غبيرة) كان الناس يأتون من المنكر ما لا يعهد مثله عند قبور الصالحين. وخاصة عند القبر الذي يزعمون أن فيه (ضرار بن الأزور) وكانت طوائف من الخلق تأتي إلى شجرة (الطرفية) فيتبركون بها ويعلقون الخِرَق عليها إذا رُزقوا ولدًا لعله يسلم من الموت! هذا في بلاد نجد، أما في بلاد الحجاز، فلم يكن الأمر بأقل سوءًا من هذا؛ ففي مكة كانت تعلو الاستغاثات والأدعية عند قبر(أبي طالب) وقبر(المحجوب)، وكان تعظيم هذين القبرين يفوق تعظيم الكعبة عند كثير من الجهال؛ حتى إن السارق أو المعتدي أو الغاصب إذا لجأ إلى أحد هذين القبرين لم يتعرض له أحد بما يكره، أما إن تعلق بالكعبة فإنه يُسحب فيها بالأذيال؛ تفريطًا منهم بحقها.

وكذلك كانت تُرتكب الشنائع الاعتقادية والأخلاقية عند قبر (ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين) رضي الله عنها في (سَرِف) وكذلك عند قبر أم المؤمنين (خديجة) رضي الله عنها في (المعلاّة).

وفي الطائف كان قبر عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– يُتخذ مزارًا يقف أمامه المكروبون مستغيثين، والخائفون متضرعين، وأصحاب الحاجة والمسألة داعين مسترزقين.

أما في المدينة النبوية –على ساكنها أفضل الصلاة والسلام– فقد خالف الناس سنته، واتخذوا قبره عيدًا.

فتلك المظاهر الوثنية التي حذر الرسول ﷺ منها تسللت إلى جزيرة الإسلام، وأبت إلا أن تشوه نقاء التوحيد فيها. فتعددت البقاع التي يُعصى فيها الله بتلك الموبقات. فإلى جانب ذلك كانت ذرائع الشرك

تُقام على نطاق كبير في الأماكن المحيطة بالمدينة، وفي المزارات التي تكثر فيها مقابر الصحابة، في قباء والبقيع وغيرها.

أما في جدة فقد بلغ الضلال والفُحش غايته عند القبر المزعوم أنه لحواء عليها السلام فكانت تُجبَى إليه الأموال كل عام، ويأكل السدنة عنده أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله.

وإذا كانت هذه بعض مظاهر الانحراف داخل الجزيرة العربية مهد الإسلام فما بالنا بما كان خارجها من الانحرافات؟!

ولكن لطف الله استنقذ الناس بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– فقد قام بوجه الفتنة كأمة وحده، ونافح ودافع عن عقيدة التوحيد الخالص لينقّيها ويصفّيها من شوائب الشرك وأدران الوثنية.

فقد سار محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– وفق سيرة رسول الله ﷺ عندما قام يطلب النصير لدعوته: (من يحميني حتى أبلغ دعوة ربي) [(1)].

كان مبدأ تحرك الشيخ لمحاربة مظاهر الشرك عندما عرض على رئيس بلدة العيينة (عثمان بن حمد بن معمر) الدعوة، فاستجاب لها واتبعه عليها وناصره فيها، وألزم الخاصة والعامة أن يستجيبوا إليها.

عند ذلك لم يجد الشيخ مناصًا من التحرك العملي بهؤلاء الأنصار لتغيير المنكرات الشركية، وبدأ بالعيينة نفسها؛ حيث انطلق مع نفر من الأتباع المخلصين فخلصوا العيينة مما كان فيها وحولها من القباب والمشاهد والمساجد المبنية على القبور، وكذلك قطعوا الأشجار التي كان الناس يعظمونها ويتبركون بها. وكان الشيخ هو الذي تولى بنفسه هدم القبة المقامة فوق قبر زيد بن الخطاب، وسوّاها بالأرض امتثالاً للأمر النبوي لعلي بن أبي طالب، الذي قال لأبي الهياج الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته)[(2)].

ولقد كان لهذه الأعمال الإصلاحية وقع الصاعقة على المنتفعين بالانحراف في البلدان المجاورة، وخاصة أصحاب السلطان منهم، فلقد خافوا من تلك الدعوة، وتأهبوا لمواجهتها، ولكن الشيخ لم يأبه بهم، وظل على سيرته في الدعوة العلمية والعملية، إلى أن انتكس والي العيينة بعدما هدده والي الأحساء، وطلب منه التخلي عن الشيخ.. هنا وجد الشيخ أن دعوة مثل دعوته لا يمكن لها أن تقبع داخل أسوار بلدة بعينها، لا العيينة ولا غيرها، فترك العيينة، وانتقل إلى (الدرعية) فوجد من واليها (محمد بن سعود) التأييد والنصرة، مما شجّعه على المضي في دعوته... فلم يكن بُدّ والحالة هذه من أن يواجه العناد بالجهاد، ولهذا انتقل الشيخ من مرحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مرحلة الجهاد...![(3)]

---

(1) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1/ 133 برقم 63).

(2) أخرجه مسلم (969).

(3) سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل، د.عبد العزيز كامل، البيان العدد131– رجب 1419هـ– نوفمبر 1998م.

لقد أهمّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب أمر هذه الأمة، وما تلبّست به من شرك ونقض لكلمة التوحيد "فدعا الناس أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت وعبادة الأشجار والأحجار.. وأظهر الله هذا الدين في نجد والبادية، حتى لم يكن فيهم من ينازع ويجادل؛ لأن الله أبطل كل شبهة، بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته".

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله –: " وفي حدود القرن العاشر وما بعده لا يعرف أحد من العلماء تكلم بالتوحيد ودعا إليه، وعرف هذا الشرك ونهى عنه، حتى أظهر الله هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر هذه الأمة، فبيّن حقيقة التوحيد، وأنواعه، فأنكر كل بدعة بأدلة الكتاب والسنة، وأحيى السنن، فأخرج الله به الكثير من الظلمات إلى النور، فتركوا عبادة الأشجار والطواغيت والقبور، والتزموا ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ".

لقد قارف أهل عصره الشرك بالله تعالى، فاتخذوا الوسائط والشفعاء، وظنوا أن الإقرار بربوبية الله تعالى كافٍ في تحقيق التوحيد، ولذا بذل الشيخ قصارى جهده في بيان أهمية التوحيد ووجوبه على كل مكلف، وبقي رحمه الله يدعو إلى سبيل ربه بالحجة الواضحة وبالموعظة الحسنة، فلم يبادر أحدًا بالتكفير، ولم يبدأ أحدًا بالعدوان؛ بل توقف عن كل ذلك ورعًا منه وأملاً في أن يهدي الله الضالين، إلى أن نهضوا عليه جميعهم بالعدوان وصاحوا في جميع البلاد بتكفيره هو وجماعته، وأباحوا دماءهم، ولم يُثبتوا دعواهم الباطلة بالحجة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولم يكتفوا بما ارتكبوه بحقه من الزور والبهتان، وما اتبعوه من وسائل لإجلائه وجماعته عن البلاد، ومطاردتهم بالتعذيب والاضطهاد، أجل، لم يأمر رحمه الله بسفك دم ولا قتال على أكثر أهل الضلال والأهواء، حتى بدءوه بالقتل والتكفير، فأمر الشيخ حينئذٍ بالجهاد، وحض أتباعه عليه فامتثلوا الأمر.[1]

قال ابن غنام في تاريخه: "خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعتهم إلى الأماكن التي فيها الأشجار التي يعظّمها عامة الناس والقباب وأبنية القبور، فقطعوا الأشجار، وهدموا المشاهد والقبور، وعدّلوها على السنة، وكان الشيخ هو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب بيده، وكذلك قطع شجرة الذيب مع بعض أصحابه"[2].

---

(1) د.عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، جهود علماء الدعوة السـلفية بنجد تجاه النوازل العقدية، على الرابط التالي: http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=3851&Itemid=34

(2) تاريخ ابن غنام 78/1.

جهود علماء نجد بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

امتدت جهود علماء نجد بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على أكمل وجه على الرغم مما تعرضوا له من حروب طاحنة، الغرض منها القضاء على صوت الحق النابض، ولئن سقطت الدولة سياسيًّا على يد دولة محمد علي في مصر، فلقد ظلت الدعوة مستمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، تقاوم الباطل والشرك وتفنده وتفضحه، مع تصحيح أمور العقيدة وتجليتها، فجزى الله هؤلاء الفضلاء خير الجزاء على ما قدموه – ومازالوا – خير الجزاء.

فإنه على الرغم من هول النكبة التي حلّت بالدولة السعودية الأولى، والتي استمرت حوالي ست سنوات. فإن الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . لم تَمُت، فقد تمكن الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود سنة1240هـ من إعادة روح الجهاد ضد مَن أثار الفتن، وكشف الله بسببه المحن، واستطاع أن يكسر شوكة الطغاة، وينازل الأعداء، ويُطهر بلاده من دنس الاحتلال، ويعيد لها وحدتها وكرامتها بعد الفوضى والتفرق والانحلال... عبر العودة إلى منهج السلف الصالح، المتمثل في سلامة العقيدة، والتئام الصف، ووحدة الكلمة، والتحاب في الله، وطهّر المجتمع مما أفسدته المشارب الدخيلة.

ومما سطره المؤرخ ابن بشر عن بعض الأعمال التي قام بها الأمير سعود بن عبد العزيز ما يلي: ففي حوادث سنة 1216هـ حين توجه سعود بالجيوش إلى كربلاء، فهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين.

ويقول أيضًا: وفي حوادث سنة 1217هـ حين دخل سعود مكة وطاف وسعى، فرّق جيوشه يهدمون القباب التي بُنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها، وأعلاها، ووسطها، وبيوتها. فأقام فيها أكثر من عشرين يومًا، ولبث المسلمون في تلك القباب بضعة عشر يومًا يهدمون، يباكرون إلى هدمها كل يوم، وللواحد الأحد يتقربون، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها، وجعلوها ترابًا.

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ما فعلوه أثناء دخولهم مكة . شرّفها الله . سنة 1218هـ فكان مما قاله: (فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يُعبَد بالتعظيم والاعتقاد فيه، ورجاء النفع، ودفع الضر بسببه مع جميع البناء على القبور وغيرها، حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يُعبد؛ فالحمد لله على ذلك) [(1)].

وفي سنة 1343هـ قام أتباع الدعوة السلفية بهدم القباب والأبنية على القبور بمكة، مثل القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

---

(1) الهدية السنية ص37.

وقام الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في جنوب الجزيرة العربية بهدم قبة في الساحل بمشاركة بعض زملائه، وبقايا قبة على قبر الشريف حمود المكرمي في سامطة.

ويقول الشيخ الألباني: ومن تلك الأشجار شجرة كنت رأيتها من عشر سنين شرقي مقبرة شهداء أحد، خارج سورها، وعليها خرق كثيرة، ثم رأيتها سنة 1371هـ قد استُؤصلت من أصلها، والحمد لله، وحمى المسلمين من شر غيرها من الشجر وغيره من الطواغيت التي تُعبَد من دون الله تعالى[1].

ومن شيوخ الدعوة وعلمائها في هذه الفترة: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ، وابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ العلامة حمد بن محمد بن عتيق، والشيخ أحمد بن علي بن حسين الوهيبي في الأحساء، ومن المشايخ الذين لهم تأثير حسن . رغم ضعف المُنَاصر . في شرح عقيدة السلف الصالح في الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المتوفى عام 1328هـ.

... ومن العوامل التي ساعدت على نشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية: ما قام به العلماء في نجد من الأسباب المشروعة في توصيل أخبار الدعوة ومبادئها إلى كثير من المناطق والبلدان الإسلامية، إما عن طريق المؤلفات والرسائل، أو عن طريق انتقالهم بأنفسهم من بلاد إلى أخرى بهدف نشر الدعوة. وما اتخذوه من الأسباب الشرعية المساهِمة في إقامة الدولة الإسلامية، التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله.

والإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمهما الله . بعثا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف وعلمائها، ليكون مفوّضًا عنهما في شرح المعتقد وبيان حقيقة الدعوة، بناءً على طلب شريف مكة، وذلك في سنة 1185هـ.

وفي سنة 1211هـ أرسل الإمام عبد العزيز جماعة من أهل الدين والعلم المشهود لهم بحسن المناظرة... برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، إلى الشريف غالب بناءً على طلبه أيضًا.

ولما دخلت بلاد الحجاز في ولاية الملك عبد العزيز حصل اتفاق بين علماء مكة ونجد.. وقد اشتمل على بيان ما يجب على الأمة الإسلامية اعتقاده من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وتحذيرها من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كدعاء غير الله، والاستغاثة والاستعانة بالأموات، وطلب الشفاعة منهم، والذبح والنذر لغير الله، وكالحلف بغير الله، وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها، واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، والطواف حولها، والتبرك بها، مما عمَّت به البلوى.

وقد سبق نشرها في جريدة أم القرى في أجزاء متفرقة في سنة 1343هـ، ثم جمعت في رسالة تحت عنوان: "البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد"، وطُبعت عام 1344هـ.

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين لهم دور بارز في نشر الدعوة السلفية والإسهام في إقامة الدولة

---

(1) دمعة على التوحيد،علاج هذا الداء العظيم، د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف .

الإسلامية: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حسن، وغيرهم كثير ممن كانت لهم جهود كبيرة في التدريس، والإفتاء، وبعث الرسائل والنصائح، والتأليف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخطابة، وغيرها . رحم الله الجميع رحمة واسعة[1].

فمن جهودهم في قمع القبورية: جهودهم في الرد على داود بن جرجيس، وهي جهود تسترعي النظر والتحقيق، حيث أجابوا عن شبهات وإشكالات سوّدها داود، حيث كتب عدة مصنفات ضمّنها جواز الاستغاثة بالأولياء وسؤالهم، وتسويغ الاستمداد من الأموات، وبسط حججه في ذلك حيث ألّف كتابًا سماه "صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيّم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم" وضمّنه نقولاً متعددة لابن تيمية وابن القيّم حرّفهما وغلط في فهمهما، من أجل أن يقرر جواز الاستغاثة بالموتى، كما عقد بابًا مستقلاً في الأدلة على جواز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والنذر لهم. وله كتاب آخر سماه "المنحة الوهبية في ردّ الوهابية"؛ قرر فيه أن للموتى حياة في قبورهم كحياتهم في الدنيا، وأن لهم شعورًا وإحساسًا كالأحياء، واحتج لذلك بمختلف الدعاوى، ليتوصل إلى تسويغ دعاء الأموات والاستشفاع بهم، فانبرى أئمة الدعوة في الردّ عليه، فكتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن" القول الفصل النفيس في الردّ على المفتري داود بن جرجيس"، وسطّر ابنه العلامة عبد اللطيف مِنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، وتحفة الطالب والجليس في كشف شُبَه داود بن جرجيس"، وألّف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين، الانتصار لحرب الله الموحدين"، و"تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس".

وإذا تبيّن شناعة كتب داود بن جرجيس وما يدعو إليه، فلا غرو أن يهتم علماء الدعوة بالرد عليه والجواب عن شبهاته.

قال الشيخ أبو بطين: "من جعل شيئًا من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلهًا، وإن فرّ من تسميته معبودًا أو إلهًا، وسمّى ذلك توسلاً وتشفعًا أو التجاء ونحو ذلك، فالمشرك مشركٌ شاء أم أبى. فتغيير الاسم لا يغيّر حقيقة المسمى ولا يزيل حكمه".

وادعى داود أن أهل الكرامات حالهم في الممات كحالهم في الحياة، وإذا جاز سؤال الحي فالميت كذلك، وهذا مردود بقوله تعالى، {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلاَ الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ} (فاطر:22)، ففرّق بين الأحياء والأموات.

يقول الشيخ أبو بطين: "ذو الفطرة السليمة وإن كان جاهلاً يفرّق بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده، وبين الطلب من الميت أو الغائب، ولا يسوّي بين الحي والميت إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أو إنسان أعماه الهوى والتقليد".

---

(1) أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية، حمود بن أحمد الرحيلي، على الرابط التالي:
http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=1330

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: ((وأما ما ذكره عن الشيخ زكريا (الأنصاري) وابن حجر(الهتيمي المكي) والرملي (هو أحمد بن محمد الرملي الشافعي تلميذ الأنصاري ت971هـ)، فهؤلاء ليسوا ممن يُعتد بهم وبكلامهم وخلافهم، بل ظهر أنهم من الغلاة المعظمين للقبور فلا معول على كلامهم)).[1]

وقال– رحمه الله–: ((وكان من المعلوم أيضًا عندنا أن آل الشطي[2]من أئمة الضلال وممن يدعون إلى دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين، ويجيزون الاستغاثة بهم في المهمات والملمات، ومن كان هذا سبيله، فليس هو عندنا من الأئمة الأعلام، ولا من أفاضل أهل الإسلام، وإن كانوا من الحنابلة. [3].ا.هـ.[4]

(1) الأسنة الحداد في الرد على شبهات علوي حداد. ص209.

(2)عائلة كبيرة مشهورة في دمشق ينتسبون إلى معروف الكرخي في النسب وينسبون إلى الإمام أحمد في الفروع .

(3) تنبيه ذوي الألباب السليمة ص3.

(4) أقوال أئمة الدعوة النجدية السلفية في مشاهير الجهمية والقبورية، محب أئمة الدعوة عبد الله السُنّي.

جهود علماء الأزهر في مقاومة بدع وشركيات القبورية[1]:

1- يقول الدكتور زكي مبارك: ((فالأزهر لا يريد أبدًا نشر الثقافة الصوفية... وقد حدث في العام الماضي سنة (1345هـ) أن فكرت مشيخة الأزهر في مقاومة التصوف مقاومة رسمية، وكتب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي كتابًا في ذلك إلى وزير الأوقاف السابق سعادة عبد العزيز بك محمد، ولكن وقع أن رد عليه السيد عبد الحميد البكر بجواب فيه عنف، وكان هذه المصاولة إحياء للاصطدامات القديمة بين الشريعة والحقيقة)) [2] ا.هـ.

وقد كان هنالك وجهة أخرى للاعتراض على التصوف عند علماء الأزهر، وذلك من جهة ادعاء كثير من الصوفية عصمة الأولياء؛ حيث يظنون في شيوخهم القداسة، التي تجوز وتعدل وتحكم وتشرّع بناء على أن صاحبها له اتصال بالله. فيأخذ بقول الشيخ ويدع ما دونه، ولو كان مخالفًا للكتاب والسنة.[3]

2- قول **الشيخ محمود شلتوت -رحمه الله** شيخ الأزهر السابق-: ((يرجع ذيوع البدع وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدي الخطر على سلامة الدين من التحريف والزيادة والنقص: أولهما: اعتقاد العصمة في غير المعصوم، والآخر: التهاون في بيان الشريعة على الوجه الذي به نُقلت عن الرسول. وكثيرًا ما ترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف، وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئًا من الأحوال تنافي أحكام الشريعة، فيعتقدون أنهما من التشريع الذي خصَّ الله به عباده المقربين، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقًّا، ولا يقول إلا صدقًا، والفقه للعموم، وهذه طريقة الخصوص فيتبعونه في كل ما يؤثر عنه من قولٍ أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله، الموصل إلى رضاه[4].

3- فتوى الشيخ عبد المجيد سليم: بتاريخ جمادى الأولى1359هـ-22 من يونيه 1940م:

السؤال: كتبت وزارة الأوقاف ما يأتي - يوجد بوسط مسجد عز الدين أيبك قبران ورد ذكرهما في الخطط التوفيقية، وتُقام الشعائر أمامهما وخلفهما. وقد طلب رئيس خدم هذا المسجد إلى محافظة مصر

---

(1) التحفة الأزهرية في بيان مواقف أعلام الأزهر الشريف ومشايخه من الحركة الوهابية، أبو الحسن الأزهري، على الرابطين التاليين.

http://majles.alukah.net/showthread.php?t=16120

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=137230

(2) كتاب التصوف ص207.

(3) أسباب البدع ص (45).

(4) جهود الأزهر في محاربة التصوف2، على الرابط التالي:

. http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=32354

دفنه في أحد هذين القبرين؛ لأن جدة الذي جدّد بناء المسجد مدفون بأحدهما. فنرجو التفضل ببيان الحكم الشرعي في ذلك؟

الجواب:

اطلعنا على كتاب الوزارة رقم 2723 المؤرخ 21-3-1940م المطلوب به بيان الحكم الشرعي فيما طلبه رئيس خدم مسجد عز الدين أيبك من دفنه في أحد القبرين اللذين بهذا المسجد.

ونفيد أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يُدفن في المسجد ميتٌ لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره؛ فإن المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر.

وقال في فتوى أخرى: إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر إما بتسوية القبر وإما بنبشه، إن كان جديدًا إلخ، وذلك لأن في الدفن في المسجد إخراجًا لجزء من المسجد عما جُعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر، وتدريس العلم وذلك غير جائز شرعًا.

ولأن اتخاذ قبر في المسجد على هذا الوجه الوارد في السؤال يؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده. وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم صفحة 158 ما نصه: إن النصوص عن النبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقًا، واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها.

ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي مرثد قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها".

وقال ابن القيم: نص الإمام أحمد وغيره على أنه إذا دُفن الميت في المسجد نُبش، وقال – أي ابن تيمية –: لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر مُنع منه، وكان الحكم للسابق إلى آخر ما قال في كتابه زاد المعاد.

وقال الإمام النووي في شرح المهذب صفحة 316 ما نصه: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهورًا بالصلاح أو غيره؛ لعموم الأحاديث.

قال الشافعي والأصحاب –وتُكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحًا أو غيره، قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام الزعفراني – رحمه اللّه –: "ولا يُصلَّى إلى قبر ولا عنده تبركًا به ولا إعظاما له للأحاديث، وقد نص الحنفية على كراهة صلاة الجنازة في المسجد؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "من صلى على جنازة في المسجد فلا أجر له"، وعلل صاحب الهداية هذه الكراهة بعلتين: إحداهما أن المسجد بُني لأداء المكتوبات يعني توابعها من النوافل والذكر وتدريس العلم.

وإذا كانت صلاة الجنازة في المسجد مكروهة؛ للعلة المذكورة كراهة تحريم، كما هو إحدى الروايتين، وهي التي اختارها العلامة قاسم وغيره؛ كان الدفن في المسجد أولى بالحظر، لأن الدفن في المسجد فيه إخراج الجزء المدفون فيه عما جُعل له المسجد من صلاة المكتوبات وتوابعها. وهذا مما لا شك في عدم جوازه شرعًا. [1]

4- فتوى الشيخ حسنين محمد مخلوف: بتاريخ صفر 1369هـ - 5 من ديسمبر 1949م:

سئل:

ما هو رأي الدين في المساجد التي بها أضرحة؟

أجاب:

2- والمسجد كل مكان يُسجد فيه للصلاة، ثم أُطلق على المكان الذي يُتقرب إلى الله فيه بالعبادة، وفيما قبل الإسلام كانت العبادات لا تؤدى إلا في أماكن خاصة اختار لها الناس مكانًا محترمًا عندهم، كالمكان الذي يدفن فيه الأنبياء والصالحون، أما في الإسلام فإن العبادات وعلى رأسها الصلاة تؤدى في أي مكان من الأرض، اللهم إلا ما كان من عبادة الحج، فلها أماكن خاصة يقصدها المسلمون من كل فجّ عميق عند الاستطاعة، صح في الحديث الذي فضل اللّه فيه سيدنا محمدًا على الأنبياء السابقين أن اللّه جعل له الأرض كلها مسجدًا وترابها طهورًا.

لقد تحدث القرآن الكريم عن أهل الكهف الذين كانوا قبل الإسلام، بأن من عثروا عليهم بنوا مسجدًا على قبورهم كما قال تعالى: { **فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**} الكهف: 21، وصح في البخاري ومسلم (مسلم ج 5 ص 11) أن أم حبيبة وأم سلمة - وكانتا من المهاجرين إلى الحبشة - ذكرتا لرسول اللّه ﷺ كنيسة رأتاها في الحبشة فيها تصاوير للرسول، فقال: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللّه يوم القيامة"، وجاء في صحيح مسلم عن عائشة أن الرسول ﷺ قال في مرضه الأخير: "لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قالت عائشة: فلولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا.

وفى بعض الروايات أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يموت بخمس كما قاله جُنْدَب، ولما احتاج الصحابة إلى الزيادة في مسجده، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة مدفن الرسول وصاحبيه أبى بكر وعمر -بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد

---

(1) فتاوى الأزهر (7/ 154).

فيصلي إليه العوام، ويؤدي للمحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر.

3- يؤخذ من هذا أن الإسلام لا يوافق على ما فعله اليهود والنصارى من بناء المساجد على القبور، واتخاذها أماكن للعبادة، واتخاذ القبر مسجدًا يصور بصورتين: جعل مكان السجود على القبر ذاته، أو جعل القبر أمام المصلي ليتجه إليه بالعبادة، وبذلك يفسر قول النبي ﷺ كما رواه مسلم "لا تصلوا على القبور ولا تجلسوا عليها"، وللحيلولة دون تقديس القبور وأصحابها بالصلاة عليها أمر النبي ﷺ بعدم البناء على القبور أو رفعها، ففي صحيح مسلم عن على رضي اللّه عنه أن الرسول قال له لما بعثه: "ولا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها" يقول القرطبي في تفسيره [ج 10 ص 379] قال علماؤنا: "ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها، وأن تكون لاطئة بالأرض، أي لاصقة، وبه قال بعض أهل العلم، وذهب الجمهور إلى أن هذا الارتفاع المأمور بإزالته هو ما زاد على التسنيم، ويبقى للقبر ما يُعرف به ويُحترم، وذلك صفة قبر نبينا محمد ﷺ وقبر صاحبيه رضي اللّه عنهما، على ما ذكره مالك في الموطأ، وقبر أبينا آدم على ما رواه الدارقطنى من حديث ابن عباس، وأما تعلية البناء الكثيرة على ما كانت تفعله الجاهلية تفخيمًا وتعظيمًا فذلك يُهدم ويُزال، فالزيادة حرام، والتسنيم في القبر ارتفاعه قدر شبر، مأخوذ من سنام البعير[يراجع نيل الأوطار للشوكانى ج 4 ص 89].

ومما ورد في النهى عن اتخاذها مساجد قول ابن عباس رضي اللّه عنهما: "لعن رسول اللّه ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج"، رواه أبو داود والترمذي وحسنه. قال القرطبي: قال علماؤنا: هذا يحرِّم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد، وروى الأئمة عن أبى مرثد الغنوي أنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: "لا تصلوا على القبور ولا تجلسوا عليها".

4- ومن احتياطات العلماء لعدم الصلاة على المقابر نهوا عن الدفن في المساجد، أو عمل مسجد على القبر، قال النووي في شرح المهذب ص 316 ما نصه: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء أكان الميت مشهورًا بالصلاح أو غيره؛ لعموم الأحاديث، قال الشافعي والأصحاب: تكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحًا أو غيره، قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام الزعفراني رحمه اللّه: ولا يصلى إلى قبر ولا عنده تبركًا ولا إعظامًا، للأحاديث.

وأفتى ابن تيمية بأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر إما بتسوية القبر، وإما بنبشه إن كان جديدًا، وقال: لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق، كما نقله عنه ابن القيم في زاد المعاد [فتوى الشيخ عبد المجيد سليم سنة 1940 م- الفتاوى الإسلامية ج 2 ص 650].

حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر:

إذا كان القبر في مكان منعزل عن المسجد أي لا يُصلى فيه، فالصلاة في المسجد الذي يجاوره صحيحة ولا حرمة ولا كراهة فيها، أما إذا كان القبر في داخل المسجد، فإن الصلاة باطلة ومحرمة على مذهب أحمد بن حنبل، جائزة وصحيحة عند الأئمة الثلاثة، غاية الأمر أنهم قالوا: يكره أن يكون القبر أمام المصلي؛ لما فيه من التشبه بالصلاة إليه، لكن إذا قصد بالصلاة أمام القبر تقديسه واحترامه كان ذلك حرامًا، وربما أدى إلى الشرك، فليكن القبر خلفه أو عن يمينه أو عن يساره. [1]

5- العلامة الأزهري وشيخ أنصار السنة المحمدية محمد حامد الفقي رحمه الله:

لما أمعن الشيخ في دراسة الحديث على الوجه الصحيح، ومطالعة كتب السلف والأئمة الكبار أمثال ابن تيمية وابن القيم وابن حجر والإمام أحمد بن حنبل والشاطبي وغيرهم، دعا إلى التمسك بسنة الرسول الصحيحة، والبعد عن البدع ومحدثات الأمور، ونبه إلى أن ما حدث لأمة الإسلام كان بسبب بُعدها عن السنة الصحيحة، وانتشار البدع والخرافات والمخالفات.

فالتف حوله نفر من إخوانه وزملائه وأحبابه واتخذوه شيخًا لهم، وكان سنّه عندها ثمانية عشر عامًا سنة 1910م بعد أن أمضى ست سنوات من دراسته بالأزهر. وهذا دلالة على نبوغ الشيخ المبكر، وظل يدعو بحماسة من عام 1910م حتى أنه قبل أن يتخرج في الأزهر الشريف عام 1917م دعا زملاءه أن يشاركوه ويساعدوه في نشر الدعوة للسنة الصحيحة والتحذير من البدع.

ولكنهم أجابوه بأن الأمر صعب، وأن الناس سوف يرفضون ذلك فأجابهم: إنها دعوة السنة والحق، والله ناصرها لا محالة، فلم يجيبوه بشيء، فأخذ على عاتقه نشر الدعوة وحده، والله معه فتخرج عام 1917، بعد أن نال الشهادة العالمية من الأزهر وهو مستمر في الدعوة وكان عمره عندها 25 سنة، ثم انقطع منذ تخرجه إلى خدمة كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

وظل بعد ذلك يدعو عدة أعوام حتى تهيأت الظروف وتم إشهار ثمرة هذا المجهود وهو إنشاء "جماعة أنصار السنة المحمدية" التي هي ثمرة سنوات الدعوة من 1910م إلى 1345هـ/ 1926م عام إنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية، واتخذ لها دارًا بعابدين، ولقد حاول كبار موظفي قصر عابدين بكل السبل صد الناس عن مقابلته، والاستماع إليه حتى سخَّرُوا له من شرع في قتله، ولكن صرخة الحق أصمَّت آذانهم، وكلمة الله فلَّت جموعهم، وانتصر الإيمان الحق على البدع والأباطيل.[2]

بعد أن أسس الشيخ -رحمه الله- جماعة أنصار السنة المحمدية وبعد أن يسَّر الله له قراءة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم، واستوعب ما فيها، ووجد فيها ضالته، في مارس 1936م صدر العدد الأول من مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال جماعته، والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها. وقد

---

(1) فتاوى الأزهر (9/ 31).

(2) مجلة الشبان المسلمين رجب 1371هـ.

تولى رياسة تحريرها فكان من كُتاب المجلة على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أحمد محمد شاكر، الأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح (إمام للحرم المكي)، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش، والشيخ صادق عرنوس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، كما كان من كتابها الشيخ محمود شلتوت، رحم الله الجميع.

عاش رحمه الله للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كان في دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، كان صبورًا جلدًا على الأحداث. نُكِبَ في اثنين من أبنائه الثلاث فما رأى الناس معه إلا ما يرون من مؤمن قوي أسلم لله قلبه كله.

وكما كان الشيخ محبًّا لابن تيمية وابن القيم فقد جمعت تلك المحبة لهذين الإمامين الجليلين بينه وبين الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر، وكذلك الشيخ شلتوت الذي جاهَر بمثل ما جاهر به الشيخ حامد .

ألف الشيخ محمد حامد الفقي –رحمه الله– كتابًا في نصرة الدعوة السلفية، وفي الثناء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والرد على المعارضين المناوئين أسماه (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها) . قال في ص31: (وكان من أهم ما خدم به الشيخ ابن عبد الوهاب الناسَ أن رفع عن قلوبهم غشاوة الجهل، وكابوس التقليد الأعمى لكل ناعق على غير هدى ولا بصيرة).

ويتضح موقفه كذلك من السلفية من تأسيسه لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وهي لسان السلفية، وكان لها الأثر الكبير في نشر الدعوة الوهابية، ونشر كتب أئمة الدعوة النجدية، كما قام رحمه الله بتحقيق بعض كتب الوهابية كفتح المجيد، وطُبع في مطبعة أنصار السنة المحمدية الكثير من كتب التوحيد والسنة.

والحق فيه ما قاله شيخ المشايخ عبد الرحمن الوكيل: (لقد ظل إمام التوحيد (في العالم الإسلامي) والدنا الشيخ محمد حامد الفقي . رحمه الله . أكثر من أربعين عامًا، مجاهدًا في سبيل الله. ظل يجالد قوى الشر الباغية في صبر، مارس الغلب على الخطوب، واعتاد النصر على الأحداث، وإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس، أو يلوذ به؛ إذ كان الخوف من الله آخذًا بمجامع قلبه، كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يُدهن في القول ولا يداجي ولا يبالي ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو الجهر به؛ إذ كان يسمي المجاملة نفاقًا ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق ذلاً وجبنًا).

6– العالم الأزهري عبد الرحمن الوكيل:

تعرف على فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رائد الدعوة السلفية في مصر سنة 1936م، ولقد كانت له مكانته الخاصة لدى الشيخ حامد الفقي، حتى إنه عندما حقق رحمه الله كتاب «نقض المنطق» 1370هـ- 1951م كتب في مقدمته يقول: (ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق الشيخ عبد الرحمن الوكيل وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة، وله بصر نافذ فيها، وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله).

اختير رحمه الله رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة، كما عمل وكيلاً أول للجماعة، وعند اختيار الشيخ عبد الرزاق عفيفي رئيسًا للجماعة تم انتخابه نائبًا للرئيس في 22 صفر 1379-1959/8/27م، ثم انتُخب رئيسًا للجماعة بعد سفر الشيخ عبد الرزاق إلى السعودية، وكان ذلك في اجتماع الجمعية العمومية المنعقدة في 15محرم1380هـ يوليو1960م ليكون ثاني رئيس للجماعة بعد مؤسسها وانتُخب نائبًا له الشيخ محمد خليل هراس.

عندما أدمجت الجماعة بغيرها وتوقفت مجلة الهدي النبوي التي كان يشغل رئيس تحريرها ويكتب التفسير بها، انتُدب أستاذًا بكلية الشريعة بمكة، وظل في هذه الوظيفة وهو أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا وفي جوار البلد الأمين غالبه المرض، وقضى نحبه ولحق بجوار ربه في 22 جمادى الأول 1390هـ الموافق 1971م ودفن بالحجون.

يقول عنه الشيخ محمد صادق عرنوس: (إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائيًّا في تشريح التصوف والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليمرض ويشفى).

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول من قال من علماء جماعة أنصار السنة المحمدية «بأن التصوف كله شر». وكان له رحمة الله عليه أثر كبير في ظهور الكتابة العلمية عن التصوف في مجلة الهدي النبوي. وقد ظل يكتب بها قرابة ربع قرن، ولقد كتب رحمه الله في آخر ما كتب تحت عنوان «نظرات في التصوف» من ذلك اعتبارًا من عام 1379هـ - 1386هـ مقالات بلغت (45) مقالاً، وهو قد اختط لنفسه منهجًا في الكتابة عن التصوف، يقول عنه: «إننا سنعرض هذه القضية عرضًا عادلاً منصفًا فيه إسراف في العدل والإنصاف، وحسب القارئ إنصافًا في العرض وإيثارًا للعدل الكريم أننا سنبسط أن آراء التصوف نفسه كما بثها كبار شيوخه، وكما دافعوا عنها تاركين للقارئ الحكم، وحسبه أن يقارن بين أصول الإسلام التي يعيها كل مسلم وبين آراء التصوف على أننا سنعين القارئ أحيانًا بتذكيره بأدلة هذه الأصول من آيات القرآن، وأحاديث السنة الصحيحة»، وتُعتبر كتبه مرجعًا لكل من أراد أن يكتب عن التصوف.

توبته من التصوف:

قال عن نفسه رحمه الله: (فإنه كانت لي بالتصوف صلة هي صلة العبر بالمأساة، فهنالك –حيث يدرج بي الصبا في مدارجه السحرية، وتستقبل النفس كل صروف الأقدار بالفرحة الطرب... هنالك تحت شفوف الأسحار الوردية من ليالي القرية الوادعة الحالمة... جثم على صدره صنم صغير يعبده كثير من شيوخ القرية، هنالك ... كان يجلس الصبي بين شيوخ تغضضت منهم الجباه، وتهدلت الجفون، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينة راعشة، وفي أجسادهم الهضمية تحولاً ذابلاً... وتتهدج ترانيم الشيوخ تحت السحر– نواحًا بينها صوت الصبي– بالتراتيل الوثنية، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن مشيش، ومنظومة الدردير كانتا أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق بالدموع، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى: "اللهم انشلني من أوحال التوحيد!!" ومن الثانية "وجُدْ لي بجمع الجمع منك تفضلاً"!!

يا للصبي الغرير التعس المسكين!! فما كان يدري أنه بهذه الصلوات المجوسية يطلب أن يكون هو الله هوية وماهية وذاتًا وصفة!! ما كان يدري ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أوحاله!! ولا ما جمع الجمع الذي يبتهل إلى الله أن يمنَّ به عليه!!

ويشب الصبي، فيذهب إلى طنطا ليتعلم، وليتفقه في الدين. وثمة يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له، ولصحابه: أن "البدوي" قطب الأقطاب، يصرّف من شئون الكون، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية!! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفًا مرتعدًا: وماذا يفعل الله؟! ويهدر الشيخ غضبًا، ويزمجر حنقًا، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت، وقد استشعر من سؤاله، وغضب الشيخ، أنه لطخ لسانه بجريمة لم تُكتب لها مغفرة!! ولِمَ لا؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر، وما كان يستطيع الشاب أبدًا أن يفهم أن مثل هذا الحبر الأشيب يرضى بالكفر، فصدق الشاب شيخه.

ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها: أن الصوفي فلانًا غسلته الملائكة، وأن فلانًا كان يصلي كل أوقاته في الكعبة، في حين كان يسكن جبل قاف، أو جزائر واق الواق!! وأن رسول الله ﷺ مد يده من القبر وسلم على الرفاعي!! وأن فلانًا عذبته الملائكة؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد!! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده؛ لأنه أحاديث حُذفت أسانيدها!! ويصدق الشاب بكل هذا، ويؤمن، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا...

وتموج طنطا بالوفود، وتعج بالآمّين بين الطاغوت الأكبر من كل حدب، ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بخنات الأنوف، ورجات الأرداف ووثنية الدفوف، وثمة يسمع منشد القوم يصيح راقصًا: "ولي صنم في الدير أعبد ذاته"، فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات: "أيوه كده اكفر، اكفر يا مربي"، ويرى الشاب على وجوه القوم فرحًا وثنيًا راقص الإثم بما سمعوا من المنشد الكافر، فيسأل شيخنا ممن وفدوا من أهل قريته: يا سيدي الشيخ، ما ذلك الصنم المعبود؟! فيزم الشيخ شفتيه، ثم يجود على الشاب الواله الحيرة بقوله: " انته لسه صغير"!! ويسكت الشاب قليلاً، ولكن الكفر يضج في النعيق، فيسمع المنشد يقيء "سلكت طريق الدير في الأبدية" "وما الكلب والخنزير إلا إلهنا" ويطوي الشاب

نفسه على فزع وعجب يساءل الذهول: ما الكلب؟ ما الخنزير؟ ما الدير وأنى للذهول بأن يجيب؟! ولقد خشي أن يسأل أحد الشيوخ ما دام قد قيل له: "انته لسه صغير" ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحمآت، يشربون "القرفة" ويهنئون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم البدوي!!!

وتكفن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات، فيصبح طالبًا في كلية أصول الدين فيدرس أوسع كتب التوحيد –هكذا تسمى– فيعي منها كل شيء إلا حقيقة التوحيد، بل ما زادته دراستها إلا قلقًا حزينًا، وحيرة مسكينة.... ويدور الزمن فيصبح الشاب طالبًا في شعبة التوحيد والفلسفة، ويدرس فيها التصوف، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته، رأي ابن تيمية في ابن عربي. فتسكن نفس الشاب قليلاً إلى ابن تيمية، وكان قبل يراه ضالاً مضلاً... وكانت عنده لابن تيمية كتب، بيد أنه كان يرهب مطالعتها، خشية أن يرتاب في الأولياء، كما قال له بعض شيوخه من قبل!!

وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية.. ويقرأ الشاب، ويستغرق في القراءة، ثم ينعم القدر على الشاب بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل، فيقر به سراه المضني عند جماعة أنصار السنة المحمدية، فكأنما لقي بها الواحة الندية السلسبيل بعد دوي ملتهب الهجير.

لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الشيخ محمد حامد الفقي إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة، فيقرأ الشباب ويتدبر ما يقرأ وثمة رويدًا رويدًا ترتفع الغشاوة عن عينيه، فيبهره النور السماوي، وعلى أشعته الهادية يرى الحقائق، ويبصر القيم.

يرى النور نورًا والإيمان إيمانًا، والحق حقًّا، والضلال ضلالاً، وكان قبل –بسحر التصوف– يرى في الشيء عين نقيضه، فيؤمن بالشرك توحيدًا، وبالكفر إيمانًا، وبالمادية الصماء من الوثنية: روحانية عليا، ويدرك الشاب -وهو لا يكاد يصدق– أن التصوف دين الوثنية والمجوسية، دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق، وكل مجرم، وكل جريمة!! دين يرى في إبليس، وفرعون، وعجل السامري، وأوثان الجاهلي، يرى في كل هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله، بل لعنتهم حتى العقول، يرى فيهم أربابًا وآلهة تهيمن على القدر في أزله وأبده، دين يرى في كل شيء إلهًا يجب أن يُعبَد. وربًّا يخلق ما يشاء ويختار، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى: هي الإيمان بأن الله –سبحانه– عين كل شيء. دين لا تجد فيه فيصلاً بين القيم، ولا بين حقائق الأشياء، ولا بين الضد وضده، ولا بين النقيض ونقيضه. دين يقول عن الجيف – يتأذى منها النتن، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية – إنها هي الإله، وسبحان ربنا!!... ذلكم هو دين التصوف في وسائله وغاياته وتلك هي روحانيته العليا !!

ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة، وأصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح: إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخّر معه عباد الله في حربه لله، ولرسله، إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي، العداوة للدين الحق، فتش فيه تجد برهمية، وبوذية،

وزرادشتية، ومانوية وديصانية، تجد أفلوطينية، وغنوصية، تجد يهودية ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر... [(1)].

سافر إلى بلاد الحرمين ودرس في معاهد وكليات الوهابية؛ حيث انتُخب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض مع فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا عام 1371هـ 1952م، وهو من مؤسسي جماعة أنصار السنة، ثم انتُدب أستاذًا بكلية الشريعة بمكة، وظل في هذه الوظيفة وهو أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا وفي جوار البلد الأمين غالبه المرض وقضى نحبه ولحق بجوار ربه في 22 جمادى الأول 1390هـ الموافق 1971م.

بذل عمره في الدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة؛ حيث كتب الكثير من الكتب التي تفضح المخالفين لمذهب السلف، ومنها: صوفيات ودعوة الحق، وهذه هي الصوفية، والبهائية والصفات الإلهية والقاديانية، ورسالة صغيرة طُبعت تحت عنوان زندقة الجيلي.

7- العلامة الأزهري عبد الظاهر بن محمد أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام:

ولد في بلدة تلين بمصر في عام (1300هـ)... اتصل بالشيخ محمد أمين الشنقيطي فأنار له سبيل العقيدة السلفية، فعكف على دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم، ثم عمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية بالسويس، ثم عاد إلى القاهرة، وطلب العلم ثم عُين مدرسًا بمدرسة الإسكندرية، وهناك أسس جماعة أنصار السنة، فاعتُدِيَ على الشيخ وهو يؤم الناس في المسجد؛ بسبب دعوته إلى توحيد الله عز وجل، ثم طلبه الملك عبد العزيز آل سعود فقدم إلى مكة وعينه إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام، ثم أسس مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة، وقد كان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة سنده الأكبر -بعد الله تعالى- في بث الدعوة، ونشر العقيدة بهذه الدار التي تخرّج منها الكثير من طلبة العلم ودعاة التوحيد، ولازال إماما وداعيا إلى الله عز وجل إلى أن توفي رحمه الله بمصر عام 1370هـ .

8- العلامة المحدث محمد بن عبد الرزاق حمزة:

كانت للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة -رحمه الله- أوثق الصلات بجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ممثلة في رئيسها ومؤسسها فضيلة الشيخ العلامة محمد حامد الفقي -رحمه الله-، كما كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة -رحمه الله- إسهامات علمية مباركة في مجلة الهدي النبوي تبرهن على قوة صلة الشيخ بجماعة أنصار السنة المحمدية التي تؤدي دورًا فاعلاً في الساحة الإسلامية في مقاومة القبورية.

---

(1) انظر مقدمة كتاب تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي للشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله.

في عام (1344هـ) قصد الشيخان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ عبد الظاهر أبو السمح مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وقابلا الملك عبد العزيز، وعرض عليهما الانتقال إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية لإمامة الحرمين الشريفين والقيام بخطابة الجُمع والتدريس فيهما.

وبناءً على الرغبة الملكية انتقل الشيخان بأهلهما وأولادهما إلى مكة المكرمة سنة (1347هـ – 1929م)، وأصدر الملك عبد العزيز أمره بتعيين الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح إمامًا وخطيبًا ومدرسًا في المسجد الحرام، وتعيين الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد النبوي بالمدينة.

كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في خطب الجمع والتدريس في الحرم النبوي جولات واسعة في الإصلاح الديني، والتوجيه الهادف، ومعالجة الأدواء الاجتماعية، كما فتح دروسًا صباحية ومسائية في المسجد النبوي في الحديث والتفسير والتوحيد، وكان لكل ذلك الأثر الطيب في نفوس الشباب المثقف وغيرهم. لم تطل إقامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في المدينة فنقل إلى مكة المكرمة في غضون (1348هـ–1929م) مدرسًا في الحرم المكي، ومساعدًا للشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح في إمامة الحرم والخطابة.

كما عهد إليه في التدريس في المعهد العلمي السعودي ودروسه في المعهد لم تكن مقتصرة على المواد الدينية، بل قام بتدريس المواد الرياضية كالحساب والهندسة والجبر ومبادئ المثلثات.

واستأنف نشاطه العلمي الإرشادي في مكة، بفتح دروس للعامة بين العشاءين، وبعد صلاة الفجر في المسجد الحرام، في التفسير والحديث بطريقة غير مألوفة للناس، وإذا تعرض لآراء الفرق المنحرفة من القدماء أو العصريين شرح للمستمعين انحرافاتهم، ثم يبدأ في نقض آرائهم بطريقة علمية منطقية سهلة، يرتاح إليها الحاضرون، ويصغون إليه وكأن على رؤوسهم الطير.

ويقول عن نفسه: (وعلى ذكر الشيخ عبد الظاهر أبي السمح أذكر له بالثناء الجميل توجيه قلبي ونفسي إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد كان أستاذي بدار الدعوة والإرشاد في تجويد القرآن، وتجويد الخط، وبالاتصال به دارت بيننا مباحثات في مسائل التوسل، والشفاعة، ودعاء الصالحين، فأعارني كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية، في التوسل والوسيلة، فقرأته فتأثرت به أي تأثر، وانتقلت رأسًا على عقب، وامتزج حب ذلك الشيخ: شيخ الإسلام ابن تيمية بلحمي وعصبي ودمي، وأصبحت حريًا على البحث عن كل كتاب له، ولمن يتابعه، وقرأت بعض كتب تلميذه كالشيخ محمد بن عبد الهادي "الصارم المنكي في الرد على السبكي"، فخرجت بيقين ثابت، وإيمان قوي، ومعرفة جيدة بمذاهب السلف في هذه الأمور، وبحب مطالعة كتب الحديث، وأسانيده، والكلام على رجاله، كل ذلك ببركة مطالعة كتابي: التوسل والوسيلة والصارم المنكي).

كان الاهتمام بالحديث وكتبه ودراسته ودراسة فنونه في مقدمة ما كان يحرص عليه الشيخان الجليلان: الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، وبناءً عليه قام الاثنان بتأسيس دار الحديث بمكة (سنة1350هـ-1931م)، وتم افتتاح هذه الدار تحت إدارة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح، وعُهِدَ إلى الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بأن يكون مدرسًا أولاً بها، واختير لها كذلك نخبة من العلماء المشتغلين بالحديث وعلومه للتدريس بها.

9- الشيخ العلامة الأزهري محمد خليل هراس:

وُلد في(قرية الشين) مركز قطور إحدى مدن محافظة الغربية بمصر عام 1915م، ثم بدأ تعليمه في الأزهر الشريف عام 1926م ودرس وتخرج في الأزهر من كلية أصول الدين، وحصل على العالمية العالية في التوحيد والمنطق عام 1940م، وعمل أستاذًا بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر، ودرس في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وجامعة أم القرى، ثم عاد إلى مصر وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة، ثم رئيسًا عامًّا لها.

وفي عام (1973م) - أي قبل وفاته بسنتين- اشترك مع الدكتور عبد الفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية، وكان أول رئيس لها.

وكان رحمه الله سلفي المعتقد، شديدًا في الحق، قوي الحجة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف، ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة، شديد التمسك بها، وناصرًا لها، كما كان رحمه الله شوكة في حلوق المبتدعة، قال عنه فضيلة الشيخ محمد رشاد الشافعي: (كان يلاقي رحمه الله من عنت الجبارين وكيد المبتدعين وزندقة الملحدين ما لا يطيقه إلا الصابرون والمحتسبون)؛ حيث ظل طوال حياته مدافعًا عن الحديث الشريف الصحيح من اعتداءات منكري السنة، فتعرض رحمه الله لمحاولات عديدة للقتل من متشددي الصوفية ومنكري السنة، ولكن الله أعلم بمكائدهم فنجاه الله حتى يكون شوكة في حلوقهم.

كان رحمه الله على قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة السلفية، وملمًّا إلمامًا دقيقًا بفكر الفِرَق الضالة المختلفة.

توفى رحمه الله في شهر سبتمبر عام 1975م بعد حياة حافلة بالعطاء؛ حيث كان له نشاط ملحوظ في العام الذي توفي فيه؛ حيث ألقى عدة محاضرات في طنطا والمحلة الكبرى والمركز العام لأنصار السنة، وكانت آخر خطبة له بعنوان التوحيد وأهمية العودة إليه.

لقد كانت حياة الشيخ كلها في التوحيد، وقد أفنى عمره كله في نصرة العقيدة السلفية والذب عنها، فرحمة الله عليه.

كتب رحمه الله عز وجل كتابًا في نصرة الدعوة السلفية والرد على المناوئين لها، سماه (الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية)، قال رحمه الله عز وجل في ص (34): (هذه الحركة تنادي باتباع مذهب السلف في صفات الله تعالى... بل لعلها الآن هي الحركة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى هذا المذهب السلفي، وتعمل ما وسعها على نشره والدعوة إليه بمختلف الوسائل لاسيما عن طريق طبع الكتب والرسائل التي أُلِّفت في مناصرته قديمًا وحديثًا).

10- العلامة المحدث الأزهري أحمد محمد شاكر: (1309-1377هـ)*(1892-1958م):

سماه أبوه (أحمد شمس الأئمة، أبو الأشبال)، حصل على شهادة العالمية بالأزهر سنة 1917م، فعين مدرسًا بمدرسة ماهر. ثم عُين عضوًا بالمحكمة الشرعية العليا، وظل في سلك القضاء حتى أُحيل إلى التقاعد سنة 1951م، عمل مشرفًا على التحرير بمجلة (الهدي النبوي) سنة 1370هـ، وكان يكتب بها مقالاً ثابتًا (اصدع بما تؤمر * كلمة الحق))، وقد طبعته دار الكتب السلفية.

وكان لمعرفته بالسنة النبوية ودراستها أثر كبير في أحكامه، فقد تولى القضاء في مصر أكثر من ثلاثين سنة، وكان له فيها أحكام مشهورة في القضاء الشرعي، قضى فيها باجتهاده غير مقلد ولا متبع.

يظهر موقف الشيخ من الوهابية جليًّا وثناؤه عليهم من تحقيقه للأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وكتاب التوحيد ثلاثتها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهذا يبين بوضوح ثناء الشيخ على الدعوة السلفية، بل قام رحمه الله بشرح كتاب التوحيد شرحًا مختصرًا.

11- العالم الأزهري مناع خليل القطان المنوفي:

مشايخه الذين تأثر بهم: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد المتعال سيف النصر، والشيخ علي شلبي، والشيخ محمد زيدان، والدكتور محمد البهي، والدكتور محمد يوسف موسى، ووالده خليل القطان، ثم الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ حسن البنا. وكان وثيق الصلة بالشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق، والشيخ أحمد حسن الباقوري.

وقد غادر مصر سنة 1953م إلى السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة 1958م، حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، ثم مديرًا للمعهد العالي للقضاء، ثم مديرًا للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالإضافة إلى عضويته في مجلس الجامعة، ورئاسة اللجنة العلمية لكلية البنات، وكذلك لجنة السياسة التعليمية بالمملكة، وكان يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات محمد بن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

والتي بلغ عددها 115 رسالة، وقد شارك في الكثير من المؤتمرات الإسلامية والعلمية في داخل المملكة وخارجها.

ألف رحمه الله كتابًا في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بيَّن فيه اعتماد دعوة محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة، وقد ترجم للشيخ في الكتاب، وذكر شيئًا عن بيئته وعصره، ثم ذكر أن دعوة الشيخ في العقيدة تعتمد على الكتاب والسنة، وكذا منهجه في الفقه يرتكز على الأدلة من الكتاب والسنة.

جهود أئمة آل البيت في مواجهة شركيات وبدع القبورية[1]

كان لأئمة آل البيت جهود عظيمة في محاربة الغلو في القبور، ومحاربة صوره، ومن هذه الصور:

1) التحذير من البناء عليها أو رفعها أو تطيينها:

فقد جاء عن علي بن جعفر أنه قال: سألت موسى الكاظم عليه السلام عن البناء على القبر والجلوس عليه... هل يصح؟ قال: لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه).

وورد عن أبي عبد الله – أيضًا – عليه السلام أنه قال: إن النبي ﷺ نهى أن يُزَاد على القبر تُراب لم يخرج منه).

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة، فقال: لا تدع صورة إلا محوتها، ولا قبرًا إلا سويته، ولا كلبًا إلا قتلته).

وورد عنه –أيضًا– عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور).

وجاء عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: يدعى للميت حين يدخل حفرته، ويُرفع القبر فوق الأرض أربع أصابع).

وهكذا أوصى كثير من أئمة آل البيت أولادهم عند وفاتهم، فقد جاء عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: إذا حُملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني، ولا ترفعوا قبري أكثر من أربع مفرجات).

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن أبي قال لي ذات يوم في مرضه: "إذا أنا متُ فغسلني وكفني، وارفع قبري أربع أصابع ورشّه بالماء).

كما ثبت عن جعفر عن أبيه عليه السلام أن قبر رسول الله ﷺ رُفع شبرًا من الأرض، وأن النبي ﷺ أمر برش القبور).

2) التحذير من بناء المساجد عليها أو اتخاذها قبله أو الصلاة عندها:

فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تتخذوا قبوركم مساجدكم، وبيوتكم قبورًا).

1- جهود آل البيت في محاربة الشرك، متاح على الرابط التالي:
http://www.alburhan.com/articles.aspx?id=1668&selected_id=1669&page_size=5&links=False

وجاء عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: الصلاة بين القبور، قال: صلّ في خلالها، ولا تتخذ شيئًا منها قبلة، فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، وقال: (لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدًا، فإن الله لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُصلَّى على القبر، أو يُقْعَد عليه، أو يُبْنَى عليه).

وثبت عنه –أيضًا– عليه السلام أنه قال: عشرة مواضع لا يُصلَّى فيها... وذكر منها: القبور).

يقول أبو جعفر الصدوق معقبًا على هذا الحديث: وأما القبور فلا يجوز أن تُتَّخَذ قبلة ولا مسجدًا، ولا بأس بالصلاة بين خللها ما لم يُتَّخذ شيء منها قبلة، والمستحب أن يكون بين المصلي وبين القبور عشرة أذرع من كل جانب)، وهذا كله سدًّا لذريعة الشرك.

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن أبي استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة، قال: ادع لي شهودًا، فدعوت أربعة من قريش، فقال: اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنيه – إلى أن قال – وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد، وأمره أن يكفنّه في برده الذي كان يصلي فيه الجمعة، وأن يعممه بعمامته، وأن يرفع قبره، ويرفعه أربعة أصابع..).

بل جاءت وصية النبي ﷺ بذلك، فقد جاء من حديث أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا عليّ! ادفني في هذا المكان، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورشّ عليه من الماء).

وهذا ما حكاه جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أنه قال: إن قبر رسول الله ﷺ رُفع شبرًا من الأرض، وأن النبي ﷺ أمر برشّ القبور).

وهكذا جاء عنهم – أئمة آل البيت – النهي في اتخاذ قبورهم – أنفسهم – قبلة أو مسجدًا، وهذا النبي ﷺ– سيد الأولين والآخرين – ينهى أمته عن اتخاذ قبره قبلة أو مسجدًا، فقد ثبت عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدًا، فإن الله عز وجل لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وهكذا كان هدي أهل البيت ومنهجهم، فلا يلجئون ولا يسألون أحدًا إلا الله وحده، ويقرون أنهم لا يملكون النفع والضر، لا لأنفسهم ولا لغيرهم إلا إذا شاء الله، فإنهم يصابون كما يصاب البشر بالبلاء والمرض والفقر، بل إنهم من أكثر الناس ابتلاء، كما قال الصادق عليه السلام: إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل).

فكانوا لا يلجئون إلى أحدٍ إلا إلى الله عز وجل، كما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول عند العلة: اللهم إنك عيرت أقوامًا فقلت: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ...)(الإسراء:56)، فيا من

يملك كشف ضري ولا تحويله عني أحد غيره، صل على محمد وآل محمد، واكشف ضري وحوِّله إلى من يدعو معك إلهًا آخر، لا إله غيرك).

وكان أئمة آل البيت يعلمون أولادهم وأصحابهم ألا يسالون إلا الله وحده، فهذا علي بن الحسين عليه السلام يقول لابنه: يا بني، من أصابه منكم مصيبة، أو نزلت به نازلة، فليتوضأ، ويسبغ الوضوء، ثم يصلي ركعتين أو أربع ركعات، ثم يقول في آخرهن: يا موضع كل شكوى، يا سامع كل نجوى...).

وكان يقول أبو الحسن موسى عليه السلام:... فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل)، وليس إلى غيره.

حتى إن أئمة آل البيت كان يأتي إليهم بعض أصحابهم، ويطلبون منهم أن يدعون الله لهم، وهم أحياء، فكانوا يرشدونهم إلى أن لا يسألوا أحدًا إلا الله وحده، حتى لا تتعلق قلوبهم بغيره، فقد جاء عن يعقوب بن سالم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له العلاء بن كامل: إن فلانًا يفعل بي ويفعل، فإن رأيت أن تدعو الله عز وجل، فقال: هذا ضعف بك، قل: اللهم إنك تكفي من كل شيء، ولا يكفي منك شيء، فاكفني أمر فلان بما شئت، وكيف شئت، ومن حيث شئت، وأنى شئت).

فهؤلاء الأئمة الأعلام من آل البيت، وهذه نصوصهم جلية واضحة، ترشد العباد إلى التوحيد الخالص، الخالي من شوائب الشرك، التي تغرس شجرة التوحيد في النفوس، فتؤتي أكلها طيبًا مباركًا. وهذه النصوص رسالة إلى عباد القبور، الذين ما تنزل بهم مصيبة، أو تحل بهم نكبة أو بلاء، إلا وسارعوا إلى مراقد الصالحين وقبورهم، يدعونهم ويستغيثون بهم من دون الله عز وجل.

ونقول لهؤلاء: إذا نزلت بكم الشدائد والمصائب.. بمن تستغيثون؟! وبمن تأملون؟! وبمن تعتصمون؟! هل تستغيثون بالله أم بالأئمة؟! هل تدعون الله أم الأئمة؟! هل ترجون الله أم الأئمة...؟!

أين أنتم من هذه الرواية التي جاءت عن سعيد بن عبد الرحمن أنه قال: كنت مع موسى بن عبد الله بن الحسن بينبع، وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض ولد الحسين: من تؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت: موسى بن عبد الله عليه السلام، فقال: إذًا لا تُقضي حاجتك، ثم لا تنجح طلبتك، قلت: ولِمَ ذلك؟ قال: لأني قد وجدت في بعض كتب آبائي أن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي ومجدي، وارتفاعي على عرشي، لأقطعن أمل كل مؤمل (من الناس) غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي، ولأبعدنه من فضلي، أيؤمل غيري في الشدائد؟! والشدائد بيدي!! ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري، وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني...).

جهود علماء اليمن في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

ألف العلامة الشـــيخ أحمد بن حســـن المعلم – رئيس مجلس علماء أهل الســـنة والجماعة بحضـرموت – موسـوعته الكبيرة المسـماة:" القبورية في اليمن نشـأتها – آثارها – موقف العلماء منها" والتي نال بها درجة الماجســـتير في العقيدة من الجامعة الوطنية باليمن، تعتبر هذه الموســـوعة من أفضـل ما أُلِّفَ للرد على القبورية، وإن كان مخصـصـًا للرد على صـوفية اليمن خاصـة، إلا أنه يُسـتفاد منها في الرد على القبورية بصفة عامة.

هذه مقتطفات من المبحث الثاني الذي هو بعنوان: "المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية"، من الفصـل الثاني الذي هو بعنوان: "موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها"، من الباب الثالث الذي هو بعنوان: "مواجهة علماء اليمن للقبورية".

1- الإمام محمد بن إسماعيل الأمير(ت 1182) هـ:

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها، وقد تفرد في عصره من بين علماء اليمن بأمور، هي من أعظم خصال المجددين، وأزكى ثمار اجتهاد المجتهدين، أولها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك ووسائله، وكان ذلك قبل أن يسمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–، فلما سمع بها وبما يقوم به ابن عبد الوهاب في ذلك السبيل، فرح فرحًا شديدًا، وتقوّى بذلك، ووجد المساعد على دعوته التي كان يظن أنه وحده عليها، فراسله بقصيدته الشهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

سلامٌ على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وقد ضمّن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهاد، ومحاربة البدع، وأثنى على الإمام ابن عبد الوهاب بذلك...

وأما الأمر الثاني، فالدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت.

وبالجملة فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق، ورفع راية التوحيد، وقمع البدع والمنكرات... لقد احتلت مواجهة القبورية حيزًا واسعًا من حياة ابن الأمير وجهده وجهاده.[1]

وفي كتابه الشهير "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"، قرر ما قرره الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتبه من إنكار الشرك في البلاد الإسلامية، وقرر التوحيد الذي دعا إليه الأنبياء، ودعا إليه الإمام محمد ومن سبقه من الأئمة المصلحين.

قال في خطبة الكتاب (ص4): "وبعد فهذا تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد وجب عليّ تأليفه، وتعيّن عليّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن

---

(1) القبورية في اليمن نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها، ص 244.

والشام ومصر ونجد وتهامة، وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء ممن يدّعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور لا يحضر للمسلمين مسجدًا، ولا يُرَى لله راكعًا ولا ساجدًا ولا يعرف السنة ولا الكتاب ولا يهاب البعث ولا الحساب.

وقال – رحمه الله–: فإن قلت: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه.

قلت: قد صرّح الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة: أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر، وإن لم يقصد معناها. وهذا دالّ على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا ماهية التوحيد، فصاروا حينئذ كفارًا كفرًا أصليًّا، فالله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة (**أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**) ، وإخلاصها له **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)** الآية... ومن نادى الله ليلاً ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وطمعًا، ثم نادى معه غيره، فقد أشرك في العبادة، فإن الدعاء من العبادة، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)** بعد قوله: **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)**... وهذا واجب على العلماء أي بيان أن ذلك الاعتقاد الذي فرعت منه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم، فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث الدعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله.ا.هـ.[1]

وقال – رحمه الله –: "وكذلك أصحابه من بعده لا يعلم عن أحد منهم أنه استغاث به ﷺ بعد موته، ولا يمكن أحدٌ يأتي بحرفٍ واحدٍ عن أصحابه أنه قال: يا رسول الله، ويا محمد مستغيثًا به عند شدة نزلت به؛ بل كل يرجع عند الشدائد إلى الله تعالى... وهذه الأدعية النبوية المأثورة قد ملأت كتب الحديث ليس منها حرفٌ واحدٌ فيه استغاثة بمخلوق وسؤال بحقه. وقد ذكر ابن القيم في مدارج السالكين أنه ورد في أثرٍ إسرائيلي أن داود عليه السلام قال: (يا رب أسألك بحق آبائي عليك، فأوحى الله إلى داود، يا داود أي حق لآبائك عليّ! ألستُ أنا الذي هديتهم ومننت عليهم واصطفيتهم؟! فلي الحق عليهم).

فهذه البدعة وهي الاستغاثة بالأموات وإنزال الحاجات بهم والتوسل؛ إنما هي بقية من عبادة الأصنام؟ فإن الجاهلية كانوا يستغيثون بهم ويطلبون الحاجات منهم، وكل بدعة ضلالة، كما ثبت في الأحاديث، وأي ضلالةٍ أعظم من عبدٍ يُنزل حاجاته بالأموات، ويعرض عن باري البريات.

وإن قال: لم أعرض عن الله، إنما تقربت بهم إليه. فيقال: هذا بعينه هو الذي قاله من قال إنه لا يعبد الأصنام إلا لتقربه إلى الله زلفى، غاية الفرق أن صنمه من حجارة أو خشب وصنمك من سلالة من طين، وأما التوسل وطلب الحاجات فهو العبادة، بل هو مخ العبادة كما ثبت في الأحاديث.

وقال –نقلاً عن العز بن عبد السلام–: إنه لا يجوز سؤال الله بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم.

---

(1) تطهير الاعتقاد (ص30 – 32) .

وقال: وأما طواف الزائر بقبر الميت، وتقبيلُه الأركان، وسؤالُ الحاجات منه وعنده؛ فهي عبادة المشركين لأصنامهم.

وقال: الواجب هدم ما يعمرونه في القبور، ويسمونه مشهدًا؛ عملاً بأمره ﷺ لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) حين بعثه إلى اليمن أن لا يدع قبرًا مشرفًا إلا هدمه وسواه بالأرض.

وقال: تقبيل القبور والأخشاب التي تُنْحَت عليها، ويقال لها التوابيت هو بعينه الذي كانت تفعله عباد الأوثان لأوثانهم وهي من جملة عبادتها؛ إذ كل تعظيم فهو من العبادة، وتعظيم جماد لا يضر ولا ينفع منهي عنه؛ لأن التعظيم من خاصية المعبود بحق، فلا تعظيم إلا له تعالى بالعبادة بكل جارحة من الجوارح، ومن أذن لنا بأن نعظّمه من الأحياء من الأنبياء والمرسلين والعلماء العاملين ونحو ذلك.ا.هـ [1]

2- الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني:

هو أحد مشاهير أعلام اليمن ومجددي الدين فيه، وأحد رواد النهضة الحديثة والصحوة المباركة ورموز السلفيين، ولد – رحمه الله – في سنة (1173هـ)، وتوفي رحمه الله سنة (1250 هـ).

وأما عن جهوده في مواجهة القبورية فهي كثيرة مشكورة، وقد ترك عدة آثار في ذلك:

الأثر الأول "شرح الصدور في تحريم رفع القبور"، وهو ردّ على الإمام يحيى بن حمزة الذي قال كما نقل عنه صاحب البحر الزخار: (لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين، ولم ينكر)، فرد عليه: ومهد لذلك بالتذكير بالعودة إلى الكتاب والسنة والالتزام بما جاء فيهما، وما جناه التقليد على أهله وعلى الناس من كوارث، ثم جعل هذه المسألة كالمثال على تلك القاعدة.

وقد نوَّه الشيخ العلامة محمد حامد الفقي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصدور فقال: (... يرد على الإمام يحيى خطأه – وناهيك بمنزلة الإمام يحيى من نفوس الزيديين – هذا الرد المفحم، وينادي عليه في صراحة المؤمن الذي لا يخشى في الله لومة لائم: أخطأت في تجويز رفع القباب والمشاهد على قبور الصالحين والملوك، ويا لها من شجاعة لله وفي الله!) [2].

الأثر الثاني كتاب "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد"، وهو أيضًا جواب على سؤال ورد إليه عن ذلك الموضوع، وقد صدّر الجواب بتوضيح بعض المصطلحات التي يؤدي الخلط فيها إلى الغلط، وهي: الاستغاثة، والاستعانة، والتشفع، والتوسل، وقد شرح معانيها، وأبان الفروق بينها... ثم إنه بعد ما فرغ

---

(1) الإنصـــاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، محمد بن إســماعيل الصــنعاني، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص 50-62، موقع الصوفية على الرابط التالي **www.alsoufia.com**.

(2) شرح الصدور من مجموعة رسائل في التوحيد ص (63-64) .

من تقرير موضوع التوسل، قرر بقوة وحزم أن دعاء غير الله شرك، وأنه تعبير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غير الله من الاعتقاد فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى. ص 254.

قال في الدر النضيد(ص19) بعد إيراده الأدلة على تحريم الشرك كبيره وصغيره وذكر ما يفعله المتعلقون بالأولياء من الدعاء لهم وغيره، قال: وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحدٌ منهم ميتًا أو حيًا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلاً يا فلان افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك.

وأما التقرب للأموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

(فإن قلت): إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع والخير والشر بيده، وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه. (قلت): وهكذا كانت الجاهلية؛ فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز... ولكن من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين، وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور، وناداهم مستغيثًا بهم عند الحاجة، فهذا كاذب في دعواه أنه متوسل فقط، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيءٌ من ذلك، والمتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم، ولا اعتقاد؛ لأن المدعو هو الله سبحانه، وهو أيضًا المجيب ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط، بل هو بمنزلة التوسل والعمل الصالح، فأي جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك؟ وهل هذا إلا من فعل من يعتقد التأثير اشتراكًا أو استقلالاً؟

ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل، وهو يقول بلسانه يا فلان مناديًا لمن يعتقده من الأموات فهو كاذب على نفسه، ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالاً فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم: يا ابن العجيل! يا زيلعي! يا ابن علوان! يا فلان يا فلان، وهل ينكر هذا منكر؟! أو يشك فيه شاك؟! وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطمّ وأعم، ففي كل قرية ميت يعتقده أهله وينادونه، وفي كل مدينة جماعة منهم حتى إنهم في حرم الله ينادون يا ابن عباس! يا محجوب! فما ظنّك بغير ذلك، فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

... وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف، ومن زعم أن ثَم فرقًا بين الأمر فليهده إلينا، ومن قال: إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم،

فقل له: فلأي مقتضٍ صنعت هذا الصنع؟ فإن دعاءك الميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك وهكذا إن كنت تنحر لله وتنذر لله، فلأي معنى جعلت ذلك للميت وحملته إلى قبره، فإن الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض، وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته أو أمر قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رفع عنك القلم، ولا نوافقك على دعوى الجنون إلا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط أفعال المجانين.

فإن كنت تصدرها مصدر أفعال العقلاء، فأنت تكذب على نفسك في دعواك الجنون في هذا الفعل بخصوصه؛ فرارًا عن أن يلزمك ما لزم عُبّاد الأوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله: (**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا**)، وبقوله: (**وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**) .

(فان قلت): إن المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرون بها، (قلت): هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم، فإن من استغاث بالأموات أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، أو عظّمهم أو نذر عليهم بجزء من ماله أو نحر لهم، فقد نزّلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنى لا إله إلا الله ولا عمل به بل خالفها اعتقادًا وعملاً فهو في قوله "لا إله إلا الله" كاذب على نفسه، فإنه قد جعل إلهًا غير الله يعتقد أنه يضر وينفع وعبده بدعائه عند الشدائد.

والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له، وتعظيمه إياه، ونحر له النحائر، وقرب إليه نفائس الأموال، وليس مجرد قول "لا إله إلا الله" من دون عمل بمعناها مثبتًا للإسلام، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية، وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلامًا. [(1)]

الأثر الثالث "**رسالة في وجوب توحيد الله عز وجل**"، وهي مأخوذة من كتابه الكبير المسمى "العذب المنير في جواب عالم بلاد عسير"، وقد كان السؤال متعلقًا بالتوحيد، وكون الدعاء عبادة، وهل يُعذر الجاهل في ذلك... فأجاب شيخ الإسلام جوابًا شافيًا مقنعًا مليئًا بالأدلة من الكتاب والسنة مستشهدًا بأقوال أهل العلم، وبيّن منزلة الدعاء من الدين، وحكم صرفه لغير الله، وحقيقة شرك المشركين الأولين، وهو اتخاذهم لأصنامهم شفعاء عند الله، وأن من هذه الأمة من يتخذ أصحاب القبور شفعاء، وهو بذلك مساوٍ لمشركي الجاهلية، ومنهم من يدعوهم من دون الله، وهؤلاء أغلظ شركًا من مشركي الجاهلية، ثم تعرّض لتقسيم الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثير من أنواعه على كثير من المسلمين حتى وقع فيه بعض من ينسب إلى الأدب والعلم، ثم بيّن خطورة اتخاذ المشاهد والقباب على القبور المبالغ في تعظيمها وتزيينها، ثم بين الحكمة من لعن رسول الله ﷺ متخذي القبور مساجد.

---

(1) الرسائل السلفية (ص21-22).

ثم أنكر إدخال قبر النبي ﷺ في المسجد، وما بُني عليه بعد ذلك، وكيف كان اهتمام النبي ﷺ بإزالة القبور المشرفة بحيث بعث أميرًا من أهله هو علي بن أبي طالب ﷺ؛ لطمس التماثيل، وتسوية القبور.

وقال رحمه الله عند شرحه لحديث أبي الهياج الأسدي عن علي –رضي الله عنه–: " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ "لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته" الحديث: "ومن رَفْعِ القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أوليًّا القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام: منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعَظُمَ ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة!!

فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين! أيّ رُزْءٍ للإسلام أشدّ من الكفر أي بلاء لهذا الدين أضرّ عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا؟ ا.هـ. [(1)]

3– القاضي العلامة عقيل بن يحيى الإرياني:

وصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بقوله: (عالم أديب كاتب شاعر، له مشاركة قوية في الفقه وعلوم العربية، سلك مسلك أهل السنة في اتباع أدلة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونعى على المقلدين والمعتقدين بالأولياء جمودهم، وندّد بمن يعتقد فيهم الخير، وأنهم يشفعون لمن يلتمس الخير عندهم، أو عن طريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه ينزع إلى عقيدة الوهابية...

ولم يعمّر طويلاً، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه – رحمه الله تعالى –، فقد كان مولده سنة (1324هـ)، ووفاته سنة (1346هـ)، فكان عمره أقل من اثنين وعشرين عامًا رحمه الله رحمة واسعة) ، وأثره الوحيد هو كتاب "السيف الباتر لأعناق عباد المقابر".

---

(1) نيل الأوطار (9/4).

تحدث في الباب الثاني منه عن الاستغاثة وما يتعلق بها، وبيّن حال القبوريين في هذا الموضوع، ثم استشهد على أن ذلك شرك بالآيات الكريمة، وقارنهم بمشركي العرب، وبيّن أن المشركين السابقين لم يعتقدوا أن أصنامهم تخلق أو ترزق، وإنما اتخذوها شفعاء عند الله كشأن هؤلاء المعتقدين للقبور وأصحابها، ثم أورد بعض الآيات الآمرة بالالتجاء إلى الله ﷻ... ثم كر على "عباد القبور" حسب تعبيره واعتقادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعدد أولئك الأقطاب في زعمهم من أمثال ابن عربي، وابن الفارض، وعبد الكريم الجيلي، ثم أورد أمثلة من كلامهم، ورد العلماء عليه، وبيان حكم هؤلاء عندهم.

وأما الباب الثالث: فقد عقده "في حكم زيارة القبور والسفر إليها"، وذكر الأحاديث الناهية عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة، وما أخذه العلماء منها من منع السفر إلى مشاهد الصالحين، ثم عقد فصلاً نقل تحته كلامًا لابن القيم –رحمه الله– من "إغاثة اللهفان" يوضح فيه مكائد الشيطان التي كاد بها الناس حتى عبدوا القبور. وأما الخاتمة فقد خصّصها لشُبَه الخصم، والرد عليها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. (1)

4- العلاّمة الكبير الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبَّادي – رحمه الله–:

عُرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة، وتجريد التوحيد لله تعالى، والمتابعة للرسول ﷺ، وكانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات وخصام بسبب ذلك، ولعله من أوائل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقًا.

والأثر الوحيد المكتوب للعبّادي هو منظومته "هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد"، وهي منظومة متوسطة كلها في العقيدة، والدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحذير من الشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة.

تعرض فيها لحكم البناء على القبور، وحذر من ذلك، وبيّن زيارة القبور الشرعية، وحثّ عليها والزيارة البدعية، وحذّر منها، وما يترتب عليها من الغلو في أرباب القبور، وما يحدث في تلك الزيارات من مفاسد عقدية وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابتزازهم، وأخذ ما في أيديهم، والضحك على عقولهم، وانتهى إلى بيان التصوف المحمود، ويعني به الزهد والورع، وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنيًّا على العلم النافع جالبًا للعمل الصالح، وعدّد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية. (2)

---

(1) القبورية في اليمن نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها، ص 265.

(2) المصدر السابق، ص 270.

5- العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور "بالبيحاني":

هو الداعية السني الكبير محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، مؤسس المعهد الإسلامي بعدن، ولد "ببيحان" سنة (1326هـ)... استقر في مدينة كريتر، وأسس فيها مسجد العسقلاني، الذي عُرف بالشيخ، وعرف الشيخ به، ومكث هناك يدعو إلى الله، ويقيم الدروس العلمية والوعظية، وينشر السنة المطهرة، ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبّه قومه إلى خطورة الاستعمار، والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.

ومن أبرز مآثره المعهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين، والذي أُمم في أيام الاشتراكيين، وأصبح مقرًا لوزارة الداخلية، كما أنه كان نشيطًا في التأليف، فألّف أكثر من اثنين وعشرين كتابًا من أشهرها كتاب "إصلاح المجتمع "الذي لقي قبولاً واسعًا، وانتشر في أقطار المسلمين عمومًا، وتعددت طبعاته.

وقد أصبح الشيخ علمًا بارزًا لا في محيط اليمن وحدها، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة، ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة، يشهد بذلك مترجموه، وتنطق به كتبه، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ما كان شائعًا من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها، وقد سبق نقل شيء من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي.

كما ظهر توجهه ذلك ناصعًا جليًا في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبّادي، الموسومة "هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد" فقد نقد الشركيات، ونعى على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن؛ لإزالة ما يحدث من الشرور في الزيارات مثل "زيارة العيدروس، والهاشمي" وغيرهما، وكادت أن تنجح تلك المساعي، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور.

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيرًا من المحن والمصاعب، فصبر، وصابر، وكانت دعوته مفتاحًا من مفاتيح الصحوة المباركة في جنوب اليمن آنذاك، وبعد الاستقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عدن لاقى من الإهمال والتهميش، بل من المضايقة والتهديد ما لا يُطاق، ففر إلى الشطر الشمالي كما كان يسمى ذلك الوقت، فاستقر في مدينة تعز معززًا مكرمًا من الدولة والشعب، واحتضنه محبوه فيها، وأغدقوا عليه، وأجلّوه، وأكرموه بما لا مزيد عليه، وفي عام (1392هـ) حج حجته الأخيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد انتقل إلى جوار ربه، رحمه الله رحمة واسعة، وكانت وفاته في (1972/12/10م) في تعز. [1]

(1) القبورية في اليمن نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها، ص 273.

6- الشيخ علي بن أحمد باصبرين:

(عاش في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر): كان ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثير من المنكرات، والعمل على تغيير بعضها باليد... ولم يجمد على ما كان عليه أهل مِصْره وعصره؛ بل دعا إلى التوحيد، وحذر من الشرك، وزيَّف الخرافات، وحارب المنكرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت، ونازعوه، وحذروا منه، يقول ابن عبيد الله: (وجرت بينه وبين علماء تريم منازعات في عدة مسائل، منها التوسل والاستغاثة، ومنها ثبوت النسب بمشجّرات العلويين المحررة، وكان الشيخ يبالغ في إنكار ذلك، وألّفت رسائل من الطرفين).

... وذكر في بعض مؤلفاته" إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد" في المسألة التاسعة من "المهمات الدينية" المتعلقة بالنهي عن قول العوام: (يا ولي الله، جئنا إليك، وحططنا الذنب بين يديك)... وقد علّق على ذلك، وبيّن ما فيه من الغلو، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله... وفي المهمة (العشرين) تحدث عن النذر، وأنه (لا يصح إلا إن كان لمن يملك – ومنه المسجد – طاعة لله، وقربة بها يتقرب إليه تعالى، لا لميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعتبر، ولا معصية أو مكروهًا أو مباحًا لآدمي أو جني أو معظّم ما غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لرجاء ما لم يقضهِ الله له لو لم يشفع له هذا المعظم، أو دفع ما قد قضاه الله، وأبرمه عليه في سابق علمه، فهذا محرم بل كفر في حق العالم والجاهل الذي أخبره بمقتضى ما يتضمن ذلك من هو من أهل الإخبار والتعليم... وفي المهمة (الحادية والعشرين)، ففيها يقرر المؤلف أنه لا يتقرب ولا يعظم بالصلاة والنسك " الذبح" إلا لله تعالى، ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا لله تعالى، وهذه أمور معلومة لا إشكال فيها، وإن كان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلّهم يخالفون في الذبح، فيجيزونه لغير الله، ويتأولون ما يفعل من ذلك عند العوام، والذي لا علة له إلا "تعظيم من ذُبح له" يتأولون ذلك بتأويلات باطلة، وكذا الإحياء والإماتة... ثم يرتب على ما تقدم تحريم العقيرة، لكونها يُهَلّ بها لغير الله، ولغير ذلك من المحظورات التي تترتب على ذلك. [(1)]

7- الشيخ محمد بن علي بافضل – رحمه الله –:

كانت دراسته الأولى في رباط تريم على يد شيخه الشهير **عبد الله بن عمر الشاطري**، ثم هاجر إلى الصومال، ومكث هناك ردحًا من الزمن، ولعله هناك التقى ببعض المصريين من أنصار السنة، وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور، حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية.

يقول عنه فضيلة الشيخ "السيد السيد رجب" المدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: (... الشيخ "محمد علي بافضل"، بارك الله فيه، وأطال عمره، ونفع به، وجزاه بكل خير، فقد جاهد وناضل

---

(1) القبورية في اليمن نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها، ص 284.

في سبيل عقيدته، في كل مكان حلَّ به وأقام فيه... فلقد سمعت بالشيخ وجهوده ودعوته إلى الكتاب والسنة في آخر حياته رحمه الله، حوالي عام اثنين أو ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية؛ حيث وصف بالدعوة إلى التوحيد والسنة، ومحاربة البدع والشركيات، وبيان خرافات الصوفية وتزييفها.

... وله كتاب بعنوان "دعوة الخلف إلى طريقة السلف"، وهو دعوة للعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور؛ من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، ومعاملات، وسائر شؤون الحياة، ودعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك، وإيمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة، وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة... وقد شمل توحيد الربوبية والإلوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يضاد ذلك من الإلحاد والشرك... ثم تكلم على السنة وما يتعلق بها وما يضادها من البدع، كما عرج على الفكر الصوفي الحضرمي، ونقد بعض خرافاته، وأبان بعض ما يحتوي عليه من الشعوذة والدجل، وخصّص بعض البدع التي تتفرد بها حضرموت مثل "صلاة الخمسة فروض" التي تؤدى آخر جمعة من رمضان؛ حيث يصلون الفرائض الخمسة الفجر، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آنٍ واحد، وذلك بنية قضاء ما فات أثناء السنة الماضية. [(1)]

8- العلامة القاضي عبد الله بن عوض بكير:

وهو العلامة الكبير والقاضي الشهير، داعية السنة في وقت تَغَلُّب البدع، ورافع راية التوحيد في مجتمع تجوس خلاله أنواع من الشرك، ويتصدر فيه دعاة الخرافة.

وُلد رحمه الله في مدينة "غيل باوزير" سنة (1314هـ)،... كان – رحمه الله – صريحًا في الحق لا يماري ولا يداري، نزيهًا لا تمتد عينه إلى ما عند غيره، محاربًا للبدع أيًّا كان القائم بها، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسائل وألقى الخطب، وكاتب من يتوسم فيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشنعًا على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثير مما يُتخذ تحت شعار الدين، بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألَّف من بين ما ألَّف:

1- "رفع الخمار عن مثالب المزار": وهي رسالة في منكرات زيارات القبور. وأن زيارة القبور مشروعة كما شرعها الدين الإسلامي، وبغير ذلك تعتبر منكرًا يجب إنكاره، وتجب إزالته وتغييره .

---

(1) القبورية في اليمن نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها، ص 293.

2- "تطهير الفؤاد من سيّء الاعتقاد": وهي رسالة توضح كثيرًا من المعتقدات الفاسدة الشائعة في الجهة، سواء كانت مما يتعلق بالموتى، أو بالأحياء أو بالجمادات أحيانًا، وما يُفعل باسم كبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

... قال أحد معاصري الشيخ رحمه الله، أنه منع الحضرة التي كانت تُقام عند القبر الذي تحت مسجد عمر، ويسمى قبر"علوية" أيام وجوده في القضاء، وأقفل المكان وعزم على تأجيره مستودعات أو نحو ذلك، ولكنه لم يتمكن من تأجيره، وإنما بقي مقفلاً مدة طويلة، ولكن بعد وفاته أُعيد فتحه، وأعيدت الحضرة التي تُعمل له. (1)

(1) المصدر السابق، ص 296.

جهود علماء الجزائر في مواجهة شركيات وبدع القبورية

كان لعلماء الجزائر دور كبير في مقاومة الشرك والبدع، وكان من هؤلاء الأئمة الأعلام:

1- الشيخ عبد الحميد بن باديس- رحمه الله – (ت 1359هـ-1940م):

أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم رحمه الله ورضي عنه.

كان يلقي دروسًا في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن على الطريقة السلفية التي اتخذتها جمعية العلماء منهاجًا بعد ذلك، وبنت عليها جميع مبادئها ومنهاجها في الإصلاح الديني. ونلمس ذلك في مقالات ضمتها آثاره المطبوعة، وكذلك في رسالته الشهيرة "العقائد الإسلامية".

وقد أخذت جمعية العلماء على عاتقها –منذ نشأتها– الدعوة إلى التوحيد وغرس العقيدة الصحيحة في النفوس، مقتفية في ذلك طريقة الأنبياء والمرسلين.

ولقد تأسَّست الجمعيّة في وقت اشتدَّت فيه وطأة الاستعمار الفرنسي على الشَّعب الجزائري، وكان قد مرّ على احتلاله للجزائر قرنٌ كاملٌ، ذاق فيه الجزائريّون ألوانًا من العذاب، ومع هذا كلِّه كان من حكمة الجمعيّة الإعراضُ عن هذا الاستعمار الماديّ - في أوَّل الأمر– الذي يعتمد على الحديد والنَّار، وتوجيه ضرباتها إلى الاستعمار الرُّوحيّ الذي يمثِّله مشايخ الطُّرق المؤثِّرون في الشَّعب، المتغلغلون في جميع أوساطه، المتَّجرون باسم الدِّين، المتعاونون مع الاستعمار الماديّ عن رضي وطواعية، من أجل تجهيل الأمَّة لئلاَّ تفيق بالعلم، وتفقيرها لئلاَّ تستعين بالمال على التَّحرر، فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير البدءُ بمحاربة الاستعمار الثَّاني؛ لأنّه أضرُّ خطرًا وأهون دفاعًا [1].

ومن أهداف الجمعية: الهجوم على أهل الباطل والبدع، وإسماعُ العامَّة المغرورة بهم صوت الحقّ؛ لأنَّ البدع والمنكرات قد تغلغلت في الأمَّة وطال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد وشبَّ الولد... ولقد عاب بعض الكُتَّاب على الجمعيّة اشتغالَها بالردِّ على المنحرفين في العقيدة وصرفَ الجهود والأوقات في ذلك، على حساب غيره من مباحث العلم والتَّعليم والأخلاق والصَّنائع، مقلِّلا من أهميّة عملها هذا؛ ولأمثال هؤلاء يقول الإبراهيمي: «وقد يظنُّ الظانُّون وتنطق ألسنتهم بهذا الظنّ، أنّ هذه المنكرات التي نحاربها ونشتدّ في حربها هي قليلة الخطر، ضعيفة الأثر، وأنّنا غلونا في إنكارها، وأنفقنا من الأوقات والجهود في حربها، ما كان حقيقًا أن يُصرَف في ناحية أخرى أهمّ، كالإصلاح العلميّ؛ وفات هؤلاء أنَّ اللوازم القريبة

---

(1) سلسلة علماء الجزائر خلال قرنين: 1200- 1420- 1800م -2000م، محمد بن علي خربوش، على الرابط التالي:

http://merathdz.com/play.php?catsmktba=4&id=143

لتلك المنكرات التي تشتدُّ الجمعيّة في محاربتها: التزهيدُ في العلم، وإفساد الفِطَر، وفشل العزائم، وقتل الفضائل النفسيّة، وإزالة الثِّقة بالنَّفس من النَّفس، وتضعيفُ المدارك وتخدير المشاعر، وهي رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملَكة علميّة صحيحة، فكيف بها إذا اجتمعت. فكان من الحكمة أن تبتدئ الجمعيّة بتطهير النُّفوس من الرذائل، وأن تجعل مِن صرخاتها عليها نذيرًا للنَّاشئة أن تتلطَّخ نفوسهم بشيء من أوضارها»...

إذ «كيف يُخلص في عبادة ربِّه من يعتقد أنّه لا يصلح هو لمناجاته، وأنّه لا بدّ له من واسطة تقرِّبه زلفى إليه، وأنّ تلك الواسطة تضرُّه وتنفعه، وتُشقيه وتُسعده، وتُعطيه وتمنعه...أم كيف تتهذَّب أخلاق من يعتقد أنّ كلَّ ما هو عليه من عوائد فاسدة هو من الدِّين ومن سنَّة المتقدِّمين، وأنّ من يريد إصلاح تلك العوائد من الملحدين.

أم كيف تستقيم أعمال من يعتقد أنّ شيخه يُنجيه من النِّيران، أو أنّ الذِّكر الفلاني أو الصلاة الفلانيّة إذا قاله مُحِيَت عنه جميع الأوزار، وزُجّ في زمرة الأخيار، أو أنّ زيارة قبر شيخه تعدِل عبادة سبعين سنة، أو أنّ الطَّواف بقبره كالطَّواف بالبيت الحرام... أم كيف يعمل لِعزٍّ أو ينتصر من بَغْي مَن يعتقد أنّ ذلَّه واستعباده ومهانته أمرٌ مقدَّر عليه لا يسَعه إلا الصَّبرُ عليه حتى يتمَّ أجلُه، أو يأتيَ المهديّ فيخلِّصه... ويعتقد أنّ الأموات تتصرَّف له، وأنّها تدفع عنه كيد الظالمين وقوَّة الجبّارين، بل إنّها هي التي غضِبت عليه فجاءته بالبلايا، وقادت إليه جيوش المحن، يتقدَّمها سيدي فلان ويسوقها سيدي فلان...»!!

هذا ما حمل المصلحين المجدِّدين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التَّوحيد وتخليصه من خيالات الشِّرك، فكتبوا الكتابات ونشروا المقالات في جرائد الجمعيّة كالشِّهاب والبصائر وغيرها، الأمر الذي زعزع عقائد كانت تحسب من صميم الإيمان، ونسف صروحًا مشيَّدة من الخرافات والأوهام، ووضع الأساس للإصلاح الدينيّ في هذه الدِّيار، وزرع البذرة الأولى لتطهير العقائد والأفكار.[1]

كتب الشيخ عبد الحميد ابن باديس–رحمه الله – سلسلة مقالات بعنوان (من هم الوهابيون؟ ما هي حكومتهم؟ ما هي غايتهم السياسية؟ ما هو مذهبهم؟)، قال فيها– كما في"آثاره" (5/32–33): (وإنما كانت غاية دعوة ابن عبد الوهاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع، في الأقوال والأعمال والعقائد، والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوي من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير، وزيغهم المبين.

لم تكن هاته الغاية التي رمى إليها بالقريبة المنال ولا السهلة السبل، فإن البدع والخرافات باضت وفرّخت في العقول، وانتشرت في سائر الطوائف وجميع الطبقات على تعاقب الأجيال في العصور

---

(2) مجلة الإصلاح الجزائرية، منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإصلاح الديني– الأولى– الشيخ سليم مجوبي، على الرابط التالي: http://www.al-sunna.net/articles/file.php?id=1699

الطوال؛ يشبّ عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير، أقام لها إبليس من جنده من الجن والإنس أعوانًا وأنصارًا، وحراسًا كبارًا من زنادقة منافقين، ومعمَّمين جامدين محرفين، ومتصوفة جاهلين، وخطباء وضَّاعين... إن الغاية التي رمى إليها ابن عبد الوهاب، وسعى إليها أتباعه، هي التي لا زال يسعى إليها الأئمة المجددون، والعلماء المصلحون في جميع الأزمان.

وقال ابن باديس وهو يرد على بعض خصوم الدعوة الإصلاحية بالجزائر: (ثم يرمي الجمعية بأنها تنشر المذهب الوهابي، أفتُعد الدعوة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وطرح البدع والضلالات واجتناب المرديات والمهلكات؛ نشرًا للوهابية؟!! أم نشر العلم والتهذيب وحرية الضمير وإجلال العقل واستعمال الفكر واستخدام الجوارح؛ نشرًا للوهابية؟!! إذًا فالعالم المتمدن كله وهابي! فأئمة الإسلام كلهم وهابيون! ما ضرنا إذا دعونا إلى ما دعا إليه جميع أئمة الإسلام، وقام عليه نظام التمدن في الأمم إن سمانا الجاهلون المتحاملون بما يشاءون، فنحن –إن شاء الله– فوق ما يظنون، والله وراء ما يكيد الظالمون.

ثم يقول: "إننا مالكيون" ومن ينازع في هذا؟ !! وما يُقرِئ علماء الجمعية إلا فقه مالك، ويا ليت الناس كانوا مالكية حقيقةً؛ إذًا لطرحوا كل بدعة وضلالة، فقد كان مالك –رحمه الله– كثيرًا ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع) [(1)].

ونشر الشيخ ابن باديس– نقلاً عن مجلة "المنار"– رسالة الشيخ العلامة عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ العلامة عبد الله الصنعاني – رحم الله الجميع –، وقدم لها بكلام رائق جاء فيه (ص2–3): (لم يزل في هذه الأمة في جميع أعصارها وأمصارها من يجاهد في سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة بكل ما أوتي من قدرة. ولما كانت كل بدعة ضلالة محدثة لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة كان هؤلاء المجاهدون كلهم (يدعون الناس إلى الرجوع في دينهم إلى الكتاب والسنة، وإلى ما كان عليه أهل القرون الثلاثة خير هذه الأمة الذين هم أفقه الناس فيها، وأشدهم تمسكًا بهما). [(2)]

هذا وقد كُتب في تعريف وإشادة بكتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" للعلامة الفقيه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، جاء فيه وصفه بأنه من الكتب العلمية الجليلة التي لا ينبغي جهلها، وهو في الرد على أحمد زيني دحلان ورسالته "الدرر السنية في الرد على الوهابية"؛ ودحلان – هذا– هو أحد رؤوس الضلال الذين أعادوا لوثنية القبور ماضي شبابها بما ألفوه وكتبوه من الوساوس والضلالات. ولا يكاد عجبي ينقضي من إحدى دور النشر عندنا حين قامت – من قريب – بطبع كتاب ذلك القبوري دحلان، والله المستعان. [(3)]

---

(1) جريدة "الصراط السوي" (العدد3) (5جمادى الثانية 1352هـ/5 سبتمبر 1933م، ص4).

(2) جريدة "الشهاب" (العدد164)، (6ربيع الثاني1347 هـ/20سبتمبر 1928م).

(3) مجلة " الشهاب" (ج 2، م10، شوال 1352هـ/ يناير 1934م، ص85–86).

وجاء في رسالة من (الأخ الفاضل العالم السلفي الأستاذ محمد بن عبد القادر الهلالي)، جاء فيها: فقد أطلعني على جريدتكم الغراء المسماة بـ"الشهاب"، ولنعم الشهاب هي على رؤوس أعداء الله القبوريين والطرقيين أعداء الحق وغنم الشيطان الرجيم، أطلعني عليها الأخ الصالح الشيخ... فكدت أطير فرحًا لأني تركت البلاد مظلمة مدلهمة بالخرافات والشرك، وكنت أظنها لا تزال تتخبط في ظلماتها، فإذا بأشعة النور أشرقت عليها؛ بسبب أمثالكم وأمثال أستاذكم الشيخ عبد الحميد بن باديس، فنحن نُشهد الله على محبتكم وموالاتكم، فإلى الأمام أيها الإخوان.

وأبشرك أن الله أدال لأهل التوحيد على أهل الشرك، فأشرقت شمس التوحيد واتباع السنة في الحرمين الشريفين وسائر بلاد الحجاز وأطراف اليمن [ومحقت] الشرك وأهله، ورفعت ألوية العدل ومزقت ألوية الظلم وانتشر ضياء العلم وأدبر ظلام الجهل ومد رواق الأمن على جزيرة العرب أمنًا لم يُعرف مثله ولا ما يقاربه إلا في عهد الخلفاء الراشدين... ولم يكن هذا إلا من العجيب الذي لم يوجد ولا يوجد الآن على وجه الأرض إلا في هذه البلاد.[1]

2- محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله تعالى-:

فقد خصّ أكثر حياته في نشر التوحيد، ومحاربة الشرك، والرد على أصحاب الطرق الصوفية المنحرفة في مقالاته -التي جمعها ابنه البار الأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي- بلسان عربي مبين على عادته رحمه الله في بيان الحق، والرد على أهل الباطل.

قال رحمه الله في معرض الرد على أصحاب الطرق: "لعمرك إن الطرقية في صميم حقيقتها احتكار لاستغلال المواهب والقوى، واستعمار بمعناه العصري الواسع، واستعباد بأفظع صوره ومظاهره، يجري كل هذا والأشياخ يُقدَّس ميتهم، وتُشاد عليه القباب وتُساق إليه النذور ويتمرغ بأعتابه، ويكتحل بترابه، وتلتمس منه الحاجات وتفيض عند قبره التوسلات والتضرعات، ويكون قبره فتنة بعد الممات كما كان شخصه فتنة في الحياة، ثم تتولد الفتن فيكون اسمه فتنة، وأولاده فتنة وداره فتنة، فإذا هو مجموع فتون تربوا عدًّا على ما في مجموع المتون... وإن المسلمين غلوا في تعظيم بعض الأسماء غلوًّا منكرًا، فأداهم ذلك الغلو إلى نوع غريب من عبادة الأسماء، نعاه القرآن على من قبلنا، ليعظنا ويحذرنا، وقد عزل عمرُ خالدَ بنَ الوليد، وقال: خشيت أن يفتتن الناس به.

ونحن حين نحكم على الأشياء نحكم عليها بآثارها، وآثار هذا الغلو في المسلمين كان الشر المستطير والتفرق الماحق، ونحن إذ ننكر المنكر الفاسد من الأعمال والباطل من العقائد، سواء أصدرت من سابق أم من لاحق، ومن حي أم من ميت؛ لأن الحكم على الأعمال لا على العاملين، وليس صدور العمل الفاسد من سابقٍ بالذي يُحدث له حرمةً أو يُصيره حجة على اللاحقين، بل الحجة لكتاب الله ولسنة رسوله

---

(1) مجلة "الشهاب" (العدد117) (16 ربيع الثاني1346هـ -13 أكتوبر1927 م، ص15- 16).

ﷺ، فلا حق في الإسلام إلا ما قام دليله منهما، واتضح سبيله من عمل الصحابة والتابعين بهما، أو إجماع العلماء بشرطه على ما يستند إليه، وبهذا الميزان فأعمال الناس إما حق فيُقبل أو باطل فيُرَد".

وقد عد الشيخ الإبراهيمي الصُّوفيَّةَ داءً عُضالاً يحب التَّخلُّصُ منه، لِتُحَرّر عقيدة المسلم من التَّشويش، وتُطلق لعقله العنان في التَّشبُّع وفهم الشريعة، فتراه يصرِّح بقوله: "إننا علمنا حقَّ العلم بعد التَّروِّي والتَّثبُّت ودراسة أحوال الأُمَّة ومناشئ أمراضها أنَّ هذه الطُّرق المبتدعة في الإسلام هي سببُ تفرُّق المسلمين، ونعلم أنَّنا حين نقاومها نقاوم كلَّ شر، إنَّ هذه الطُّرق لم تسلم منها بقعة من بقاع الإسلام، وإنَّها تختلف في التَّعاليم والرُّسوم الظاهرة كثيرًا، ولا تختلف في الآثار النَّفسيَّة إلاّ قليلاً، وتجتمعُ كلها في نقطة واحدة، وهي التَّحذير والإلهاء عن الدِّين والدُّنيا"، ويتابعُ شارحًا مخاطرَ الطرقيَّة وبدعها؛ حيث تعلَّقَ كثيرٌ من المسلمين بطقوس طريقتهم، وبأطروحات مشايخهم، ولم يعودوا على اتِّصال مباشر مع الكتاب وصحيح السُّنَّة، بل أصبحت هذه الطُّرقُ حاجزًا بينهم وبين مصادر الشريعة، وكأنَّها دين جديد، لقد أصبحت بعض الطُّرق – كما يرى الإبراهيمي– في بلاد العرب والمسلمين، وفي الجزائر بخاصَّة، إضافة جديدة إلى محاولات الدَّس التي قام بها أعداء كثيرون للإسلام، إن كان بنحل الأحاديث، أو بالتَّأويلات المزِّورة للحقيقة، أو ما شاع عند العديد من الحركات الباطنيَّة، ولكن يعود ليؤكِّد أن هذا كان خطره أقل بكثير من خطر هذه الطَّريقة، فيقول: "أما والله ما بلغَ الوضَّاعون للحديث، ولا بلغت الجمعيَّات السريَّة والعلنيَّة الكائدة للإسلام من هذا الدِّين عشر معشار ما بلغتهُ من هذه الطُّرق المشؤومة... إنَّ هذه الهوّة العميقة التي أصبحت حاجزة بين الأمَّة وقرآنها هي من صنع أيدي الطرقيِّين".

ويقول مقرِّعًا الطَّرقيَّة وفَهْمَهم الخاطئ للإسلام: ".. فكل راقصٍ صوفي، وكل ضاربٍ بالطَّبل صوفي، وكل عابثٍ بأحكام الله صوفي، وكل ماجنٍ خليعٍ صوفي، وكل مسلوب العَقل صوفي، وكل آكل للدُّنيا بالدين صوفي، وكل ملحدٍ بآيات الله صوفي، وهَلُمَّ سحبًا، أَفيَجْمُلُ بجنودِ الإصلاح أن يَدَعُوا هذه القلعة تحمي الضَّلال وتُؤْويه، أم يجب عليهم أن يحملوا عليها حملةً صادقَةً شعارهم: (لا صوفيَّة في الإسلام) حتى يدكُّوها دكًّا، وينسفوها نسفًا، ويذروها خاويةً على عروشها".

وقد كان رحمه الله في محاربتهِ للصُّوفيَّة وخرافاتها وتُرّهاتهم متأثِّرًا بتعاليم حركة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الإصلاحيَّة، ويتَّضحُ ذلك عندما نراه يُعَلّل هجوم المتاجرين بالدَّين على هذه الدَّعوةِ السُّنِّيَّة الإصلاحيَّة في البلاد الحجازيَّة التي سَّماها خصومُها بِـ(الوهَّابيَّة) – تنفيرًا وتَشويهًا– لأنَّها قضت على بدعهم، وحاربت خرافاتهم، فيقول: "إنَّهم موتورون لهذه الوهَّابيَّة التي هدمت أنصابهم، ومحت بدعهم فيما وقعَ تحتَ سلطانهم من أرضِ الله، وقَد ضجَّ مبتدعة الحجاز فضجَّ هؤلاء لضجيجهم والبدعة رحم ماسّة، فليس ما نسمعهُ هنا من ترديد كلمة (وهابي) تُقذف في وجه كل داعٍ إلى الحقِّ إلاّ نواحًا مردَّدًا على البدع التي ذهبت صرعى هذه الوهَّابيَّة".[1]

---

(1) " الشيخ محمَّد البشير الإبراهيمي"، الشيخ مشهور حسن آل سلمان، مجلة الأصالة العدد (1) .

3- العلامة النحرير الشيخ مبارك الميلي -رحمه الله - (ت 1364 هـ - 1945م):

ومن آثاره كتابه الحافل الممتع "الشرك ومظاهره".

قال الشيخ: (وبعد تمام التأليف، وقبل الشروع في الطبع؛ اتصلت بهدية من جدة، من الأخ في الله السيد محمد نصيف؛ تشتمل على كتاب "فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد" لابن عبد الوهاب، فعلقت منه فوائد ألحقتها بمواضعها معزوّة إليه، ولو اطلعت عليه قبل كتابة الرسالة؛ لخفّف عليَّ من عناء ابتكار العناوين وتنسيقها) [1].

ولما كان الشيخ قد سار في تأليف رسالته - تلك - على خطى الدعوة النجدية في الإصلاح قام بإهدائها إلى الملك عبد العزيز ونجليه سعود وفيصل، وشيخ الإسلام في ذلك العهد الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، كما جاء في رسالة له إلى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري مؤرخة في (20 ذي القعدة 1356 هـ / 22 يناير 1938م (نشرت في مجلة "المنهل" الحجازية) م38، ج12، ذو الحجة 1397 هـ / ديسمبر 1977م، ص 1538).

وقال الشيخ رحمه الله: (إن كثيرًا يغلطون في معنى الشرك المنافي للتوحيد، فيظنونه اعتقاد النفع والضر في الجمادات وغير الصالحين من العباد، أو اعتقاد أن أحدًا غير الله يماثل الله في الخلق والإيجاد، ولا ينافي التوحيد عند هؤلاء اعتقاد أن الصالحين ينفعون أو يضرون، ويعطون ويمنعون، وأن الله أطلعهم على غيبه من دون وحي، وأنه جعل لهم مفاتح خزائنه كما جعل لهم مفاتح غيبه، فينزلون الأمطار متى شاءوا، ويعافون من أحبوا من المرضى، ويهبون لمن أرادوا ذكورًا وإناثًا، أو يزوجونهم ذكرانًا وإناثًا، ويجعلون من غضبوا عليه عقيمًا... يتمسك الغالطون في معنى الشرك باعتقادهم في الصالحين على ما وصفنا، وإن أنكرت عليهم شيئًا من ذلك أفحموك في نظرهم بقول صاحب الجوهرة:

واثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

ثم حكموا عليك بأنك تنكر الولاية والكرامة، ونبزوك بألقاب لا يفهمون لها معنى مثل معتزلي، ووهابي، وهنأوا أنفسهم بتوفيق الله لهم إلى عقيدة أهل السنة والجماعة... ليس الأمر كما تظنون أيها الغالطون! فاربعوا على أنفسكم! واسألوا أهل الذكر عن حقائق دينكم، ولا تقفوا ما ليس لكم به علم، وأخلصوا في طلب الحق عسى أن يوفقكم الله إلى الظفر به، ولا تخدعوا في علمائكم المرشدين، فإنهم لكم من الناصحين، ومن خشية عاقبة سكوتهم وضلالكم مشفقون. [2]

---

(1) مقدمة "رسالة الشرك ومظاهره"، ط دار الراية، ص 38.

(2) مقال نشره في (العدد11) من جريدة " البصائر" (26 ذي الحجة 1354هـ/20 مارس 1936م، ص2).

وقال الأستاذ محمد الميلي: إن هذا العمل [أي "رسالة الشرك ومظاهره "] يكشف عن مدى الترابط بين الفكر الإصلاحي الديني والسياسي في المشرق وفي الجزائر، أي أنه يسجل مظهرًا من مظاهر الوحدة الفكرية بين المغرب العربي والمشرق، وهي وحدة تحققت بفعل عامل الدين الإسلامي واللغة العربية في نفس الوقت. فأوجه الشَّبَه بين حركة جمعية العلماء وتيارات الفكر السلفي في المشرق عديدة، فقد اعتمدت في دعوتها على كتب ابن تيمية وابن القيم وكتابات محمد بن عبد الوهاب... ولم يكن محض صدفة أن نجد في خزانات الرعيل الأول من جمعية العلماء أهم كتب الفكر السلفي التي كانت قد طُبعت على نفقة المرحوم عبد العزيز آل سعود، وكذلك مطبوعات مجلة "المنار".[(1)]

4- الأستاذ الطيب العقبي – رحمه الله-:

كان غصة في حلق المشركين والدجالين، بلسان صادق شديد على كل مشرك عنيد، من آثاره قصيدة رائعة "إلى الدين الخالص" التي تُعتبر المعول المؤثر في هيكل المقدسات الطرقية، وهدم بها الأساطير والخرافات، وأوضح فيها التوحيد ومقاصده والشرك ومظاهره. منها قوله:

لا أرى الأشياخ في قبضتهم *** كل شيء بل هموا مثل العباد

وعلى من يدعي غير الذي *** قلته إثبات دعوى الاتحاد

قال قوم سلم الأمر لهم *** تكن السابق في يوم الطراد

تنل المقصود تحظى بالمنى *** وترى خيلك في الخيل الجياد

قلت إني مسلم يا ويحكم *** ليس لي إلا إلى الشرع انقياد

قولكم هذا هراء أصله *** ما روت هند وما قالت سعاد

لا أنا لا أسلم نفسي لهموا *** لا ولا ألقي إليهم بالقياد

لست أدعوهم كما قلتم وقد*** عجزوا عن طرد بق أو قراد

لست من قوم على أصنامهم***عكفوا يدعونها في كل ناد

كلما أنشد شاد فيهموا*** قول شرك ذهبوا في كل وادٍ

كم بنوا قبرًا وشادوا هيكلاً*** وصروح الغي بالجهل تشاد

غرهم من داهنوا في دينهم*** وارتضوا في سيرهم ذر الرماد

إنني ألعنهم مما بدا *** حاضر في أفكه منهم وباد

---

(1) في كتابه "الشيخ مبارك الميلي؛ حياته العلمية ونضاله الوطني" (ص 128).

وأنا خصم لهم أنكرهم*** كيفما كانوا جميعا أو فراد

5- شـاعر الجزائر وأمير شـعراء الغرب الإسـلامي الأسـتاذ محمد العيد آل خليفة، نصـر التوحيد بقصائد كالعرائس منها:

واحذر شراك الشرك فهي كثيرة *** شتى المظاهر جمة الأنواع
كم واقع فيها ويحسب أنه *** في الدين حر العقد رحب الباع
الشرك داء في البرية كامن***مستفحل الأضرار والأوجاع
الشرك ستر حيك من نسج الهوى***غطى على الأبصار والأسماع
فاقتبس من التوحيد أعظم جذوة***وتمش تحت ضيائها اللماع

6- ومنهم العلامة الشيخ عبد اللطيف بن علي السلطاني -رحمه الله-:

من آثاره في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والإلحاد كتاب "المزدكية هي أصل الاشتراكية"، وكتاب "سهام الإسلام".

قال رحمه الله تعالى:" فتوحيد الله هو دعوة كل رسول بعثه الله إلى عباده؛ من حيت ظهر الشرك وعبادة الأوثان فيهم بدل عبادة الرحمن... وفي النطق بلفظ الشهادة المذكورة الصادرة من قلب آمن بما قال تطهير له من كل اعتقاد في غير الله بأنه ينفع ويضر ويُعبد ويُطاع إلخ... لأن اعتقاد الإلوهية في غير الله مخالف للفطرة التي فطر الله عليها الناس، وهي فطرة توحيد الله عز وجل؛ إذ التخلية قبل التحلية كما هو معروف، يخلي قلبه من كل ما سوى الله، ثم يحلي ويزين نفسه بالحلية التي أمر بها الإسلام، وهي التوحيد ".

7- ومنهم الشيخ الجليل المصلح المظلوم عمر العرباوي -رحمه الله-:

من آثاره كتاب "الاعتصام بالإسلام"، وهو نافع مفيد في بابه، من حيث الحث على التمسك بالكتاب والسنة ورد البدع والمحدثات.

8- أبو عبد المعز محمد علي فركوس:

وهو ممن سار على نهجهم في الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك ومظاهره والإلحاد ووسائله، والطرق الكلامية، والمنطق الأرسطي في مقالاته ومجالسه وحلقاته، وفتاويه وأشرطته السمعية وعلى موقعه على شبكة الإنترنت.

جهود علماء السودان في مواجهة شركيات وبدع القبورية:

قام علماء السودان ومازالوا بجهود طيبة في مواجهة القبورية، ويأتي في المقدمة علماء جماعة أنصار السنة والسلفيين، ومن هؤلاء العلماء:

1- الشيخ أبو زيد محمد حمزة:

تلقى العلم على يد الشيخ حامد الفقي مؤسس الجماعة في مصر، وعلى أيدي علماء الجماعة. وقد ظل بمصر حتى وفاة الشيخ الفقي 1959م فعاد إلى السودان، وأخذ ينشر الدعوة في مدينته "وادي حلفا" والمناطق المجاورة لها، فالتف الناس حوله، وزاد أتباعه؛ مما أثار أتباع الطريقة الختمية ضده. وفي سنة 1977م بث التلفزيون السوداني مناظرة بينه وبين الشيخ علي زين العابدين أحد أقطاب الطريقة الختمية التي بيّن فيها زيف مبادئهم، وبطلان معتقداتهم، مما كان لها أثر كبير في انتشار دعوة الجماعة أكثر في المجتمع السوداني.

2- الشيخ محمد الحسن عبد القادر:

خريج دار الحديث بمكة المكرمة وتلميذ الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، تلقى الدعوة على يد الشيخ محمد الطيب عام1946م، وتأثر به؛ حيث كان للشيخ الطيب نشاط ملموس في الدعوة في مدينة أغوردات بإريتريا، ومن ثم نشط الشيخ محمد الحسن في الدعوة كذلك. مما عرّضه للكثير من الصعوبات والمشاق من أصحاب الطرق الصوفية، فانتقل بدعوته إلى مدينة كرن، ثم أسمرا حيث عمل مدرسًا بمدرسة الجالية العربية فيها، ومن خلال التدريس بها استطاع نشر دعوته في المنطقة.

ومن أبرز جهوده في تلك الفترة توحيده لأنصار السنة في إريتريا، كما نظّم جهودهم ومناشطهم، فظهرت دعوتهم في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية بالمنطقة، بالإضافة إلى دورهم البارز في الجهاد الإريتري ضد الاحتلال الإثيوبي وأعوانه.

وفي عام 1963م استقر الشيخ في منطقة كسلا بالسودان، وفيها واصل دعوته، فظهرت آثار الجماعة في كسلا وبورتسودان وشرق السودان. ومما يُذْكَر للشيخ نشاطه الدعوي في عدد من الدول الإفريقية والآسيوية، مثل: المغرب، وموريتانيا، وغانا، وإثيوبيا، وغينيا، ونيجيريا، وكينيا، وبعض الدول الآسيوية مثل: إندونيسيا وتايلاند وبنغلاديش، وبعض الدول الأوروبية، وبخاصة هولندا.

3- الشيخ مصطفى ناجي:

الذي انضم إلى جماعة أنصار السنة بعد أن تلقى العلم على الشيخ أبو طاهر محمود السواكني أحد علماء الأزهر. ومنذ تأسيس أول مسجد للجماعة في الخرطوم عام (1957م) بحي السجانه (المركز العام

الحالي للجماعة) تولى الشيخ إمامته، بالإضافة إلى مسؤوليته عن إعداد الدعاة والخطباء في الجماعة. وقد توفي الشيخ رحمه الله على منهج السلف في الدعوة للتوحيد ومحاربة للشرك.

4- الدكتور جعفر شيخ إدريس:

يقول عن نفسه: " أنا من عائلة سودانية كانت تنتمي كمعظم السودانيين آنذاك إلى طريقة صوفية، وكانت الطريقة التي ينتمي إليها الوالدان هي الختمية، وكما هو معلوم أن الطرق الصوفية ولاسيما المنتشرة في بلادنا الآن، مبتلاة بكثير من المسائل الشركية، لكن ربنا سبحانه أنعم عليَّ بوالدين أثّرا في حياتي الدينية والخُلقية... فأول شيء أثّر في حياتي تأثيرًا كبيرًا مازلت أحمد الله عليه هو أن أحد أقاربنا كان من أوائل من نشروا الدعوة السلفية في السودان، وكان من جماعة أنصار السنة المحمدية في بلدنا ببورسودان، وكنت آنذاك في الثانية عشرة؛ حيث تركت انتمائي إلى طائفة والديّ تحت تأثير هذا القريب، مما أحدث مشكلة بيني وبين الوالدين لاسيما أمي؛ حيث كانت تظن أن هذا نوع من الانحراف فقاطعتني وصارت لا تتكلم معي.

لكن ساعدني أن هؤلاء الذين تأثرت بهم كانوا من الأقارب، وكان منهم رجلاً تحترمه الوالدة احترامًا كبيرًا، وهو رجل بسيط يعمل خياطًا، لكنه كان رجلاً عالمًا، فجاء إلى أمي عند حصول هذه المقاطعة وأصلح بيننا، وبعد مدة تغير الوالد -وكان رجلاً يحفظ القرآن- حيث كنت آتي إليه وأقرأ عليه بعض الكتب ... كانت كتبًا صغيرة مؤلفة في مصر، وكان ضمنها كتاب غاب عني اسمه الآن كان له أثر عظيم آنذاك، ومازالت أقرأ على الوالد حتى اقتنع وتغيرت بعده الوالدة أيضًا، وأعد ذلك من نعم الله عليَّ أن كنت السبب في إنقاذهما من الخرافات والشركيّات، ولله الحمد سبحانه.[1]

5- جمعية الكتاب والسنة الخيرية:

ومقرها مدينة الخرطوم بالسودان نشأت الجمعية في عام 1412هـ على أيدي مجموعة من طلاب العلم الشرعي من الدعاة إلى الله تعالى.

أهداف الجمعية:

1 - نشر العقيدة الصحيحة كما جاءت في الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح.

2 - تربية الفرد المسلم على مفاهيم الإسلام وأخلاقه.

3 - تشجيع البحث العلمي، ودعم جهود الباحثين.

---

(1) مقابلة أجرتها معه مجلة العصر الإلكترونية عام 1421 هجرية ، على الرابط التالي:
http://216.39.197.143/alasr/Interview/article_132.shtml

4 - محاربة الشرك والخرافة ومظاهر الشعوذة والدجل.

5 - محاربة البدع والمحدثات في العقائد والعبادات.

6 - نشر السنة بين الناس، والدعوة للتمسك بها.

7 – التعاون على إيصال الخير المادي إلى المحتاجين والمتضررين من المسلمين.

أنشطة الجمعية:

للجمعية أنشطة متعددة وهي موزعة على مكاتبها وهي:

1- مكتب الدعوة:

وهو يهتم بما أُنشئت الجمعية من أجله أصلاً، وهو الدعوة إلى الله، ونشر التوحيد والسنة بين الناس، وتحذيرهم من الشرك، ومن برامج المكتب: تفريغ الدعاة- إقامة المدارس الثابتة والمحاضرات والندوات، وتسيير القوافل الدعوية، ونشر الكتاب والشريط الإسلامي والمصحف بين المسلمين، وتكفل الجمعية ما يقارب الـ150 داعية منتشرين في أنحاء السودان.

2- مكتب الشئون التعليمية:

ويضم المكتب: المعهد العالي للدراسات الشرعية بالخرطوم، ومجموعة من المراكز العلمية (8 مراكز) التي تُعنَى بتحفيظ القرآن الكريم في سنتين، ثم تدريس العلوم الشرعية وتحفيظ المتون، وقد تخرج من المعهد حتى الآن تسع دفعات.

3 – مكتب المنشآت والمشاريع الخيرية، ويعنى ببناء المساجد، وحفر الآبار، والمشاريع الخيرية، مثل كفالة الأيتام، وإفطار الصائمين في رمضان والأضاحي وغيرها، وكذلك المشاركة في الأعمال الإنمائية.

جهود بعض العلماء في مواجهة شركيات وبدع القبورية

1- جهود الشيخ المجاهد عثمان بن فودي[1] :

ولد الشيخ [عثمان دان فوديو] في بلدة 'طفل' على أطراف إقليم 'جوبير' شمال نيجيريا الآن سنة 1168هـ . 1754م، وكلمة فودي تعنى الفقيه واسمه الأصلي [محمد]، فلقد كان والده معلم القرآن والحديث في قريته، وينتسب 'عثمان' إلى قبيلة الفولاني العريقة في الإسلام، وفي هذه البلدة الصغيرة، وفي هذا الجو الديني الطاهر، نشأ 'عثمان' فدرس اللغة العربية، وقرأ القرآن وحفظ متون الأحاديث، وقد ساعده والده على تنمية ملكة التعمق في العلوم الدينية؛ لما رأى فيه من حبه للدين وخدمته.

كان لهذه التربية والجو الإيماني الذي نشأ فيه [عثمان] أثر بالغ في تكوين شخصيته وتوجهاته، فشب ورعًا تقيًا، أمّارًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، مجتنبًا لما اعتاد عليه قومه من أساليب في الحياة، شديد الكره والعداء للقبائل الوثنية في إقليم 'جوبير' الذي وُلد فيه، لذلك قرر [عثمان] مرافقة أبيه في رحلته الطويلة إلى الحج، وذلك وهو في سن الشباب. لقد كان ذهابه لأداء مناسك الحج مع أبيه، نقطة تحول كبرى في حياته، ذلك أنه قدم مكة المكرمة، والدعوة السلفية للشيخ [محمد بن عبد الوهاب] في أوج قوتها وانتشارها، حيث كان الشيخ [محمد بن عبد الوهاب]، مازال حيًّا، يعلّم الناس التوحيد الخالص، ويحارب البدع، ويرد على المبتدعة وأصحاب الأهواء، فلما وصل [عثمان بن فودي] هناك التقى مع المشايخ والدعاة السلفيين، وسمع منهم الدعوة السلفية وأسلوب الحركة، وكيف قامت؟ وكيف انطلقت من منطقة 'الدرعية' لتشمل الجزيرة كلها، وحضر مجالس العلم للشيخ [محمد بن عبد الوهاب].

قرر [عثمان بن فودي] البقاء لفترة بمكة؛ للاستزادة من الدعوة السلفية وعلومها ومناهجها وتأثر بها بشدة، ذلك لأن بلاده كانت مليئة بالبدع والخرافات، امتزج فيها الإسلام بالعادات الوثنية، وكانت العادات القبلية تحكم حياة المسلمين، بل هو نفسه كان يتدين بكثير من البدع والأوراد غير الصحيحة، والسبب في ذلك أن الإسلام انتشر في هذه المناطق بنشاط دعاة الطرق الصوفية، وأصبح معنى التدين مرادفًا لمعنى التصوف، لذلك قرر [عثمان] المكوث لتصحيح مسار حياته وعباداته.

عاد [عثمان بن فودي] إلى بلاده في إقليم 'جوبير' في شمال نيجيريا، وفى نيته نشر الدعوة السلفية في بلاده، ومحاربة البدع المتفشية هنالك، والتمهيد لنقل التجربة السلفية والتي سبق وأن نجحت في جزيرة العرب، إلى بلاده في إفريقيا، فأخذ في دعوة أهله وإخوانه إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والشركيات، ومحاربة الطرق الصوفية، فاستجاب لدعوته كثير من أبناء قريته 'طفل'، فأسس [عثمان بن فودي] حركة دعوية على منهج السلف، وأطلق عليها اسم [الجماعة].

أخذت الدعوة السلفية تنتشر بين القبائل الإفريقية، ودخل فيها أفراد من عدة إمارات، ومن شعوب عدة؛ منها الهاوسا، والطوارق، الزنوج، إضافة إلى قبيلته الأصلية 'الفولاني' التي كانت أكثر القبائل انضمامًا

---

(1) الإمام المجاهد عثمان بن فودي .. أعظم أمراء إفريقيا، شريف عبد العزيز، موقع مفكرة الإسلام.

لدعوته وحركته، ثم حقّقت دعوة [عثمان بن فودي] نجاحًا كبيرًا في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية المنتشرة في شمال وجنوب نيجيريا، ويومًا بعد يوم ازدادت جماعته قوة ونجاحًا واتساعًا، وأصبح الصدام وشيكًا مع قوى الشر والضلال.

فلقد ضاق ملوك إقليم 'جوبير'، وكانوا من الوثنيين من نشاط جماعة [عثمان بن فودي]، وكذلك ضاق أصحاب الطرق الصوفية المنتشرة في إفريقيا منها، وخاصة بعد انصراف الكثير من مريديها إلى الجماعة السلفية، واتفق الفريقان من غير موعد على عداوة الحركة الجديدة، ولكن اختلفت المواجهة، ففي حين اتبعت الطرق الصوفية طريقة التشنيع والكذب والتضليل، قرر أمراء 'جوبير' الوثنيون اتباع أسلوب المواجهة المسلحة.

أرسل هؤلاء الأمراء يتهددون الجماعة السلفية، ويتوعدون زعيمها [عثمان بن فودي] بأشد أنواع الوعيد والتهديد، فعندها اجتمع المجاهد العظيم مع رفاقه، واستشارهم في كيفية مواجهة هذه التهديدات، فأشار الجميع وهو أولهم بوجوب إعلان الجهاد على الكفار وأعداء الدين وذلك سنة 1804م . 1218هـ.

بمجرد أن أعلن [عثمان بن فودي] الجهاد على الوثنيين حتى أتاه المسلمون من كل مكان في شمال نيجيريا؛ يبغون نصرة إخوانهم ضد الكفار، فلقد كان لإعلان الجهاد مفعول السحر في نفوس المسلمين، إذ عادت لهم الحمية والحماسة لدينهم، وفى نفس الوقت جاءت مساعدات كبيرة لأمراء 'جوبير' من باقي إمارات الهاوسا [غرب نيجيريا]، واستعدت المنطقة بأسرها لفصل جديد من فصول الصراع الأبدي بين الإسلام والكفر، انتهى بفضل الله عز وجل لصالح الجماعة المؤمنة، وانتصرت الدعوة السلفية على الجماعات الوثنية، وأصبح [عثمان بن فودي] أميرًا على المنطقة الواقعة في شمال غرب نيجيريا، وبايعه المسلمون هناك أميرًا عليهم، وتلقب من يومها بالشيخ اقتداءً وتأسيًا بالشيخ [محمد بن عبد الوهاب]، واتخذ من مدينة 'سوكوتو' في أقصى الطرف الشمالي الغربي لنيجيريا مركزًا لدعوته وذلك سنة 1809 م . 1223هـ.

لم يكن [عثمان بن فودي] من الرجال الذين يبحثون عن زعامة أو إمارة، وبمجرد حصوله عليها يكفّ عن سعيه وجهاده، ويجلس للتنعم بما حازه وناله، بل كان يبغي نصرة الإسلام ونشره بين القبائل الوثنية، يبغي الدعوة لهذا الدين في شتى أرجاء القارة السوداء. لذلك قرر العمل على إعادة بناء الدولة الإسلامية من جديد، وتوسيع رقعة الإسلام بالجهاد ضد القبائل الوثنية التي اجتمعت على حرب الإسلام ودعوته الجديدة.

قرر [عثمان بن فودي] اتباع استراتيجية الجهاد على عدة محاور، وضم الشعوب الإسلامية تحت رايته، فضم إليه عدة شعوب وقبائل مسلمة كانت متناثرة ومختلفة فيما بينها، وبدأ بالتوسع في ناحيتي الغرب والجنوب الغربي، حيث قبائل 'اليوروميا' الكبيرة، والتي هي أصل الشعوب الساكنة في النيجر

ونيجيريا، فدانت له هذه القبائل، ودخلت في دعوته، وأخذت الدولة الإسلامية في الاتساع شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت أقوى مملكة إسلامية في إفريقيا وقتها.

لقد كان [عثمان بن فودي] رجل دولة من الطراز الأول، وداعية مجاهدًا مخلصًا لدينه وأمته، ولقد أدرك أن بقاء الدعوة السلفية والدولة الإسلامية التي بناها في غرب إفريقيا لن يصمد طويلاً، إذا لم تتحرك هذه الدعوة وتنشر مبادئ السلفية بين الناس، وأيضًا إذا لم تتسع وتتمدد دولته الإسلامية التي بناها بجهاده سنين طويلة.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف السامي اتبع [عثمان بن فودي] سياسة حكيمة تقوم على بناء الكوادر التي تواصل حمل الراية ونشر الدعوة، وكان لعثمان بن فودي عين فاحصة تستطيع انتقاء النجباء والأبطال وحملة الدعوة، خاصة وأن فتوحاته التي قام بها في غرب 'نيجيريا' قد حرّكت الحماسة والحمية للإسلام في قلوب الكثيرين، ومن هؤلاء الكثيرين انتقى [عثمان بن فودي] ثلاثة نفر كان لهم أعظم الأثر والدور الكبير في خدمة الإسلام والمسلمين، أولهم الشيخ [آدم] وهو شيخ من أهل العلم من أهل الكاميرون، أما الثاني فكان أحد جنوده واسمه [حمادو بارى]، وقد اشترك في معركة الجهاد الأول ضد أمراء 'جوبير' الوثنيين، والثالث الحاج [عمر] وأصله من قبائل الفولاني عشيرة [عثمان بن فودي].

وبالجملة نجح الإمام المجاهد [عثمان بن فودي]، الذي يعتبر من أعظم أمراء إفريقيا، في بناء قاعدة عريضة من المجاهدين والقادة والأمراء الذين قادوا الأمة المسلمة في قلب إفريقيا، وأقاموا أعظم الممالك الإسلامية في هذه البقعة الغامضة عن ذهن أبناء المسلمين الآن.

ولقد تُوفي الإمام المجاهد الأمير [عثمان بن فودي] سنة 1818م . 1233هـ، بعد أن أعاد للإسلام مجده، وأدخل الدعوة السلفية المباركة إلى القلب الإفريقي، وأبقى للإسلام دولة قوية ظاهرة صامدة أمام هجمات الأعداء، حتى بعد وقوعها فريسة للاحتلال الصليبي، بقيت القلوب حية، مجاهدة، تقاوم الأعداء، تحافظ على دينها وعزتها.

2- الشيخ محمد المكي عزوز التونسي:

يقول عنه الكتاني في فهرس الفهارس 856/3: "كان مُسند أفريقية ونادرتها، لم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناء منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة، ومزيد تبحر في بقية العلوم..

كان "رحمه الله" في بداية شبابه أيام عيشه بتونس زمن الدولة العثمانية، من دعاة القبورية المناوئين لدعوة الكتاب والسنة، وقد ألف – حينها – عدة كتب، منها كتابه "السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني" يرد فيه على من أنكر كرامات الشيخ الشهير عبد القادر الجيلاني وما نُسب إليه من خرافات . هو بريء منها بإذن الله . وقد تهجم في كتابه هذا على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وجوّز الاستغاثة بالأموات. كما في (صفحة 35) .

ثم حرص على توزيع كتابه هذا في أنحاء بلاد المسلمين، فوقعت نسخة منه بيد علامة العراق الشيخ محمود شكري الآلوسي "رحمه الله" الذي بادر بعد قراءته للكتاب إلى مناصحة صاحبه بإرسال خطاب وعظي رفيق، دون أن يكتب اسمه عليه، مرفقٌ به أحد كتب علماء الدعوة السلفية. ولعل هذه الهدية قد صادفت قلبًا متجردًا من ابن عزوز قادته إلى الحق؛ حيث تغيرت أحواله بعد انتقاله من تونس إلى الأستانة بتركيا.

3- العلامة الشريف الحسن بن خالد الحازمي المتوفى سنة (1234هـ):

له جهود متميزة في الدعوة إلى التوحيد والإنكار على القبوريين، قال في كتابه "قوت القلوب في توحيد علام الغيوب" (ص69-71) : فصل: لقد عمت البلوى بهذا، فترى المتبوع يصرح لأتباعه بتفريج الكربات منه، وبدعوى اختصاص بعض صفات الرب كعلم الغيب، وربما توعد من يراه مقصرًا فيما يعتاده منه بإنزال الضر الكوني القدري، وترى التابع يعظّم متبوعه بما لم يأذن الله به، ويضيف إليه من العلم بالمغيبات والقدرة على ما يختص بالرب، حتى يقال فلان متصرف في العالم، ويسمع له بغاية الخضوع التي هي حقيقة العبادة، ويسأله الرزق والنصر، وتفريج الكربات، وإجابة المضطر، وكشف السوء، ويتخذه ندًّا يحبونهم كحب الله أو أشد، **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ)** [النحل: 73] مما كان أهل الأوثان والأصنام يسألونه من أوثانهم وأصنامهم، حتى أربوا في هذا الزمان على عبادة الأصنام في زمان رسول الله ﷺ فإن أهل الجاهلية يخلصون الدعوة لله إذا عصفت بهم الريح في البحر كما قال الله تعالى: **(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)** (العنكبوت:65). وقوله تعالى: **(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا)**(الإسراء:67). وقوله تعالى **(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)** (العنكبوت:65).

فأخبر أنهم عند الاضطرار يدعونه لا شريك له، وأنه يذهب عنهم كل ما يُعبَد من دون الله... وهؤلاء الضلال في هذا الزمان إذا عصفت بهم الريح تنادوا: ليدع كل منكم شيخه، ولا تسمع إلا يا زيلعي يا حضرمي، يا بدوي، يا عبد القادر، يا شاذلي يا صندل، يا أبا فراج فرجها، يا فلان يا فلان لا تسمع منهم من يقول يا الله فيرتج المركب بالأصوات بذكر الشيوخ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأباح دم صاحبه وماله وذريته لأهل الإسلام؛ لأنه سأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد عبده مع الله، واتخذه إلهًا وربًّا وإن سماه شيخًا وسيدًا، أو لمناقضته كلمة التوحيد بالكفر والشرك هو لحقيقته ومعناه؛ لأنه أعطاه غاية خضوعه وذله وفقره ومسكنته؛ من الدعاء والسجود والتقرب بالذبح ونحوها لغير الله، وهو معنى العبادة التي هي معنى الإلوهية، وجعل العاجز الفقير بالذات الذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض شبيهًا بالقادر الغني مالك السموات والأرض، كما قال تعالى: **(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ**

زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) (سبأ:22). ا.هـ.

4- العلامة السيد صديق حسن خان القنوجي الهندي المتوفى سنة (1307هـ):

قال –رحمه الله– بعد كلامه عن توحيد الربوبية وإيمان الناس به، قال: "الشرك الذي تسرب إلى المسلمين في العصور الأخيرة أغلظ من شرك الجاهلية. وإذا أحطت بما ذكرنا علمًا أدركت أن كفر المشركين من المؤمنين من أمة رسولنا ﷺ في العرب والعجم أعظم من كفر الذين قاتلهم النبي ﷺ.

وقد سمعت أن الله تعالى ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا غير الله من السادة والقادة والطواغيت؛ فلم يدعوا أحدًا منهم، ولم يستغيثوا بهم، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له. وأنت ترى المشركين المدعين للإيمان من المسلمين، وفيهم من يدعي أنه من أهل العلم والفضل، وفيه الصلاح والزهد والاجتهاد في العبادة، إذا مسَّه الضرر وأهمَّه أمر من أمور الدنيا، قام يستغيث بغير الله من الأولياء كـ "معروف الكرخي" و" الشيخ عبد القادر الجيلاني" ونحوهم. وأجلّ من هؤلاء مثل الخلفاء الراشدين والصحابة المكرمين أجمعين. وأجل منهم رسول الله ﷺ.

وأشنع وأفظع وأقبح وأعظم جرمًا وأطمّ ضلالة أنهم يستغيثون بالطواغيت، والأجداث وأهل القبور، والمرَدة من الجن والشياطين، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويسافرون إلى أنصابهم، ويفزعون إلى أحبارهم ورهبانهم؛ تقليدًا في الفروع والأصول المبنية على شفا جرف هار.ا.هـ[1].

5- العلامة محمد بشير السهسواني المتوفى سنة 1326هـ:

قال رحمه الله مشنعًا على القبوريين وناقلاً لحكم الأئمة فيهم: "السادس أنك قد عرفت فيما تقدم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفّر السواد الأعظم من المسلمين، ومن كفّره فلم يكفره بارتكاب ذنب من الكبائر كما هو مذهب الخوارج، إنما كفره بدعوة غير الله بحيث يطلب فيها منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا لا يستريب أحد من أهل العلم والديانة أنه عبادة لغير الله، وعبادة غير الله لا شك في كونها كفرًا، مع أنه لم يكفره أيضًا حتى عرّفه الصواب ونبّهه.

وأيضًا قد عرفت فيما مر أن الشيخ ليس بمنفرد في هذا التكفير، بل جميع أهل العلم من أهل السنة والجماعة يشاركونه فيه، لا أعلم أحدًا مخالفًا له، منهم تقي الدين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتاوى البزازية، وصنع الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وصاحب الإقناع، وابن حجر المكي، وصاحب

---

(1) انظر كتابه "الدين الخالص" (1/185-187).

النهر الفائق، والإمام البكري الشافعي، والحافظ عماد الدين ابن كثير، وصاحب الصارم المنكي، والشيخ حمد بن ناصر، والعلامة الإمام الحسن بن خالد، والشيخ العلامة محمد بن أحمد الحفظي وغيرهم.

وقال في النهر الفائق: اعلم أن الشيخ قاسمًا وهو من أكابر العلماء الحنفية – رحمهم الله تعالى– قال في شرح درر البحار: إن النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى القبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عُوفي مريضي فلك كذا، باطل إجماعًا... إلخ.

إلى أن قال: ومنها الظن أن الميت يتصرف في الأمور، واعتقاد هذا كفرٌ، والمسلم لا يطلب حاجته من غير الله، فإن من طلب حاجته من ميت أو غائب فقد فارق الإسلام.

وممن صرح بهذه المسألة من علمائنا الحنفية صاحبُ الفتاوى البزازية، والعلامة صنع الله الحلبي المكي، وصاحب البحر الرائق، وصاحب الدر المختار، والعلامة قاسم بن قطلوبغا، والعلامة البركوي صاحب الطريقة المحمدية، وأبو سعيد الخادمي، ومولي عبد الحي اللكهنوي، وغيرهم رحمهم الله أجمعين".ا.هـ. [(1)]

6– العلامة أبي شعيب بن عبد الرحمن الدكالي:

هو الشيخ العلامة أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي، وكان يكتب أحيانًا بخطه شعيب بن عبد الرحمن المغربي وكنيته أبو مدين، وُلد سنة خمس وتسعين ومائتين وألف للهجرة، وينتسب إلى بيت الصديقات من قبيلة أولاد عمرو، إحدى قبائل دكالة العربية، والمستوطنة قرب مدينة الغربية جنوب مدينة الجديدة، وفي سنة 1315هـ رحل إلى مصر، فمكث بها مدة طويلة، وأخذ فيها العلم عن علماء الأزهر مثل:

1– الشيخ سليم البشري.

2– العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي.

3– الشيخ محمد محمود الشنجيطي اللغوي الشهير.

5– الشيخ أحمد الرفاعي.

6– الشيخ محمد عبده؛ حيث كان يرأس لجنة الامتحان التي تقدم إليها الشيخ شعيب ليحصل على معدل مناسب يستطيع الدخول به إلى جامعة الأزهر.

وأخذ العلم أيضًا عن كثير من علماء الأزهر غيرهم، رحم الله الجميع.

---

(1) انظر كتابه "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص431).

وبعد ذلك قصد مكة المكرمة؛ طلبًا للعلم والمعرفة، ودرس على يد جل علمائها، وأجازه عدد كبير من شيوخ العلم من البلاد العربية، كاليمن والعراق والشام، إضافة إلى بعض علماء الهند، وحظي عند أمير مكة، خلال هذه الفترة، بالحظوة الحسنة، فأكرمه وبالغ في احترامه وتعظيمه، وقدمه في مجالس العلماء، وولاه بعض الوظائف الدينية، كالخطابة في الحرم المكي، والإفتاء في المذاهب الأربعة .

وفي سنة 1325هـ . 1907م عاد إلى أرض الوطن، واستقر بمدينة فاس، وقربه السلطان مولاي عبد الحفيظ، وتهافت عليه علماء فاس وطلبتها وأعيانها. وفي هذه الفترة أعلن مواجهته البدع، ومقاومة الخرافات والأباطيل، ونصر السنة وقِيَم الدين الإسلامي الصحيحة.

قال عبد الله الجراري: (كان ينادي برد الناس إلى الكتاب والسنة، ويحضهم على اتباع مذهب السلف الصالح، ونبذ ما يؤدي إلى الخلاف، وما ينشأ عنه من الحيرة والدوران في منعرجات الطرق...) [(1)].

وقال أيضًا: (وكان يحمل حملات شعواء، رافعًا مشعل المقاومة، ذائدًا في إخلاص وإيمان عن الحنفية السمحة، صابرًا على ما وُجِّهَ إليه من معارضة المتطرفين من أهل الزوايا).

وأضاف الجراري: (وسلفيته الصالحة المشبعة بأفكاره التحررية وآرائه المنطقية التي كونت منه رجل المقاومة لكل ما يمت بسبب إلى الشعوذة والشعبذة وما كان يبدو من بعض الطوائف من غلو وانحراف عن الجادة).[(2)]

وقال الرحالي الفاروقي: (وكان ينادي في كثير من دروسه باعتبار المعرفة الصحيحة أساسًا للحضارة الإسلامية، واعتبار العقيدة السلفية التي جاء به الكتاب والسنة حصنًا من الأمراض الوثنية، وكان –رحمه الله– حربًا على البدعة؛ لا تأخذه في الله لومة لائم، ويحمل حملات عنيفة ضد العقيدة المخلوطة بالشك والشرك...) [(3)].

وقال عبد الله الجراري: (والشيخ الدكالي –رحمه الله– عمد إلى شجرة كانت بباب لبية جوار ضريح سيدي المكنود المجاور للسور الأندلسي، وقطعها؛ إذ كان النساء يعتقدن بها تمائم وحروزًا وشعورًا وخِرَقًا كتبرك رجاءَ دفع ما كان يجول في خواطرهن... ولا غرابة ما دام الشيخ من رواد السلفية الصادقة ومحاربة كل ما يمت بصلة إلى الخرف والشعوذة؛ تنقيةً للأفكار وتطهيرها من آثار الخرافات والوثنية) .

---

(1) راجع المحدث الحافظ، للشيخ عبد الله الجراري، ص 80.

(2) المصدر السابق ص 82.

(3) راجع شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي، للرحالي الفاروقي، ص(51–52).

فقد ذكر من ترجم له أنه التف حول الشيخ جماعة من الشباب النابغ، يوزعون معه الكتب التي يطبعها السلفيون بمصر، ويطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها، والأحجار المعتقد فيها).[1]

(1) راجع (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ص 153)، وللمزيد عن دور علماء المغرب انظر: **التحفة الأزهرية في بيان مواقف أعلام الأزهر الشريف ومشايخه من الحركة الوهابية، أبو الحسن الأزهري، على الروابط التالية:**

http://majles.alukah.net/showthread.php?t=16120

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=137230.

الفصل السادس

دور الصحوة الإسلامية في انحسار الاهتمام بالأضرحة وبنائها

الفصل السادس

دور الصحوة الإسلامية في انحسار الاهتمام بالأضرحة وبنائها

قامت الصحوة الإسلامية بجهود كبيرة في مواجهة القبورية، بل كانت السبب الرئيس في انحسار المد القبوري ووقفه، فقد تلاشت كثير من الموالد التي كانت تُقام لأصحاب الأضرحة والقبور، ليس هذا فقط بل تعطلت كثير من هذه القبور واختفت، فلم يعد لها وجود في كثير من البلدان التي انتشرت فيها الصحوة الإسلامية؛ وذلك بسبب الأثر الذي أحدثته الصحوة الإسلامية المباركة، وتمثل في توعية الناس، فلا شك أن ذلك كان له أثر كبير في محاربة البدع والشركيات. وقد صرح واحد من أكبر رءوس الصوفية بمصر –وكان من المفترض أن يكون أكبرها لكن تم تنحيته عن رئاسة مشيخة الطرق الصوفية– وهو علاء ماضي أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية، فقد اعترف بتراجع الصوفية أمام الانتشار السلفي في مصر، وذلك بحسب جريدة المصريون الإلكترونية بتاريخ (24–11–2009م).

يقول الدكتور عمار حسن: «الفترة الأخيرة في مصر ظهر جليًّا تقرب الحكومة من المتصوفة، وتقرب المتصوفة من الحكومة، بل السعي من الطرفين للتقارب؛ فقد خلقت الظروف الملائمة للتحالف ضد الجماعات الإسلامية أمام الرأي العام باعتبارها طرحًا دينيًّا له مكانته عند المصريين؛ بينما هي تحتمي بالنظام ضد ممارسات الجماعات السلفية التي ترى تحريم رفع القباب على القبور، وتحريم الطواف بها وعبادتها، والتي تتعيش الجماعات الصوفية على بثها بين الناس والتي لولاها لتقوض ركن ركين من أركان التصوف، ومن هنا فقد حرصت السلطة السياسية على حضور الموالد والاحتفالات الصوفية، بل صار شيخ مشايخ الصوفية (أبو الوفا التفتازاني) ـ توفي ـ عضوًا في الحزب الحاكم ورئيسًا لعدة لجان داخل جهاز الدولة، بل حرص رئيس الدولة بنفسه على الصلاة في مساجد الأولياء مثل الحسين والسيد البدوي».[(1)]

أقوال علماء ودعاة ومفكري الحركات الإسلامية في مواجهة القبورية:

1– قال الشيخ حسن البنا –رحمه الله–: (ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عُرِف من طيب أعمالهم قربةٌ إلى الله– تبارك وتعالى– والأولياء هم المذكورون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس:63)، والكرامة ثابتة بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أنهم– رضوان الله عليهم– لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم).

---

(1) نقض العرى .. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي، مجلة البيان عدد 223.

وقال: (وزيارة القبور –أيًّا كانت– سُنة مشروعة بالكيفية المأثورة؛ ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا، ونداؤهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات.. كبائرُ تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًّا للذريعة). الأصلان الثالث عشر والرابع عشر من الأصول العشرين.

2– ويقول محمد رشيد رضا تحت قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** [يونس:22]" وفي هذه الآية وأمثالها بيان صريح لكون المشركين كانوا لا يدعون في أوقات الشدائد وتقطع الأسباب بهم إلا الله ربهم، ولكن من لا يحصى عددهم من مسلمي هذا الزمان بزعمهم لا يدعون عند أشد الضيق إلا معبوديهم من الميتين كالبدوي والرفاعي، والدسوقي والجيلاني، والمتبولي وأبي سريع، وغيرهم ممن لا يُحصى عددهم، وتجد من حملة العمائم الأزهريين وغيرهم، ولاسيما سدنة المشاهد المعبودة الذين يتمتعون بأوقافها ونذورها من يغريهم بشركهم، ويتأوله بتسميته بغير اسمه في اللغة العربية كالتوسل وغيره .

وقد سمعت من كثيرين من الناس في مصر وسورية حكاية يتناقلونها، ربما تكررت في القُطْرين لتشابه أهلها وأكثر مسلمي هذا العصر في خرافاتهم، وملخصها: أن جماعة ركبوا البحر فهاج بهم حتى أشرفوا على الغرق، فصاروا يستغيثون معتقديهم، فبعضهم يقول: يا سيد يا بدوي! وبعضهم يصيح: يا رفاعي! وآخر يهتف: يا عبد القادر يا جيلاني!... إلخ، وكان فيهم رجل موحد ضاق بهم ذرعًا فقال: يا رب أغرق أغرق، ما بقي أحد يعرفك".[(1)]

3– وقال الشيخ القرضاوي مثنيًا على جهود المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله– في محاربة الشرك، وعبادة القبور، ومؤيِّدا لها: (فالإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، كانت الأولوية عنده للعقيدة، لحماية حمى التوحيد من الشركيات، والخرافيات التي لوَّثت نبعه، وكدَّرت صفاءه، وألَّف في ذلك كتبه، ورسائله، وقام بحملاته الدعوية، والعملية، في هدم مظاهر الشرك).

وقال في كتابه حقيقة التوحيد ص (44– 46) في تحريم الاستغاثة: (من الشرك الأكبر الخفي: الدعاء والاستعانة بالموتى): ومن الشرك الأكبر نوع خفي، يخفى على كثير من الناس ومنه دعاء الموتى والمقبورين من أصحاب الأضرحة والمقامات، والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم من شفاء المرضى وتفريج الكربات، وإغاثة الملهوف، والنصر على العدو، مما لا يقدر عليه إلا الله، واعتقاداتهم بأنهم يضرون وينفعون. وهذا أصل شرك العالم، كما قال ابن القيم.

---

(1) تفسير المنار (11/ 277).

وسبب خفاء هذا الشرك أمران:

1. أن الناس لا يسمون هذا الدعاء والاستعانة والاستغاثة بأصحاب القبور عبادة، ويظنون أن العبادة إنما تنحصر في الركوع والسجود والصلاة والصيام ونحوها.

والحقيقة أن روح العبادة – كما ذكرنا– هو الدعاء، كما جاء في الحديث: ((الدعاء هو العبادة)) رواه أبو داود وصححه الألباني.

2 – أنهم يقولون: نحن لا نعتقد أن هؤلاء الأموات الذين ندعوهم ونستغيث بهم آلهة أو أرباب لنا، بل نعتقد أنهم مخلوقون مثلنا. ولكنهم وسائط بيننا وبين الله وشفعاء لنا عنده.

وهذا من جهلهم بالله جل جلاله، فقد حسبوه مثل الملوك الجبارين والحكام المستبدين، لا يُستطاع الوصول إليهم إلا بوسطاء وشفعاء.

وهو نفس الوهم الذي سقط فيه المشركون قديمًا، وحين قالوا عن آلهتهم وأصنامهم: **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)** [الزمر: 3]، **(مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [يونس: 18] ولم يعتقدوا يومًا أن آلهتهم وأصنامهم تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت، كما قال تعالى: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)** [الزخرف: 9].

ومع هذا الاعتقاد في الله تعالى، أنه خالق السموات والأرض، وأنه الرزاق المدبر المحيى المميت.. والاعتقاد في الأصنام أنها مجرد وسائط وشفعاء لهم عند الله.. مع هذا كله رماهم القرآن بالشرك، وسماهم المشركين، وأمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويقولوا: ((لا إله إلا الله))، فمن قالها فقد عصم دمه وماله إلا بحق الإسلام.

وقال: (... ومن هنا نعلم أن غلو بعض المسلمين فيمن يعتقدون صلاحهم وولايتهم لله –وبخاصة أصحاب الأضرحة والمزارات– يؤدي إلى أنواع من الشرك، كالنذر لهم والذبح لهم والاستعانة بهم، والإقسام بهم على الله ونحو ذلك، وقد يفضي بهم الغلو إلى الشرك الأكبر وهو اعتقاد أن لهم سلطة وتأثيرًا في الوجود، وراء الأسباب والسنن الكونية، فيدعون من دون الله أو مع الله، وهذا هو الإثم العظيم والضلال البعيد).

وله فتوى في تحريم بناء المساجد على القبور؛ حيث وُجِّه إليه هذا السؤال:

هل يجوز بناء المساجد على القبور؟

فأجاب قائلاً: (... لا يجوز بناء المساجد على القبور، وإذا بُني المسجد على القبور وجب هدمه، وإذا بُنيت القبور بالمساجد وجب هدم القبور، فالمتأخر منهما يجب هدمه، ولا يُجمَع بينهما لنهي النبي ﷺ عن ذلك، ولنهيه عن الصلاة في المساجد التي بها قبور.

ويقول القرضاوي أيضًا: من الضوابط الشرعية المهمة: ألا يُبنى المسجد على قبر، وخصوصًا قبور الأنبياء والصالحين؛ فقد نهى النبي ﷺ نهيًا جازمًا عن اتخاذ القبور مساجد، ولَعَنَ أهل الكتاب الذين صَنَعوا ذلك، ونَهَى عن ذلك وهو في سياق الموت.

... وإنما حَرَّمَ الإسلام اتخاذ القبور مساجد؛ حمايةً لحِمَى التوحيد أنْ تَشُوبَه أدنى شائبة من الشرك، كما هي سُنّة الإسلام في سَدِّ المنافذ التي يُحتَمَل أن تَهُبَّ منها رِيحُ الشِّرْك.

وقال ابن القيم رحمه الله: "مَن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفَهِمَ عن رسول الله مقاصدَه، جَزَم جَزمًا لا يَحتمِل النقيض: أنَّ هذه المبالغة واللَّعن والنهي، ليس لأجل النجاسة، (يعني: نجاسة القبر)، بل هو لأجل نجاسة الشِّرْك اللاحقة لمن عصاه.. صيانةً لحِمَى التوحيد أن يَلْحَقَه الشرك ويَغْشَاه.

قال في (فتح المجيد): وممن عَلَّل بِخَوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام (ابن تيمية) وغيرهم، رحمهم الله، وهو الحق الذي لا ريب فيه. (1)

قال شيخ الإسلام: وأما بناء المساجد على القبور، فقد صَرَّح عامة الطوائف بالنهي عنه متابعةً للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا (يَعني: الحنابلة) وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه، وقال: وهذه المساجد المَبنيَّة على قبور الأنبياء والصالحين أو المُلوك وغيرهم: يَتعيَّن إزالتُها بهَدْم أو غيره، هذا مما لا أَعلم فيه خلافًا بين العلماء المَعروفين. (2)

وإذا كان المسجد بُني على القبر يَجب إزالته كما قال العلماء، وخصوصًا إذا كان المسجد هو الطارئ على القبر، بخلاف العكس فإنَّ القبر هو الذي يَجبُ أن يُزال.

فمن الأولى والأوجب عند بناء المسجد أن يَبتعِد عن القبر، حتى لا يُصلِّي المسلم عليه ولا إليه، فقد نُهينا أن نُصلِّي إلى القبور أو عليها، ولا تكون هناك أي مشابهة لأهل الكتاب وغيرهم ممن اتخذوا القبور مساجد.ا.هـ(3)

4- الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله-:

وممن تكلَّم في التحذير من هذه الخرافات من المعاصرين، **الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله-**، حيث قال: (والمعابد التي أقاموها على قبور الصالحين قدسوها، وسلكوها مسلك الأصنام في الشرك، فلما جاء

---

(1) انظر: فتح المجيد شرح التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بتحقيق محمد حامد الفقي ص 238.

(2) المصدر السابق: (ص240).

(3) انظر نص الفتوى على موقع إسلام أون لاين.نت/ بتاريخ 2003/06/19م، على الرابط التالي:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-Arabic-Ask_Scholar/FatwaA/FatwaA&cid=1122528621878.

الإسلام أعلن على هذين المظهرين من مظاهر الوثنية، حربًا شعواء، وشدّد تشديدًا ظاهرًا في محق هذه المساخر المنافقة، وقد رأينا كيف أن النبيَّ ﷺ، أرسل إلى ابن عمه علي رضي الله عنه، وأمره أن يسوِّي بالأرض كلَّ قبر، ويهدم كلَّ صنم، فجعل الأضرحة العالية، والأصنام المنصوبة، سواء في الضلالة، وقال النبيُّ ﷺ في البيان عن سفاهة القدامى، وفي التحذير من متابعتهم، (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا لا تتخذوا القبور مساجد، فإنّي أنهاكم عن ذلك[1])، وكان يرفع الخمرة عن وجهه في مرض الموت، ويكرّر هذا المعنى، وكأنّه توجَّس شرًّا مما به فدعا الله: (اللهمّ لا تجعل قبري من بعدي وثنًا يُعبَد[2]) [3].

وقال أيضًا: (ولماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك، مع أن الرسول وصف المرائين به، فقال: (الرياء شرك) [4]، وإنّ واجب العالم أنْ يرمق هذه التوسلات النابية باستنكار، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق، لا أن يفرغ وسعه في التمحُّل والاعتذار، ولستُ ممن يحب تكفير الناس بأوهى الأسباب، ولكن حرام أن ندع الجهل بالعقائد ونحن شهود).[5]

وقال: (وقول الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ) ليس تصريحًا، ولا تلميحًا، إلى جواز التوسل، والآية ناطقة بأنَّ المجيء للظَّفَر باستغفار الرسول ﷺ، وذلك . بداهةً . في أثناء الحياة، لا الموت.. فإذا كان بعض الناس، يحكي أمورًا عن مجيئه للرسول ﷺ في قبره، وأنه سلم فسمع الرد، ثم حظي بتقبيل اليد، فهو بين حالتين:

- إمّا أن يكون كذَّابا فلا قيمة لكلامه.
- وإما أن يكون مجذوبًا . يعني مجنونًا . تخيَّل فخال، ولا قيمة لكلامه كذلك.

ونحن لا ندع كتاب ربِّنا، وسنة نبينا ﷺ لهذه الحكايات، أمَّا ذلك الذي يوجب التوسُّل، ويرى أنَّ تأثير الميت أقوى من الحي، فهو رجل مخبول، وزعمه بانتفاء الشرك، مادام الاعتقاد أنَّ الفاعل هو الله، كلامٌ فارغ. وقد أبَنّا أنَّ المشركين القدماء كانوا يعرفون أنَّ الفاعل هو الله، وأنَّ توسّلهم كان من باب (**مَا نَعْبُدُهُمْ**

---

(1) أخرجه البخاري (435) ومسلم (531).

(2) أخرجه أحمد (7352)، وأبو يَعْلَى (6681) وصححه الألباني.

(3)عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ص 69.

(4) حديث : " إن أدنى الرياء شرك . . . . . " أخرجه الحاكم وابن ماجه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ " إن اليسير من الرياء شرك ، وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة ، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون"، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي . وقال الحافظ البوصيري تعليقًا على إسناد ابن ماجه : في إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف (المستدرك 4 / 328 نشر دار الكتاب العربي ، وسنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي 2 / 1320 – 1321 ط عيسى الحلبي) وضعفه الألباني رحمه الله.

(5)عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ص 73.

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: 3]، وأنّ ندمهم يوم القيامة، إنّما هو على تسويتهم المخلوق بالخالق، **(تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** [الشعراء: 97 – 98]، وهناك عشرات الآيات تؤكد هذا المعنى.

سيقول بعض الناس: إنَّ القدماء كانوا يعبدون، أما عوامّ اليوم فهم يدعون، ويسألون فقط، وشتّان بين عبادة الجاهلين، وتوسُّل المحدثين بأولياء الله.

ونقول: هذه مغالطة، فالسؤال، والدعاء، بنص القرآن، عبادة محضة، **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)** [غافر: 60]، وفي الحديث (الدعاء مخ العبادة)[(1)]، فلماذا نتوجّه إلى البشر، بما هو من خصائص الإلوهية؟! وإذا وقع الجهال في تلك الخطايا بغباوتهم، فلماذا لا نسارع إلى إنقاذهم منها، بل تزوير الفتاوى) ا.هـ. [(2)]

5- الكاتب والأديب الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله:

قال –رحمه الله– في كتابه النظرات: "كتب إليّ أحد علماء الهند كتابًا يقول فيه: إنه اطلع على مؤلف ظهر حديثًا بلغة "التاميل"، وهي لغة الهنود الساكنين "بناقور" وملحقاتها بجنوب" مدراس"، موضوعه: تاريخ حياة السيد عبد القادر الجيلاني، وذكر مناقبه وكراماته، فرأى فيه من بين الصفات والألقاب التي وصف بها الكاتب السيد عبد القادر ولقبه بها صفات وألقابًا بمقام الإلوهية أليق منها بمقام النبوة، فضلاً عن مقام الولاية كقوله "سيد السموات والأرض"، و"النفّاع الضرار"، و"المتصرف في الأكوان "، و"المطلع على أسرار الخليقة"، و"محيي الموتى"، و"مبرئ الأعمى والأبرص والأكمه"، و" أمره من أمر الله"، و"ماحي الذنوب"، و"دافع البلاء" و"الرافع الواضع"، و"صاحب الشريعة"، "وصاحب الوجود التام"، إلى كثير من أمثال هذه النعوت والألقاب.

ويقول الكاتب: إنه رأى في ذلك الكتاب فصلاً يشرح فيه المؤلف الكيفية التي يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر السيد عبد القادر الجيلاني يقول فيه: "أول ما يجب على الزائر: أن يتوضأ وضوءًا سابغًا ثم يصلي ركعتين بخشوع واستحضار، ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة! وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: " يا صاحب الثقلين أغثني وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي"، "أغثني يا محيي الدين عبد القادر، أغثني يا ولي عبد القادر، أغثني يا سلطان عبد القادر، أغثني يا باد شاه عبد القادر، أغثني يا خوجة عبد القادر! " يا حضرة الغوث الصمداني، يا سيدي عبد القادر الجيلاني، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة".

---

(1) أخرجه الترمذي (3371) وضـــعفه الألباني، والأصـــح منه ما جاء بلفظ ((الدعاء هو العبادة)) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(2) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ص73 . 76.

ويقول الكاتب أيضًا:" إن في بلدة (ناقور) في الهند قبر يسمى "شاه الحميد"، وهو أحد أولاد السيد عبد القادر – كما يزعمون–، وأن الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي الله! وإن في كل بلدة من بلاد الهند وقراها مزارًا يمثل مزار السيد عبد القادر، فيكون القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في تلك البلاد! والملجأ الذي يلجأون في حاجاتهم وشدائدهم إليه، وينفقون من الأموال على خدمته وسدنته وفي موالده وحضراته ما لو أُنفق على فقراء الأرض جميعًا لصاروا أغنياء!!

هذا ما كتبه إليّ ذلك الكاتب، ويعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء، وأظلمت الدنيا في عيني، فما أبصر مما حولي شيئًا، حزنًا وأسفًا على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوام أنكروه بعدما عرفوه، ووضعوه بعدما رفعوه، وذهبوا به مذاهب لا يعرفها، ولا شأن له بها.

أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع، فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤلم المحزن، منظر أولئك المسلمين وهم رُكّع سُجّد على أعتاب قبر، ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه في حياته، فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته!!

أي قلب لا يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة، فلا يطير جزعًا، حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكًا بالله، وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة المعبودات!! لِمَ ينقم المسلمون التثليث من المشركين؟!

لِمَ يحملون لهم في صدورهم تلك الموجدة، وذلك الضغن، وعلام يحاربونهم، وفيم يقاتلونهم وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم ولم يغرقوا فيه إغراقهم؟!

يدين المشركون بآلهة ثلاثة، ولكنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد وبُعده عن العقل، فيتأولون فيه ويقولون: إن الثلاثة في حكم الواحد. أما المسلمون فيدينون بآلاف من الآلهة أكثرها جذوع أشجار، وجثث أموات، وقطع أحجار، من حيث لا يشعرون!

كثيرًا ما يضمر الإنسان في نفسه أمرًا وهو لا يشعر به، وكثيرًا ما تشتمل نفسه على عقيدة خفية لا يحسّ باشتمال نفسه عليها، ولا أرى مثلاً لذلك أقرب من المسلمين الذين يلتجئون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور، ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود، فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب، قالوا: إنا لا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم إلى الله، كأنهم لا يشعرون أن العبادة ما هم فيه، وأن أكبر مظهر لإلوهية الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ضارعين خاشعين يلتمسون إمداده ومعونته؛ فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لا يشعرون!!

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين، ويغرس في قلوبهم الشرف والعزة والأنفة والحمية، وليعتق رقابهم من رقّ العبودية، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى، فكانوا ذوي أنفة وعزة وإباء وغيرة يضربون على يد الظالم إذا ظلم ويقولون

للسلطان إذا جاوز حده في سلطانه: قف مكانك، ولا تغلُ في تقدير مقدار نفسك، فإنما أنتَ عبدٌ مخلوق لا ربّ معبود، واعلم أن لا إله إلا الله!!

هذه صورة من صور نفوس المسلمين في عصر التوحيد، أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطن تارة والظاهر أخرى، فقد ذلت رقابهم وخفت رءوسهم، وضرعت نفوسهم وفترت حميتهم، فرضوا بخطة الخسف، واستناموا إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم، فغلبوهم على أمرهم، وملكوا عليهم نفوسهم وأموالهم ومواطنهم وديارهم؛ فأصبحوا من الخاسرين.

والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءتها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وإن طلوع الشمس من مغربها وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده، ما دام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله ويقولون للأول كما يقولون للثاني: "أنت المتصرف في الكائنات وأنت سيد الأرضين والسموات"!!

إن الله أغير على نفسه من أن يُسعِد قومًا يزدرونه ويحتقرونه ويتخذونه وراءهم ظهريًا!!

فإذا نزلت بهم جائحة أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحَجَر قبل أن يذكروه، ونادوا الجذع قبل أن ينادوه.

بمن أستغيث؟ وبمن أستنجد؟ ومن الذي أدعوه لهذه الملمة الفادحة؟!

... يا قادة الأمة ورؤساءها عذرنا العامة في إشراكها وفساد عقائدها، وقلنا: إن العامي أقصر نظرًا، وأضعف بصيرة من أن يتصور الإلوهية، إلا إذا رآها ماثلة في النصب والتماثيل والأضرحة والقبور فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله وتقرءون صفاته ونعوته وتفهمون معنى قوله تعالى: **(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)** [النمل: 65] وقوله مخاطبًا نبيه: **(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)** [الأعراف: 188]، وقوله: **(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: 17]**.

إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم:

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبرًا، أو يتوسلون بضريح؟! وهل تعلمون أن واحدًا منهم وقف عند قبر النبي ﷺ، أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته؛ يسأله قضاء حاجة أو تفريج همّ؟! وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين؟! وهل تعلمون أن النبي ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عبثًا

ولعبًا؟! أم مخافة أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى؟! وأي فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور، ما دام كل منها يجرّ إلى الشرك، ويفسد عقيدة التوحيد؟![1]

6- الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله:

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ردًّا على مفتى مصر الشيخ على جمعه: ((... خامسًا: القول بأن الطواف بالقبور والسجود لها إذا وقع من المسلم لا يكون كفرًا ولا شركًا، بل هو تعظيم لشعائر الله!! قول باطل. فالقبور المرفوعة ليست من شعائر الله، بل من شعائر الشرك، ولذلك جاء الإسلام بهدهما وتسويتها بالأرض كما في صحيح مسلم من حديث أبي الهياج الأسدي أن علي بن أبي طالب قال له: [ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله. ألا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته] [2]، وتعظيم الصالحين بتصوير صورهم، ونصب أنصاب لهم هو أساس شرك العالم، فإن أول ما وقع من الشرك في قوم نوح كان سببه تصوير صور الصالحين ونصبها، كما جاء في قوله تعالى: { **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** } [نوح: 23]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هم أسماء الرجال الصالحين من بين آدم ونوح، صوّروا لهم صورًا فمع تقدم العهد عُبِدَتْ من دون الله".

... والحاصل أن البناء على القبور وتعظيمها ليس من شعائر الله، بل هي من شعائر المشركين، وتعظيمها بالبناء والإسراج والرفع هو ذريعة إلى الشرك بالله. وأما الطواف بها والذبح لها والنذر لها والسجود إليها؛ فكل ذلك من الشرك بإجماع الأمة.

سادسًا: الطواف بالقبور ليس من شعائر الله، بل فيه جرائم متعددة؛ فهو يجمع بين الكفر والشرك والمحاداة لأمر الله وأمر رسوله، وتشريع ما لم يأذن به الله، وتعظيم غيره بما لم يُشرع إلا لتعظيمه وهو الطواف.

فإن الله قد شرع الطواف ببيته فقط تعظيمًا له سبحانه وتعالى، قال تعالى لإبراهيم وإسماعيل: **{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}** [البقرة: 125]، وقال تعالى: **{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}** [الحج: 29]، وهو ركن من أركان الحج شُرعت له الطهارة كما قال ﷺ: "الطواف صلاة غير أنه أُذِنَ لكم أن تتكلموا فيه" رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني.

...عاشرًا: أليس بدلاً من إقرار الناس على هذا الكفر والشرك من الطواف بالقبور وعبادتها من دون الله والطلب من أصحابها ودعائهم والذبح لهم، وجعل مواسم لعبادتها وشد الرحال إليها وقول قائلهم: (قبر أبي معروف ترياق مجرب)، وعبد القادر الكيلاني يا متصرف في الأكوان، واعتقاد أن الله قد غفر لكل من زار قبر البدوي في مولده كل ذنوبه.. من هذا الكفر والشرك (اقرأ ترجمة البدوي في طبقات الشعراني)،

---

(1) انظر كتاب النظرات، (2/45-49).

(2) أخرجه مسلم (969).

أليس الأولى من ذلك من سماحة المفتي ومن غيره من أهل العلم والدين أن ينهوا الناس عن ذلك، وخاصة أن سماحته يقول: إن المفتي على أن الطواف بالقبور حرام وأن الفتيا على ذلك.[1]

7- العالم المجاهد عز الدين القسام:

قال الشيخ: أبو عبيدة مشهور بن سلمان آل حسن في مقدمة كتابه (السلفيون وقضية فلسطين)، والذي هو تحقيق لكتاب: (النقد والبيان في دفع أوهام خزيران)، من تأليف: مُحَمَّد كامل القَصَّاب وعزّ الدِّين القَسَّام: فإن هذه الرسالة نادرة وهامة، وذلك من وجوه عديدة: ((الوجه الثاني: أنها تُثْبتُ شيئًا مجهولاً عند مترجمي (القسام)، لم أر من ركّز عليه منهم؛ وهو: أنه (سَلَفي)، ولاسيما في منهجه واستدلاله، وكل سطر فيها يدل على ذلك... وقد شهد بمضمون (سلفيّته) جمعٌ ممن قرظ هذه الرسالة، كما تراه في آخرها، وأشار إلى ذلك جمع، أن همَّ القسام الأول: تخليص الدين من الشوائب، وإخلاص العقيدة للّه وحده؛ لأنّ العقيدة الخالصة للّه هي مصدر القوة، ففي سبيل إخلاص العقيدة للّه وحده، وطلب العون منه، حارب القسام حجّ النساء إلى (مقام الخضر)، على سفوح جبال الكرمل، قرب حيفا لتقديم النذور وذبح القرابين للشفاء من المرض أو نجاح في مدرسة، وكن يرقصن حول المقام الموهوم، فدعا الناس إلى أن يتوجهوا بنذورهم وأضاحيهم إلى الله تعالى فقط؛ لأنه وحده هو القادر على الضر والنفع، وأما أصحاب القبور فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فكيف ينفعون الآخرين؟!!

8- أبو الأعلى المودودي- رحمه الله-:

يقول أبو الأعلى المودودي- رحمه الله- حين تحدث عن دخول الهنود في دين الله أفواجًا على أيدي بعض الأفراد من العلماء والتجار وبعض أهل الورع، ولكن هؤلاء الأفراد كانوا عاجزين عن تعليم الداخلين في الإسلام حقيقة الإسلام وأصوله وتربيتهم على ذلك .

وذكر إهمال الحكام وتقصيرهم في العناية بهؤلاء، وتربيتهم على الدين الحق، ثم قال في (ص130): " فكان من جراء هذه الغفلة أن ظل عامتنا سادرين في الجهل والجاهلية منذ أول أمرهم. أما المعاهد التعليمية فما استفاد منها في معظم الأحوال إلا الطبقات العليا أو الوسطى. وما زال الدهماء في جهل تام بتعاليم الإسلام محرومين من آثاره الإصلاحية إلى حد عظيم. وقد سبب كل ذلك أن كان الناس من غير المسلمين يدخلون في دين الله شعوبًا وقبائل.

---

(1)الرد على فتوى سماحة مفتي جمهورية مصر العربية، في حكم الطواف على القبور، عبد الرحمن بن عبد الخالق، على الرابط التالي: http://www.salafi.net/articles/article43.htm

إلا أن كثيرًا من الرسوم الباطلة والعادات الجاهلية، مما كانوا عليه قبل إسلامهم، لا تزال متفشية بهم إلى يومنا هذا، بل لم تتغير أفكارهم ومعتقداتهم تغيرًا تامًّا، ولا يزال يوجد فيهم إلى الآن كثير من عقائد المشركين وأوهامهم التي ورثوها عن أديان آبائهم الكافرين، وأقصى ما حدث فيهم من الفرق بعد إسلامهم أن أخرجوا من تاريخ الإسلام آلهة لهم جديدة مكان الآلهة التي كانوا يعبدونها من قبل واختاروا لأعمالهم الوثنية القديمة أسماء جديدة من المصطلحات الإسلامية، وكان العمل على ما كان عليه من قبل، وإنما تغير قشره ولونه الظاهري.

فإن أردتم الشاهد على ما أقول فسرحوا النظر فيما عليه حالة الناس الدينية في أي بقعة من بقاع بلادكم، ثم ارجعوا إلى التاريخ، وابحثوا عن الدين الذي كان الناس يدينونه في هذه البقعة قبل أن يأتيهم الإسلام، فستعلمون أنه توجد هناك كثير من العقائد والأعمال التي تشبه عقائد الدين المنقرض وأعماله، إلا أنها في شكل آخر ولون غير لونه. فالبقاع التي كانت فيها الديانة البوذية قبل الإسلام مثلاً كان الناس يعبدون فيها آثار بوذا، فهنا سن من أسنانه، وهناك عظم من أعظمه؛ وثمة شيء آخر من أشيائه يعبده الناس، ويتبركون به، وإنكم لتجدون اليوم عارضة أن الناس في هذه البقاع يعاملون مثل هذه المعاملة شعرًا من أشعار النبي ﷺ؛ أو أثرًا من آثار قدمه، أو يتبركون بآثار بعض صالحي المسلمين وعابديهم.

وكذلك إذا استعرضتم كثيرًا من الرسوم والعادات المتفشية اليوم ببعض القبائل المتوغلة في إسلامها، ثم نظرتم في ما يروج في البطون غير المسلمة لهذه القبائل نفسها من الرسوم والتقاليد فقليلاً ما تجدون فارقًا بين هذه وتلك، أفليس ذلك مما يشهد شهادة ناطقة بأن الذين كان بيدهم زمام أمر المسلمين وشؤونهم الاجتماعية في القرون السالفة قصروا في أداء واجبهم أيما تقصير؛ إذ لم يمدوا يد التعاون والمساعدة إلى الذين بذلوا جهودهم في نشر الإسلام بجهودهم الفردية، فقد انجذب مئات الملايين من الناس إلى حظيرة الإسلام متأثرين بدعوته، ولكن الذين كانوا سدنة لبيت الإسلام متولين أموره لم يعنوا في قليل ولا كثير بتعليمهم وتربيتهم وتزكية حياتهم وإصلاح فكرهم، فلم يكتب لهم أن يتمتعوا ببركات الإسلام ونعم التوحيد حق التمتع، ويقوا أنفسهم المضار التي هي نتيجة لازمة للشرك والجاهلية".

ثم ذكر سوء حال معظم العلماء وانشغالهم بأمور آلهتهم عن الجد في أمر الدين الحقيقي من التحزب والتفرق والمجادلات والمخاصمات، وعنايتهم بالعلوم اليونانية، وانصرافهم عن الكتاب والسنة، وما ترتب على ذلك من آثار سيئة في حياة المسلمين.

ثم قال في (ص133): "وإن تعجب فعجب من حال الصوفية، فإنكم إذا سرحتم النظر فيهم لا تجدون من بينهم من عملوا بالتصوف الإسلامي الحقيقي وعلموه الناس إلا عددًا يسيرًا، أما معظمهم فكانوا يدعون الناس ويرشدونهم إلى تصوف كان مزاجًا من الفلسفات الإشراقية والويدانتية والمانوية الزرادشتية، وكانت طرق الرهبان والأحبار والإشراقيين والرواقيين اختلطت به اختلاطًا، حتى لم تبق له علاقة بعقائد الإسلام وأعماله الخالصة إلا قليلاً، ولقد كان عباد الله يرجعون إليهم مستهدين إلى الله وهم يهدونهم إلى طرق معوجة وسبل زائفة، ثم لما خلف من بعدهم خلف ورثوا فيما ورثوا عن أسلافهم مريديهم وأتباعهم، ولم

يبقوا مما كان بينهم من العلائق إلا على علاقة النذور والهدايا دون الإرشاد والوعظ والتربية، وأكثر ما سعت له هذه الدوائر ولا تزال تسعى له، هو أن لا يتسرب قبس من العلم الصحيح بالدين إلى حيث لمشيختهم النفوذ والتأثير؛ فإنهم يعرفون كل المعرفة أنه لن يدوم لسحرهم ودجلهم تأثير في الناس إلا ما داموا جاهلين بدينهم".

ثم تحدث عن أحوال المسلمين الأخلاقية، فذكر أنها بلغت الحضيض، ومنها بيع دينهم وكيف سخرهم أعداء الإسلام لإهلاك بعضهم بعضًا.[1]

9- الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله:

يقول الشيخ عبد الحميد كشك -رحمه الله- في الاستغاثة: (وهي طلب الغوث والنجدة، ولا يصح أن يُستغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فإن ذلك شرك... ثم قال الشيخ: ومما تقدم يُعلم أن ما يجري على ألسنة العوام من دعاء لغير الله، أو استغاثة به، أو غلو في مدحه، أو استشفاع وتوصل به أو حلف باسمه أو طلب المدد والبركة منه، كل ذلك شرك يجب على العلماء أن ينبهوا الناس إلى عظيم خطره، وسوء عاقبته، بدلاً من أن يلهوا عقولهم بذكر حكايات الصوفية كرابعة العدوية وغيرها). [2]

10- الشيخ الدكتور عبد الله عزام رحمه الله:

قال الشيخ الدكتور عبد الله عزام في مقدمة كتابه "العقيدة وأثرها في بناء الجيل": "ونرى أن الاستغاثة بالأموات وطلب الحاجات منهم شرك...". [3]

11- الدكتور عابد السفياني:

يقول الدكتور عابد السفياني: " لقد أدرك أئمة الدعوة الإسلامية المعاصرة أن مهمة هذه الدعوة هي تطهير العباد من الاعتقادات والأقوال المخالفة للتوحيد، وردّهم إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه -

---

(1) أقوال أهل العلم في الاستغاثة بغير الله تعالى، على الرابط التالي:
http://www.ikhwan.net/vb/showthread.php?t=17049

(2) انظر كتابه ظلال الإيمان، طبعة مكتبة التراث الإسلامي، ص83 -84.

(3) انظر: أقوال أهل العلم في الاستغاثة بغير الله تعالى ، على الرابط التالي:

رضوان الله عليهم–، وإذا تطهروا من ذلك تحرروا من العبودية لغير الله، وأقاموا مجتمعاتهم – في أي عصر من العصور – على شريعة من الله غير مشركين به.

وإن هذه المهمة الكبيرة تحتاج إلى عمل جاد وصبر وفقه في الدين، وتحديد لمواطن الخلل في كل عصر وكل مكان؛ حتى يمكن معالجته حسب ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسولنا – عليه الصلاة والسلام- .

ولنضرب لذلك نماذج عملية... لقد تأمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– واقع عصره، فوجد الناس يصرفون كثيرًا من أنواع العبادة لغير الله في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وإنهم لا بد من تحريرهم من عبادة غير الله، وردهم إلى عبادة الله وحده... وبعد أن أدرك الشيخ هذا الواقع عزم على تحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده" ا.هـ[1].

12– الشيخ عبد الله بن حمد الجلالي:

يقول الشيخ عبد الله بن حمد الجلالي: "فإن أصحاب الأضرحة والقبور في أيامنا الحاضرة ضلوا الطريق حينما يقولون: هؤلاء الصالحون نرجو شفاعتهم في الآخرة، وأشبهوا المشركين الذين قالوا: **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)**(الزمر:3). وربما يكون هذا الكلام- في بلادنا هنا والحمد لله– قد لا يفهمه كثير من الناس، لاسيما الذين لم يسافروا خارج هذه البلاد، فإن بلادنا هذه- والحمد لله– حرسها الله تعالى بدعوة سلفية منذ مئات السنين، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، التي جددت لنا دعوة التوحيد التي جاء بها محمد ﷺ حينما اتفق مع أمير هذه البلاد محمد بن سعود رحمة الله عليهم أجمعين، فتعاهدوا على كلمة التوحيد، وهدمت القبور والأضرحة كلها"[2].

13– **الشيخ مُحَمَّد بن الأَمِين بُوخُبْزَة:**

وفي مقابلة لموقع الشبكة الإسلامية مع **الشيخ مُحَمَّد بن الأَمِين بُوخُبْزَة** حيث سئل الشيخ: لكم جهاد كبير . شيخنا . في محاربة التصوف الغالي والبدعة بكل أنواعها؛ فهل تعتقدون أن المحيط الإسلامي يستجيب لدعاة الإصلاح والالتزام بنهج النبي ﷺ؟ وهل ترون الدعاة قد قاموا بواجبهم تجاه نصرة السنة ؟

الجواب:

---

(1) انظر: من إيجابيات الدعوة الإسلامية "تحرير الناس من عبادة غير الله"، منتديات لواء الشريعة، على الرابط التالي:

http://forum.shareah.com/showthread.php?t=2077

(2)انظر السبع المثاني، على الرابط التالي:

http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=8978

التصوف، هذا الإخطبوط والسرطان الفتَّاك، هو المسئول الأول . بعد فشل كلّ محاولة في محاربته والقضاء عليه– عن تأخُّر المسلمين وقعودهم عن اللَّحاق بركب الحضارة السليمة الصالحة، والتقدم العلمي الذي لا حياةَ كريمة بدونه، بما بثَّه ويبثُّه في النفوس والعقول من الخنوع والخضوع والخمولِ والذل، وإلغاءِ وظيفةِ العقل، والغُلو في البشر وتألِيهِهم وما إلى ذلك مما تطفح به مصادرُه القديمة والحديثة من مصائبَ وتعاليمَ وثنية على رأسها: عقيدة الاتحاد والحلول، ووحدة الوجود، التي لا تصوفّ بدونها، والتي يُدَندِنُ حولها جميعُ مشايخ الصوفية المشهورين، وزاد الطينَ بَلَّةً سكوتُ العلماء عن هذا البَلاء الماحق، بل وتأييدُ عدد كبير منهم لهم . شفقةً من الإرهاب الفكري الذي يمارسه عليهم الصوفية ويتواصون به . ومن الكلمات الشائعة بين العامة في هذا المجال قولُهم: "سلَّم للخَاوي تنْج من العَامِر".

واستجابةُ الناس . ولاسيما الشباب . للدُّعاة الصالحين محدودةٌ؛ لأسباب كثيرة على رأسها: تأييدُ بعض ذوي الشأن للصوفية لحاجة في نفس يعقوبَ، وفيما يتعلق بالشباب: غِرَّتُه والبطالةُ واستيلاءُ اليأْس عليه، فهو بين أمرين: إما الثورة على الكُل والإلحادُ والتحررُ من الدين والقيمِ، أو الارتماء في أحضان الزوايا والشيوخ الذين يبشرونَه بنعيم الولاية والعرفان، ولكن بعد الخلوة وفقدان العقل والإيمان، ولله عاقبة الأمور..

وأنا أقول هذا بعد تجربة شخصية، ودراسة ميدانية، ومعرفة كافية بالتصوف، ومخالطة لطرق شتَّى منه ولأهلها، ولا يغرنَّك ما يردده المغفلون من التحلية والتخلية، والأحوال الربانية، فإن الصالح من ذلك هو مقام الإحسان الذي جاء في حديث جبريل، وهو من الدين الإسلامي الخالص، وقد كان هذا مضمن البعثة المحمدية قبل أن يُخلق التصوف اللَّقيط[1].

14– الشيخ محمد بن حسين الحارثي:

يقول محمد بن حسين الحارثي: قبورية الوقت الحاضر والزمان المعاصر لهم صفات وسمات وتصرفات معينة يستدل بها عليهم... وهي كما يلي:

أولاً: حرصهم على إحياء الموالد البدعية، والحرص على حضورها، والتفاعل معها !!

ثانياً : تقديس وتعظيم الأولياء المزعومين لديهم، وتقبيل أيدي وركب الأحياء منهم!!

ثالثًا: الحرص على الأذكار والأوراد البدعية !!

رابعًا: محاربة أهل السنة والجماعة من الملتزمين والمتدينين، والضيق والضجر منهم !!

خامسًا: يشجعون على تقديس وتعظيم قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والتمسح والتبرك به، وتفضيل زيارته على الصلاة في المسجد النبوي!!

---

(1)انظر فتواه ونص كلامه على الرابط التالي:

http://www.saaid.net/leqa/25.htm.

سادسًا: يشجعون ويبنون إقامة الأضرحة والقباب والمزارات البدعية للطواف حولها!!

سابعًا: يغالون في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويطرونه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام!!

ثامنًا: يشجعون على تقديس كل حجر أو شجر أو مكان يزعمون مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه أو مروره عليه !!

تاسعًا: إهمال السنن والعبادات، إلا ما ندر للمظاهر، ولخداع عامة الناس بحقيقة أمرهم!![(1)].

---

(1) انظر نص كلامه على الرابط التالي:

http://www.albaidha.net/vb/showthread.php?t=301

الفصل السابع

شبهات القبورية

(1) الرد على من يستدل بآية : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: 21] :

يستدل القبوريون بقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:21]، في إثبات جواز بناء القبور والأضرحة في المساجد، او بناء المساجد على القبور والصلاة فيها .

ووجه استدلالهم بالآية أنَّها أشارت إلى قصَّة أصحاب الكهف، حينما عثر عليهم الناس، فقال بعضهم: نبني عليهم بُنيانًا، وقال آخرون: لنتَّخذنَّ عليهم مسجدًا.

والسياق يدلُّ على أنَّ الأوَّل: قول المشركين، والثاني: قول الموحِّدين، والآية طرحت القولين دون استنكار، ولو كان فيهما شيء من الباطل لكان من المناسب أن تشير إليه، وتدلُّ على بطلانه بقرينة ما، وهذا القول يدلُّ على أنَّ أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة.

الجواب :

1- أَنَّ هَذِهِ الآيةَ ليْسَتْ مُخالفةً – وَلا تَصْلحْ أَنْ تَكوْنَ مُخالِفةً – لِلأَحَادِيْثِ المتوَاتِرَةِ النّاهِيَةِ عَنْ ذلِكَ، وَإنمَا هِيَ مُوَافِقةٌ لهَا ، مُصَدِّقةٌ بهَا. فقدْ أَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ بِاتخاذِ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى قبوْرَ أَنبيَائِهِمْ وَصَالِحِيْهِمْ مَسَاجِدَ ، وَقالَ ﷺ : « إنَّ أُوْلئِكَ إذا مَاتَ فِيْهِمُ الرَّجُلُ الصّالِحُ ، بنوْا عَلى قبْرِهِ مَسْجدًا ، وَصوَّرُوْا فِيْهِ تِلكَ التَّصَاوِيْر» رَوَاهُ البخارِيُّ .

وَاللهُ أَخْبَرَ كذَلِكَ في كِتَابِهِ بذَلِكَ ، فقالَ سُبْحَانهُ:{ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً } . فالآيةُ مُصَدِّقةٌ لِلأَحَادِيْثِ لا مُخالِفة.

1- لا دلالة في الآية على جواز الصلاة بالمسجد الذي به ضريح أحدِ الأنبياء عليهم السلام أو الصالحين، بَلْهَ أن تصل إلى درجة الاستحباب؛ لأنَّ غاية ما يدل عليه أنَّ الذين اتخذوا مسجدًا على قبور الصالحين كانوا من النصارى الذين لعنهم النبيُّ ﷺ كما صرَّح به غير واحدٍ من أهل التفسير، وقد بَيَّن النبيُّ ﷺ إنكاره هذا الصنيع المسنون لليهود والنصارى في أربعة عشر حديثًا سبق بعضها .

قال الآلوسي –رحمه الله–: «هذا، واستدلَّ بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في ذلك، وممَّن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي وهو قول باطلٌ عاطلٌ فاسدٌ كاسدٌ فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ تَعَالَى زَائِرَاتِ القُبُورِ وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرَجَ»... إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة... وعلى هذا لقائل أن يقول : إن الطائفة الأولى كانوا مؤمنين عالمين بعدم مشروعية اتخاذ المساجد على القبور فأشاروا بالبناء على باب الكهف وسده وكف كف التعرض عن أصحابه فلم يقبل الأمراء منهم وغاظهم ذلك حتى أقسموا على اتخاذ المسجد ، وكان الأولين إنما لم يشريوا بالدفن مع أن الظاهر أنه هو المشروع إذ ذاك في الموتى كما أنه هو المشروع عندنا فيهم لعدم تحققهم موتهم ، ومنعهم من تحقيقه أنهم لم يقدروا كما أخرج عبد الرزاق . وابن المنذر عن وهب بن منبه على الدخول عليهم لما أفيض عليهم من الهيبة ولهذا قالوا : { رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ }. وإن أبيت إلا حسن الظن بالطائفة الثانية فلك أن تقول : إن اتخاذهم المسجد عليهم ليس على طرز اتخاذ المساجد على القبور المنهي عنه الملعون فاعله وإنما هو اتخاذ مسجد عندهم وقريباً من كهفهم ، وقد جاء التصريح بالعندية في رواية القصة عن السدى . ووهب ، ومثل هذا الاتخاذ ليس محظوراً إذ غاية ما يلزم على ذلك أن يكون نسبة المسجد إلى الكهف الذي هم فيه كنسبة المسجد النبوي إلى المرقد المعظم ﷺ. « تفسير الآلوسي»: (196/11) .

2– على فرض أنَّ الذين غلبوا على أمرهم –في الآية– لم يكونوا نصارى فلا يتمُّ التسليم بأنهم كانوا مؤمنين، بل هم الملوك والولاة كما ذكر ذلك ابن رجب وابن كثير و الآلوسي وغيرهم . انظر: «روح المعاني» للآلوسي: (236/15). «فتح الباري» لابن رجب: (194/3). و«تفسير ابن كثير»: (78/3).

وقد كانوا أهل شرك أو فجور، حيث إن لفظة «لَنَتَخِذَنَّ» تلائم أهل القهر والغلبة من الملوك والولاة، دون «اتخذوا» بصيغة الطلب المعبر بها الطائفة الأولى؛ ذلك لأنَّ مثل هذا الفعل تنسبه الولاة إلى نفسها، وضمير «أَمْرِهِمْ» هنا للموصول المراد به الولاة، ومعنى غلبتهم على أمرهم: أنهم إذا أرادوا أمرًا لم يتعسَّر عليهم، ولم يحل بينه وبينهم أحد، كما قال تعالى: ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ [يوسف: 21].

قال ابن رجب –رحمه الله–: «فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر بأن مستنده القهر والغلبة وإتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتبعين لما أنزل الله على رسله من الهدى» « فتح الباري لابن رجب» .

قال ابن كثير –رحمه الله– بعد ما حكى عن ابن جرير القولين: «والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر ما فعلوا، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر

بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق، أمر أن يخفى عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم وغيرها» . «تفسير ابن كثير»: (78/3) .

3- ثم أنه لا يصح أن يعتبر عدم الرد عليهم إقراراً لهم، إلا إذا ثبت أنهم كانوا مسلمين وصالحين متمسكين بشريعة نبيهم، وليس في الآية ما يشير أدنى إشارة إلى أنهم كانوا كذلك، بل يحتمل أنهم لم يكونوا كذلك، وهذا هو الأقرب؛ أنهم كانوا كفاراً أو فجاراً، كما سبق، وحينئذ فعدم الرد عليهم لا يعد إقراراً بل إنكاراً، لأنه يكتفي في الردِّ على الكفار أو الفجار عزو حكاية القول إليهم، إذ المعلوم -أصوليًّا- أنَّ من شرط الإقرار أن لا يكون المسكوت عنه صادرًا من كافر أو فاجر فلا عبرة فيه لما علم بالضرورة إنكاره ﷺ لما يفعله الكفار والفجار، كما أنَّ من شرط الإقرار أن لا يكون الشارع قد بَيَّن حكمه بيانًا يسقط عنه وجوب الإنكار وقد لعنهم الله تعالى على لسان نبيِّه ﷺ فأيُّ إنكار أوضح من هذا؟ .

3- على تقدير أنهم أهل إيمان وصلاح، ووقع صنيعهم محمودًا بالنظر لتمسكهم بشريعة نبي مرسل، **فجوابه من جهتين:**

الجهة الأولى: لا يلزم الأخذ بمضمون الآية الدالة على جواز بناء المسجد على القبر؛ لأنَّ ما تقرر -أصوليا- «أنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا لَيْسَ شَرْعٌ لَنَا»، ولا يحلُّ الحكم بشريعة نبيّ مَن قبلنا لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48] .

الجهة الثانية: وعلى تقدير أنَّ شرع من قبلنا شرع لنا فمشروط بعدم التصريح في شرعنا ما يخالفه، ويبطله، فإن ورد في شرعنا ما ينسخه لم يكن شرعًا لنا بلا خلاف، وقد جاءت النصوص الحديثية متضافرةً ومتواترة تنسخ هذا الحكم وتنهى عن بناء المساجد على القبور وتغلِّظ النكير.

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «وهذا كان شائعاً فيمن كان قبلنا، فأمَّا في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر ما فعلوا» . «البداية والنهاية» لابن كثير: (116/2) [1] .

3- وقال العلامة محمد أمين الشنقيطي رحمه الله: ((وعلى القول بأنهم مسلمون كما يدل له ذكر المسجد؛ لأن اتخاذ المساجد من صفات المسلمين، فلا يخفى على أدنى عاقل أن قول قوم من المسلمين في القرون الماضية إنهم سيفعلون كذا لا يعارض به النصوص الصحيحة الصريحة عن النَّبي ﷺ إلا من طمس الله بصيرته فقابل قولهم: {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً}[21/18]، بقوله ﷺ في مرض موته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بخمس: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" الحديث. يظهر لك

1- في رد شبهة قبوري بآية :﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾، الشيخ الدكتور محمد علي فركوس .
http://ferkous.com/rep/M36.php

أن من اتبع هؤلاء القوم في اتخاذهم المسجد على القبور ملعون على لسان الصادق المصدوق ﷺ كما هو واضح، ومن كان ملعوناً على لسانه ﷺ فهو ملعون في كتاب الله)) [1] .

5- أن الاستدلال المذكور إنما يستقيم على طريقة أهل الأهواء من الماضين والمعاصرين، الذين يكتفون بالقرآن فقط ديناً، و لا يقيمون للسنة وزناً، وأما طريقة أهل السنة والحديث الذين يؤمنون بالوحيين، مصدقين بقوله ﷺ في الحديث الصحيح المشهور:" ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" . وفي رواية: " ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله " .

فهذا الاستدلال عندهم . والمستدل يزعم أنه منهم ! . باطل ظاهر البطلان، لأن الرد الذي نفاه، قد وقع في السنة المتواترة كما سيق، فكيف يقول : إن الله أقرهم ولم يرد عليهم، مع أن الله لعنهم على لسان نبيه ﷺ فأي رد أوضح وأبين من هذا ؟[2].

(2) شـــبهة الصـــوفية القبورية في عدم تفريقهم بين الحي والميت، وهذا مقتضـــاه أن دعوة واستغاثة الحي كالميت تماما، لا فرق

الجواب :

قول الله عز وجل:

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَـيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْـعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل 20: 21] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْـتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْـمِعُ مَن يَشَـاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْـمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : 22] .

التفسـير الميسـر: (وما يسـتوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسـمع مَن يشاء سماع فَهْم وقَبول، وما أنت -أيها الرسول- بمسمع مَن في القبور،فكما لا تُسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تُسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم) ا.هـ

2- أضواء البيان / تفسير سورة الحجر / دار الفكر 1995/ جـ 16 ص 100 .

3- مـوقـع الصـــــوفـيـة http://www.soufia-h.net/showthread.php?p=1703#post1703

مرة أخرى المقارنة بين أهل الإيمان وأهل الكفر مقارنة بين من يسمع ومن لا يسمع وكان المثال هو أهل القبور في الاستجابة من عدمها.

(3) شبهة استدلالهم بقبر النبي ﷺ وأنه موجود في داخل المسجد النبوي .

الجواب :

1- أن النبي ﷺ دفن في حجرة عائشة . رضي الله عنها . شرقي المسجد، فلم يدفن في المسجد، والأنبياء يدفنون حيث يموتون . كما جاءت بذلك الأحاديث ..

كما أن الصحابة . رضي الله عنهم . دفنوه في حجرة عائشة كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجداً؛ كما في حديث عائشة . رضي الله عنها . قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت: فلولا ذلك أُبرِزَ قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً) أخرجه البخاري ومسلم .

2- الحجرة النبوية أُدخلت في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة؛ حيث أمر الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجر أزواج النبي ﷺ إليه على سبيل التوسعة، فأدخل فيه الحجرةَ النبويةَ حجرةَ عائشة، فصار القبر بذلك في المسجد .

فلا يصح الاحتجاج بما وقع بعد الصحابة؛ لأنه مخالف للأحاديث الثابتة وما فهمه سلف الأمة .

3- دعوى عدم إنكار الصحابة على الوليد فهذه دعوى بلا دليل، وعدم العلم ليس علماً بالعدم، وسكوت العلماء لا يعني الرضا والإقرار؛ لاسيما وأن الذي أدخل القبر النبوي ضمن المسجد خليفة ذو شوكة وسلطان والذي اتخذ القبة . هو السلطان قلاوون .

4- قال الإمام الألباني – رحمه الله –: " قال العلامة الحافظ محمد ابن عبد الهادي في " الصارم المنكي "(ص 136): "وإنما أدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك، بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وكان آخرهم موتاً جابر بن عبد الله، وتوفي في خلافة عبد الملك، فإنه توفي سنة ثمان وسبعين، والوليد تولى سنة ست وثمانين، وتوفي سنة ست وتسعين، فكان بناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك، وقد ذكر أبو زيد عمر بن شبة النميري، في كتاب "أخبار المدينة" مدينة الرسول ﷺعن أشياخه عمن حدثوا عنه أن ابن عمر بن عبد العزيز لما كان نائباً للوليد على المدينة في سنة إحدى وتسعين هدم المسجد وبناه بالحجارة المنقوشة بالساج، وماء الذهب، وهدم حجرات أزواج النبي ﷺ وأدخل القبر فيه ."

... وهو مخالف أيضاً لصنيع عمر وعثمان حين وسعا المسجد ولم يدخلا القبر فيه، ولهذا نقطع بخطأ ما فعله الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه، ولئن كان مضطراً إلى توسيع المسجد، فإنه كان

باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى هذا النوع من الخطأ حين قام هو رضي الله عنه بتوسيع المسجد من الجهات الأخرى ولم يتعرض للحجرة، بل قال:"إنه لا سبيل إليها" فأشار رضي الله عنه إلى المحذور الذي يترقب من جراء هدمها وضمها إلى المسجد.

5- مع هذه المخالفة الصريحة للأحاديث المتقدمة وسنة الخلفاء الراشدين، فإن المخالفين لما أدخلوا القبر النبوي في المسجد الشريف احتاطوا للأمر شيئاً ما، فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم، قال النووي في " شرح مسلم " (292/2) : (وَلَمَّا اِحْتَاجَتْ الصَّحَابَة – رِضْوَان اللَّه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ – وَالتَّابِعُونَ – عزو هذا إلى الصحابة لا يثبت كما تقدم –إِلَى الزِّيَادَة فِي مَسْجِد رَسُول اللَّه ﷺ حِين كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَامْتَدَّتْ الزِّيَادَة إِلَى أَنْ دَخَلَتْ بُيُوت أُمَّهَات الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ ، وَمِنْهَا حُجْرَة عَائِشَة – رَضِيَ اللَّه عَنْهَا – مَدْفِن رَسُول اللَّه ﷺ وَصَاحِبَيْهِ أَبِي بَكْر وَعُمَر – رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا – بَنَوْا عَلَى الْقَبْر حِيطَانًا مُرْتَفِعَة مُسْتَدِيرَة حَوْله لِئَلَّا يَظْهَر فِي الْمَسْجِد ، فَيُصَلِّي إِلَيْهِ الْعَوَامّ وَيُؤَدِّي الْمَحْذُور ، ثُمَّ بَنَوْا جِدَارَيْنِ مِنْ رُكْنَيْ الْقَبْر الشَّمَالِيَّيْنِ ، وَحَرَّفُوهُمَا حَتَّى اِلْتَقَيَا حَتَّى لَا يَتَمَكَّن أَحَد مِنْ اِسْتِقْبَال الْقَبْر) .

ونقل الحافظ ابن رجب في "الفتح" نحوه عن القرطبي كما في "الكوكب " (1/91/65)، وذكر ابن تيمية في " الجواب الباهر" ق2/9 " :(أن الحجرة لما أدخلت إلى المسجد سُد بابها، وبني عليها حائط آخر، صيانة له ﷺ أن يتخذ بيته عيداً، وقبره وثناً .ا.هـ [1].

6- وقال الشيخ بن باز – رحمه الله- : (وأما ما يتعلق بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدفن في المسجد، فالرسول صلى الله عليه وسلم دفن في بيت عائشة، ثم وسع المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك في آخر القرن الأول فأدخلت الحجرة في المسجد، وهذا غلط من الوليد لما أدخلها، وقد أنكر عليه بعض من حضره من هناك في المدينة ولكن لم يُقدَّر أنه يرعوي لما أنكر عليه.

فالحاصل أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم كان في البيت بيت عائشة رضي الله عنها ثم أدخلت الحجرة في المسجد بسبب التوسعة فلا حجة في ذلك، ثم إنه من فعل الوليد بن عبد الملك وقد أخطأ في ذلك لما أدخله في المسجد، فلا ينبغي لأحد أن يحتج بهذا العمل . فالذي فعله الناس اليوم من البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها كله منكر مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم .

فالواجب على ولاة الأمور من المسلمين إزالته، وعلى أي ولي أمر من أمراء المسلمين أن يزيل هذه المساجد التي على القبور، وأن يسير على السنة، وأن تكون القبور في الصحراء بارزة ليس عليها بناء ولا قباب ولا مساجد ولا غير ذلك، كما كانت القبور في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في البقيع وغيره بارزة ليس عليها شيء، وهكذا قبور الشهداء، شهداء أحد، لم يبن عليها شيء .أ.هـ [2].

1- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (65/1) / ط 4 / المكتب الإسلامي .

1- مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (388/5، 389) . http://www.binbaz.org.sa/mat/21598

7- وقال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – جوابا على هذه الشبهة :

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر؛ بل بني في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد؛ بل دفن صلى الله عليه وسلم في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم -ومنها بيت عائشة رضي الله عنها مع المسجد -ليس باتفاق الصحابة؛ بل بعد أن انقرض أكثرهم، وذلك في عام أربعة وتسعين هجرية تقريباً، فليس مما أجازه الصحابة؛ بل إن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضاً: سعيد بن المسيب، من التابعين .

ففي عهد الوليد بن عبد الملك كتب إلى أميره على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز في سنة 88 من الهجرة أن يهدم المسجد النبوي ويضيف إليه حجر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، فجمع عمر وجوه الناس والفقهاء وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد فشق عليهم ذلك، وقالوا: تَرْكُها على حالها أدعى للعبرة، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة، كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً فكتب عمر بذلك إلى الوليد فأرسل الوليد إليه يأمره بالتنفيذ فلم يكن لعمر بُدٌّ من ذلك، فأنت ترى أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يوضع في المسجد، ولم يُبْنَ عليه المسجد، فلا حجة فيه لمحتج على الدفن في المساجد أو بنائها على القبور[1] .

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنياً عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظاً ومحوطاً بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي أنه مثلث، والركن في الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى؛ لأنه منحرف، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة .أ.هـ .

(4) شبهة: قولهم أن المقصود من قول الرسول ﷺ " اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " الاتخاذ بمعنى

الجواب

اتخاذ القبور مساجد له ثلاث معاني ذكرها أهل العلم، وهي:

الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

قال ابن حجر الهيتمي في" الزواجر" :(1/ 121) " واتخاذ القبر مسجداُ معناه الصلاة عليه، أو إليه. "

2- مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (12/السؤال رقم 292) .

فهذا نص منه على أنه يفهم الاتخاذ المذكور شاملاً لمعنيين، أحدهما الصلاة على القبر.

ويدل على هذا المعنى ما جاء عن أبي سعيد الخدري: "أن رسول الله ﷺ نهى أن يبنى على القبور، أو يقعد عليها، أو يصلى عليها ". رواه أبو يعلى في "مسنده" (ق 2/66) وإسناده صحيح، وقال الهيثمي(61/3): ورجاله ثقات.

الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

قال المناوي في " فيض القدير": " أي اتخذوها جهة قبلتهم، مع اعتقادهم الباطل، وإن اتخاذها مساجد، لازم لاتخاذ المساجد عليها كعكسه، وهذا بين به سبب لعنهم لما فيه من المغالاة في التعظيم. قال القاضي (يعني البيضاوي): لما كانت اليهود يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها، فاتخذوها أوثاناً لعنهم الله، ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه " .

قلت: وهذا المعنى قد جاء النهي الصريح عنه فقال ﷺ : "لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها "رواه

مسلم .

الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

وقد قال به الإمام البخاريُّ ، حيث بوب في صحيحه « باب ما يكره من اتخاذ القبور مسجدا على القبور.

ويشهد لهذا المعنى حديث: «أولئك قوم إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ... أولئك شرار الخلق .. » رواه البخاري ومسلم.

(5) شبهة : قولهم أن مسجد النبي ﷺ بني فوق مقبرة :

هذا سؤال وجه للشيخ صالح آل الشيخ في شرحه على العقيدة الطحاوية: (هل صحيح أنّ النبيﷺ بني مسجده فوق مقبرة؟ إن كان نعم فكيف يُجمع مع نهيه (الذين اتخذوا القبور مساجد) ؟ .

الجواب :

النبي ﷺ لما بركت النّاقة في موضع مسجده الآن كان فيها مواضع قبور للمشركين، فأمر النبي ﷺ بالقبور فنبشت واتُّخذ هذا المكان مسجدا.

والمقبرة إذا كانت موجودة وبُني على القبر مسجدا فهذا هو الذي جاء فيه النهي.

نبش القبور للمصلحة الشرعية هذا جائز، ولهذا فالنبي ﷺ امتثل الأمر وبني في ذلك المكان مسجدا.

(6) شبهة : القبة الموجودة فوق سطح مسجد النبي ﷺ :

الجواب :

القباب ليست على القبر بالمسامتة إنما هي على جزء كبير تشمل الجدران الأربعة كلها، ولذلك لأن قطرها كبير جدا والقبر في الداخل، وهذه القبة كانت في زمن مضى من الخشب بلون الخشب أول من صنعها السلطان قلاوون، ثم بعد ذلك جعلت باللون الأبيض، ثم جعلت باللون الأزرق، وهي التي كانت في وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم في آخر عهد الدولة العثمانية جُعل لونها أخضر واستمر هذا اللون.

فلما قيل للشيخ محمد بن عبد الوهاب إنك تقول: لو أني أقدر على قبة النبي ﷺ القبة التي على قبر النبي ﷺ لهدمتها؟ قال: سبحانك هذا بهتان عظيم ما قلت هذا ولا أقوله. لأن ما يترتب من المفاسد على إزالة هذا المنكر أكثر من المصالح، فالواجب التنبيه وتعليم الناس ودعوتهم إلى التوحيد وعدم تمكين الشرك، والنّهي عن بناء القباب على المساجد نُهي عنه سدا للذريعة، وللعلماء في ذلك كلام – يعني في مسألة بقاء القبة –.

المقصود أن هذا الذي سار عليه أئمة الدعوة في هذا الشأن فرأوا أن إبقاء القبة أن هذا أمر لازم، وذلك لما أشاعه الأعداء من بُغض أئمة الدعوة وبُغض أتباع دعوة الشيخ رحمه الله للنبي ﷺ بل عظّموا النبي ﷺ وسدّوا كل طريق يمكن أن يؤصل ما قالوه في هذا الباب؛ يعني ما قاله الأعداء.

ويُذكر أن الإخوان قد هموا في زمن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عند دخولهم المدينة المنورة أن يزيلوا هذه القبة، ولكنهم خشوا من قيام فتنة أعظم من إزالة القبة.

وقال العلاّمة الصنعاني أيضاً في الجواب عن هذه الشبهة: (فإن قلت: هذا قبر رسول الله قد عمرت عليه قبة عظيمة، أنفقت فيها الأموال. قلت: هذا جهل عظيم بحقيقة الحال: فإن هذه القبة ليس بناؤها منه، ولا من الصحابة، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة 678هـ، ذكره في تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة).

(7) شبهة: مما ذكروه في الاستدلال على جواز تشييد الأبنية على القبور، أن ذلك كان من هدي الصحابة – رضوان الله عليهم –، فقد جاء في كتاب أنساب الأشراف: " أنّه لما ماتت زينب بنت جحش

– رضي الله عنها – سنة عشرين صلّى عليها عمر – رضي الله عنه –، وكان دفنها في يوم صائف، فضرب عمر على قبرها فسطاطاً.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عمران بن أبي عطاء قال: شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناء ثلاثة أيام .

الجواب

أما الاستدلال بما روي عن بعض الصحابة من فعل ذلك، فمردود بأن ما ذكروه عن الصحابة – لو صح عنهم – هو ضرب فساطيط – وهي بيوت من الشعر – لغرض الاستظلال بها عند الدفن والزيارة، كما هو مبين في أثر دفن زينب بنت جحش ، وكما يدل عليه توقيت الفسطاط الذي ضربه محمد بن الحنفية على قبر ابن عباس – رضي الله عنه – .

ومع ذلك فقد خالف في ضرب الفساطيط على القبور عدد من الصحابة منهم أبو هريرة و أبو سعيد الخدري ، ورأى فيها محمد بن كعب بدعة محدثة ، كما روى ذلك ابن أبي شيبة [1].

فقصة ضرب عمرﷺ الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكدر، وعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه، فلفظ محمد بن المنكدر عن عمر:(أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال: (لو أني ضربت عليهم فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضرب على قبر)، ولفظ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه (أمر بفسطاط فضرب على قبرها لشدة الحر يومئذ فكان أول فسطاط ضرب على قبر بالبقيع) ، وهناك لفظ ثالث عن عبدالله بن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب صلى على قبر زينب بنت جحش سنة عشرين في يوم صائف ورأيت ثوباً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر).

وهذه الألفاظ جميعها مبينة أن الفسطاط الذي ضرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة؛إنما مُدَّ لإظلال الحفارين ووقايتهم من حر الشمس في ذلك اليوم الصائف، فأي دليل فيه على بناء المساجد والمشاهد على القبور؟!، هذا إن صح، ولم أكلِّف نفسي البحث في أسانيدها لأنها حتى لو صحت لم تدل على قصد المستدل،وهذا واضح فبطل الاستدلال بهذه القصة.

و قصة عثمان بن عفان ﷺ حين ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص، ولفظها عند ابن سعد من طريق الواقدي سنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قال: (رأيت يوم مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفان ضرب على قبره فسطاطاً في يوم صائف، فتكلم الناس فأكثروا في الفسطاط فقال عثمان: (ما أسرع الناس إلى الشر وأشبه بعضهم إلى بعض، أنشدكم الله من حضر نشدتي: هل علمتم عمر بن

1- المصدر: (الشبكة الإسلامية) التاريخ: الأحد 2006/07/02 .

الخطاب ضرب على قبر زينب بنت جحش فسطاطاً؟ قالوا: نعم،قال: فهل سمعتم عائباً؟ قالوا: لا) ،قلت: الحديث في سنده الواقدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالذي قبله لادليل فيه على ما يريدون.

وشبهة أن محمداً بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن عباس ﷺ، قلت: الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قال:(شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيام) وكذلك أخرجه الحاكم من طريق هشيم إلا أنه قال: (حدثنا أبو حمزة، ثنا عمران بن أبي عطاء، فجعلها اثنين أبا حمزة وعمران مع أن الصحيح أن أبا حمزة هو عمران نفسه فلا أدري أهي غلطة مطبعية أم أنه وهم من الحاكم –رحمه الله–،ولم يعلق الذهبي على ذلك،ولا محقق الكتاب في طبعته الجديدة ، وكذلك رواه الخطيب في "مُوضِح أوهام الجمع والتفريق" من طريقين: أحدهما عن سفيان عن عمران بن أبي عطاء،وأخرى عن هشيم عن أبي حمزة الأسدي يريد بذلك إثبات أن عمران بن أبي عطاء هو أبو حمزة الأسدي) ، وعمران الذي يدور عليه الأثر من رجال مسلم وقال عنه الحافظ في التقريب: (صدوق له أوهام) ، فالأثر ثابت رغم ذلك؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام، غير أن الأثر لا يفيد القوم شيئاً إذ أنه لا يخرج عما سبق من الآثار،إذ بقاء الفسطاط –الذي جاء مصرحاً به في رواية الجميع كان لمدة ثلاثة أيام فقط– دالّ أنه كان لغرض آخر غير ما تَرمِي إليه القبورية؛ فإما أن يكون بُنِي على الحفارين ثم ظلَّ كذلك وهذا الأقرب وإما لأمر آخر، ولكن أن يحتج به على بناء المشاهد والمساجد على القبور فهذا لا يقوله عاقل منصف.

وقصة فاطمة بنت الحسين وضربها القبة على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قلت: هذا الأثر قد علَّقه البخاري في صحيحه،في كتاب الجنائز،في باب "ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور" قال: (ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ﷺ ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفعت فسمعوا صائحاً يقول: (ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا)

وهذا الأثر قد حمَلَ نقدَه وتفنيدَه معَه؛ لأمور:

الأمر الأول – إيراد البخاري له في هذا الباب دال على استنكاره له، قال الحافظ –رحمه الله–: (ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكون في جهة القبلة فتزداد الكراهة).

والأمر الثاني ذكرُ الهاتف فإنه مُشْعِر بقبح ما صنعت تلك المرأة.

قال ابن المنير– كما نقل عنه الحافظ –: (إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخيلاً باستصحاب المألوف من الأنس ومكابرة للحس، كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنازل الخالية،فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا، وكأنهما من الملائكة أومن مؤمني الجن، وإنما ذكره البخاري لموافقته للأدلة الشرعية لا لأنه دليل برأسه)، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخاري ذلك للاستئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخاذ المساجد على القبور وليس لتأييد ذلك.

قال القسطلاني –رحمه الله – في شرحه على البخاري: (ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة فيه فيسلتزم اتخاذ المسجد عند القبر، وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهية وإذا أنكر الصائح بناءً زائلاً وهو الخيمة فالبناء الثابت أجدر، ولكن لا يُؤخَذ من كلام الصائح حكم لأن مسالك الأحكام الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والسلام، وإنما هذا وأمثاله تنبيه على انتزاع الأدلة من مواضعها واستنباطها من مظانها). وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية. وقولهم: أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الرحمن بعد موته –حين رفعوا أيديهم عن دفنه بذي طوى – فأمرت بفسطاط فضرب على قبره.

قلت: هذا الأثر علقه البخاري –رحمه الله – قال: (رأى ابن عمر ﷺ فسطاطاً على قبر عبدالرحمن فقال: انزعه يا غلام فإنما يظلّه عمله).

وقال الحافظ في شرحه: (وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق بَيَّنَه ابن سعد في روايته له موصولاً من طريق أيوب بن عبدالله بن يسار قال: (مرَّ عبدالله بن عمر على قبر عبدالرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسطاط مضروب فقال: يا غلام انزعه فإنما يظله عمله، قال الغلام تضربني مولاتي. قال: كلا فنزعه)،ومن طريق ابن عون عن رجل قال: (قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبدالرحمن بن أبي بكر فأمرت بفسطاط فضرب على قبره ووكلت به إنساناً وارتحلت فقدم ابن عمر...) فذكر نحوه، وقد تقدَّم توجيه إدخال هذا الأثر في هذه الترجمة)، قلت: يعني ما ذكره في الأثر السابق أثر فاطمة بنت الحسين وهو أن البخاري قاس الفسطاط على المسجد في الكراهة.

وهذا الأثر كذلك يجب أن يستدل به على محاربة الصحابة لتلك المظاهر لا على إثباتها وتأصيلها،فعائشة رضي الله عنها نصبت تلك الخيمة ولم يتبين لنا ما هو السبب في ذلك، ولا لأي غرض كان نصبها،ثم ذهبت فلما جاء ابن عمر ﷺ استنكر ذلك وعبّر عن استنكاره بالأمر بنزع ذلك الفسطاط، رغم إخبار الغلام له بأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنها،ورغم ما يكنّه الصحابة جميعاً لعائشة رضي الله عنها من التقدير والاحترام، إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيير ما رأى أنها أخطأت فيه.

ولم يذكر بعد ذلك لنا محدث ولامؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمر،وهذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمر، خصوصاً وأن عائشة رضي الله عنها ليست ممن يسكت على ما يرى خلافه، ومن أجل ذلك كثرت استدراكاتها على الصحابة حتى جمعها الزركشي – رحمه الله – في كتاب مستقل سماه (الإجابة لما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة) ولم يذكر هو ولا غيره أن عائشة رضي الله عنها استدركت على ابن عمر ما فعل، فسقط هذا الدليل والحمد لله.

الشبهة السابعة: أثر خارجة بن زيد –رحمه الله– أحد الفقهاء السبعة أنه قال: (رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان ﷺ وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه).

قلت: الأثر علقه البخاري بنفس اللفظ، وقد تعرض له العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني – رحمه الله– في كتاب البناء على القبور وردّه من أحد عشر وجهاً، وأكتفي بوجهين اثنين فقط أراهما مزيلين للإشكال، قال رحمه الله: (ثانياً في تهذيب التهذيب في ترجمة خارجة: " قال ابن نمير وعمرو بن علي: مات سنة (99هـ) وقال ابن المديني وغير واحد: مات سنة مائة "، فظاهر هذا أن الأكثر على أن موته كان سنة مائة والجمع أولى بأنه مات أواخر سنة (99هـ)، وفي تاريخ ابن عساكر أنه توفي وعمره سبعون سنة، وذكر لذلك قصة أن خارجة قال:" رأيت كأني بنيت سبعين درجة، فلما فرغت منها هويت وهذا السنة لي سبعون سنة وقد أكملتها، قال فمات فيها ".

ونقل مثله ابن خلكان عن طبقات ابن سعد، فإذا أنقصنا سني عمره من سني الهجرة لموته بقي تسع وعشرون، فيكون مولده آخر سنة تسع وعشرين،وعثمان قتل سابع ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فيكون سن خارجة يوم قتل عثمان ست سنين تقريباً،فكيف يكون شاباً في زمن عثمان؟.

وقد راجعت طبقات ابن سعد، "طبع أورُبَّا" فظهر أنه روى هذه القصة عن الواقدي) – قلت: والمعلمي –رحمه الله– يشير بذلك إلى ضعف القصة حيث ظهر تناقضها– ثم قال (ثالثاً: إذا سلم إسناده ولم نعتبر هذه علة قادحة فيه، فإنه ينبغي الجمع بأن يتأول الأثر بأن قوله:(شبّان) مجاز، أراد أننا غلمان أقوياء أصحاء كأننا شبان، ويؤيد هذا كلمة (غلمان) الثابتة في التاريخ وإن حذفت في التعليق، ويؤيده أيضاً أنه لو كانوا أبناء تسع سنين ونحوها لما ذهبوا يتواثبون على قبر رجل من أفاضل السابقين، ولاسيما وبجواره قبر ابن رسول الله ﷺ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقاً لأن من روى عنه إباحة الجلوس على القبر لا يبيح التوثب عليه. وقوله: (إن أشدنا وثبة... الخ) يدل أن أكثرهم يقصر فيقع على القبر والذي يجاوزه يقع على القبور المجاورة، وأبناء الصحابة ﷺ لم يكونوا يبلغون التمييز إلاّ وهم عارفون آداب الدين ملتزمون لها مثل خارجة بن زيد، وعلى هذا فلا دلالة في الأثر لأن الغلام الذي عمرُه ست سنين –وإن كان قوياً – يشق عليه أن يثب أكثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهذا هو عرض القبر عادة تقريباً.

ويشبه أن يكون قبر عثمان بن مظعون أعرض قليلاً من القبور المعتادة، ويكون خارجة أراد بذلك القول: الإخبار عن عرض القبر ليخبرهم أن السنة توسعة القبر) .

وبهذا تنقطع حجة القبوريين في جميع ما استدلوا به من وجود مظاهر القبورية في عهد السلف الصالح.

... وكذلك عثمان بن عفان ﷺ كان يأمر بتسوية القبور بما في ذلك قبر ابنته أم عمرو بنت عثمان، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصحابه مع قبر دانيال وقد مر وأما قضية الفساطيط فقد مرَّ معنا قصة عائشة في وضع فسطاط على قبر أخيها عبد الرحمن وكيف أزاله ابن عمر ولم تعترض على ذلك، وكذلك ما فعلته فاطمة بنت الحسين ومانبه به على خطئها من الهاتفين، وكيف أدخل البخاري ذلك في باب كراهية اتخاذ المساجد على القبور .

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة ﷺ (ألا يضربوا على قبره فسطاطاً)، وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري ﷺ، وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب، وقال محمد بن كعب القرظي (هذه الفساطيط التي على القبور محدثة)، وقال عمر بن شرحبيل: (لا ترفعوا جدثي فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك).

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتابعين في وضع القبور وتسويتها والمنع من عمل أي شيء يؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها . وبهذا تعرف أن القرون الثلاثة المفضلة مضت وليس هناك قبور معظمة، ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبورية،ولا شيء من طقوس ومراسيم العبادات القبورية، وما حاول فعله الرافضة من ذلك فقد جُوبِهَ بردع قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم.

ولا يقدح فيما قرره العلماء من خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية، وجود بعض قبور للخلفاء قد أبرزت وبنيَ عليها، إذ أن ذلك لم يدخل فيما قصدوه بالنفي،حيث إن الكلام هو في مشاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُقْصدون للتبرك،وذلك غير موجود في قبور الأمراء والسلاطين، على أن هذه القبور التي بُني عليها إنما كانت في القرن الثالث بعد الجولة التي ظهر فيها الرفض والتجهم أيام المأمون والمعتصم والواثق، وقد نص المؤرخون على أن أول خليفة أبرز قبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتوفى سنة (248هـ) بطلب من أمّه الرومية الأصل.

ثم بنيت عليه قبّة عرفت فيما بعد باسم القبّة الصليبية ودفن مع المنتصر فيها الخليفتان المعتز (ت 255هـ) والمهتدي (256 هـ)، وقد قرر المستشرق (هرستفيلد) أنها أول قبّة في الإسلام، وأقره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصرين، وهذا تأكيد ثان على ما سبق تقريره من أن القرون المفضلة مرت وليس فيها مشاهد ولا قباب على قبور الأئمة والأولياء ومن يُرى فيهم الصلاح. القبورية في اليمن 98–106 .

(8) شبهة : قولهم أن المسلمين عندما فتحوا البلاد وجدوا الأبنية على قبور الأنبياء فلم يهدموها، ولم يسووها بالأرض، بل تركوها كما كانت، ولو كان البناء على القبور عملا محرَّماً في الإسلام، لكان الفاتحون أول من هدم تلك الأبنية . ثم قالوا إذا كان هذا حال المسلمين الأوائل في التعامل مع المشاهد فإن حال المتأخرين منهم لا يختلف كثيرا في إقرار تلك الأبنية وتشييدها، ومما يدل عليه قول السمهودي (المتوفّى911هـ) في كتابه "وفاء الوفاء" وهو يصف بقيع الغرقد:" قد ابتنى عليها مشاهد، منها المشهد المنسوب لعقيل بن أبي طالب، وأُمّهات المؤمنين، تحوي العباس والحسن بن علي .. وعليهم قبة شامخة في الهواء، قال ابن النجار: .. وهي كبيرة عالية، قديمة البناء " .

الجواب

قولهم: إن المسلمين فتحوا كثيرا من البلاد ووجدوا قبور الأنبياء مبنية، ولم يصدر عنهم أي ردّ فعل سلبي تجاهها، فقول باطل، ومحض افتراء على الصحابة والفاتحين، ولدينا من الشواهد التاريخية ما يناقض الذي ذكروه، حيث ذكر بعض المؤرخين أن الصحابة عندما وجدوا قبر دانيال بالسوس – بلدة بإقليم الأهواز بإيران– وكان الناس يستسقون به، كتبوا إلى الخليفة عمر – رضي الله عنه – بذلك فأمرهم أن يدفنوه ويخفوا قبره ففعلوا. وذلك خشية أن يفتتن الناس به .

وأما القبر المنسوب إلى إبراهيم –عليه السلام– في الخليل من مدن فلسطين فلم يكن مبنياً زمن الفتح الإسلامي، وإنما كان موجوداً في مغارة مسدودة بلا باب، فتركه الصحابة على حاله، حتى إذا استولى النصارى على فلسطين في أواخر المائة الخامسة، بنوا عليه بناء واتخذوه كنيسة، ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الأرض اتخذه من اتخذه من المسلمين مسجداً .

وأما القول: بأن هذه المشاهد والأضرحة لم ينكرها العلماء، فهو مردود بنصوص العلماء أنفسهم الدالة على عدم جواز رفع القبر زيادة على مقدار شبر، ولا البناء عليه، ولم يقل أحد منهم بإباحته فضلاً عن استحبابه. يقول العلامة الشوكاني: "والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، ومِنْ رْفعِ القبور الداخلِ تحت الحديث دخولاً أولياً القبب والمشاهد المعمورة على القبور". وقد ذكر الإمام الشافعي في كتابه "الأم": أنه رأى الأئمة بمكة يهدمون ما بني من القبور. فكيف يقال بعد هذا أن أئمة الإسلام قد أقروا تلك الأبنية والأضرحة والمشاهد؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

(9) شبهة: احتجاجهم بأن الكثير من المسلمين في القديم والحديث يبنون على القبور، ويتخذون المشاهد والقباب، ويتحرون الدعاء عندها.

والجواب عن هذه الدعوى من وجوه :

أحدها: أن أكثر هذه المشاهد مكذوبة لا تصح نسبتها إلى أصحابها، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: (وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال إنه قبر نوح؛ فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبيّ بن كعب الذي في دمشق، اتفق العلماء على أنه كذب).

ويقول في موضع آخر: (عامة أمر هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلق، لا يكاد يوقف منه على العلم إلا في القليل منها بعد بحث شديد؛ وهذا لأن معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام .. بل قد نهى النبي ﷺ عما يفعله المبتدعون عندها ...).

ثانياً: إن البناء على القبور وتحري الدعاء عندها ونحو ذلك من البدع المنكرة التي حذّر منها الشارع أيما تحذير، كما في قوله ﷺ : { لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذّر ما صنعوا } متفق عليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد كان من قبور أصحاب رسول بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون، ومن بعدهم من الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره ولا به، ولا استنصروا عنده ولا به. ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه، ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف، تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جُهّالهم).

ويقول ابن القيم مبيّناً أن صنيع القبوريين مفارق لما كان عليه سلف الأمة: (هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم [أي: السلف الصالح] بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلاً أن يصلّوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم، فليوقفونا على أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك ...).

يقول الصنعاني جواباً عن هذه الشبهة: (إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوالم جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل؛ فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها، ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل بلدته يلقنونه: أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون له، ويرحلون إلى محل قبره... فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير... ولا يخفى على أحد يعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر أن سكوت العالم على وقوع المنكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر).

ويقول الشوكاني: (اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة . رضي الله عنهم . إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين).

ثالثاً: أن سكوت العلماء عن هذه المظاهر الشركية والبدعية عند المشاهد والقبور لا يعني الرضا والإقرار، فقد يتعذر عليهم الإنكار باليد وباللسان، ولم يبق لهم إلا الإنكار بالقلب، لاسيما وهذه المشاهد والقباب قد بناها حكام وسلاطين؛ كما يقول الصنعاني: (فما كل سكوت رضي؛ فإن هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلامه، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد. فإن هذه القباب والمشاهد أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، وغالب . بل كل . من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة إما على قريب لهم، أو على من يحسنون الظن فيه...).

ومما يبين تهافت هذه الدعوى: ما نقل عن علماء أنكروا هذا الصنيع وحذّروا منه كما أسلفنا .

رابعاً: كذلك احتجاجهم على صحة البناء على القبور بما حدث في العصور المتأخرة من البناء عليها وتشييدها فهو استدلال بموضع النزاع، إذ أن هذا هو ما ننكره ونراه خروجا عن الشرع، فكيف يحتج به على

الجواز، وكان الأولى بهم أن يرجعوا إلى عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وعهد الصحابة حيث لم يكن على عهدهم مشهد مبني على قبر نبي، ولا قبر غيره. ولم يزد ارتفاع قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – وصاحبيه أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – عن مقدار شبر، فعن غنيم بن بسطام قال: رأيت قبر النبي –صلى الله في إمارة عمر بن عبد العزيز، فرأيته مرتفعاً نحوا من أربع أصابع، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره، ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه" رواه الآجري في كتابه "صفة قبر النبي ".

(9) شبهة : احتجاجهم ببناء الأضرحة في البقيع :

الجواب :

1– استفاضت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم –كما أسلفنا– في الصحاح والسنن والمسانيد في النهي عن رفع القبور والبناء عليها وتجصيصها واتخاذها مساجد وتسوية ما رفع منها .

فتضمنت الأحاديث على تحريم هذه الأعمال ولعن فاعليها، وأنهم شرار الخلق عند الله ، وفي هذه الأحاديث دلالة على شدة خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من أن ترتكب ما ارتكبته الأمم قبلها من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، فقد نهى عن ذلك أولاً، ثم نهى عنه قبل أن يموت بخمس ليال، ثم لعن وهو في السياق من فعل ذلك كما سبق .

2– فبناء المساجد والقباب على قبور الأنبياء والصالحين من الصحابة والتابعين وأهل البيت المكرمين لقرابتهم من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، بناؤها من المحدثات في الدين، وقد حدثت في هذه الأمة بعد القرون المفضلة في القرن الرابع في دولة بن بويه الرافضية – كما سبق – ، وورث ذلك عنهم فرق الرافضة، فبنيت المشاهد على قبور الأئمة الحقيقية والوهمية ، وقبر الحسين في كربلاء، وقبر موسى الكاظم في الكاظمية في العراق ، وما يعرف بقبر السيدة زينب في سوريا، إلى غير ذلك .

3– وانتقلت هذه البدعة من الرافضة إلى فرق الصوفية في العالم الإسلامي، فلم يسلم من هذا المنكر العظيم والشر المستطير إلا القليل من بلاد المسلمين، حتى مكة والمدينة أفضل بلاد الله قد كانت فيها القباب على بعض القبور في البقيع والمعلاة، ولكن الله طهرهما من معالم البدعة والوثنية على يد الدولة

السعودية السنية السلفية في النصف الأول من القرنين الثالث عشر والرابع عشر، كما تطهر كثير من نواحي الجزيرة العربية.

الخلاصة أن بناء الأضرحة في البقيع وغيره لم يكن من فعل الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم، ولكن من فعل الفرق الضالة والمنحرفة، كالشيعة والصوفية وغيرهم ... وذلك لأن من طقوسهم البدعية والشركية هو تعظيم أصحاب هذه القبور .

(10) شبهة أنهم لا يعبدون أصحاب القبور ولكن يتبركون بهم :

ففي سؤال وجه لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله– يقال : إن المشركين الأولين كانوا يعترفون بأنهم ما يعبدون آلهتهم إلا ليقربوهم إلى الله، وكانوا يعبدون أصناماً، فكيف تحكمون على من تسمونهم بالقبوريين بالشرك، وهم لا يعبدون أصناماً، ولا قالوا إنهم يعبدون، ولكنهم يتبركون ؟ .

أجاب رحمه الله :

العبادة ليست تعرف بآراء الناس وإنما هي بحكم الله عز وجل، فالمشركون الأولون معبوداتهم أقسام، منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد غير ذلك. فليسوا على حد سواء، وقد كفرهم الله جميعا حتى يدخلوا في دين الله، وحتى يعبدوا الله وحده، قال تعالى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} {آل عمران 80} . فجعل عباد النبيين والملائكة كفاراً، إذا لم ينصاعوا إلى الحق، ومعلوم أن أهل الطائف يعبدون اللات، وهو رجل صالح فكفرهم الله، حتى دخلوا في الإسلام، وقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخلوا في الإسلام، وهكذا النصارى يعبدون المسيح، ويعبدون أمه، والمسيح نبي، وأمه صديقة، وهم كفار بذلك، وهكذا اليهود عبدوا أحبارهم ورهبانهم وعبدوا عزيراً، وقالوا: إنه ابن الله، وهم كفار بذلك، والله جل وعلا قال في محكم التنزيل: {قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً {56} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا {57} {سورة الإسراء} أخبر سبحانه عن بعض المشركين أنهم يعبدون ناساً صالحين يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، فأنكر عبادتهم من دون الله، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويله .

وقد قال علماء التفسير في هذه الآية : إنها نزلت في المسيح وأمه والعزير، وفي كل رجل صالح أو نبي .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنها نزلت في أناس من الإنس، كانوا يعبدون ناسا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك الإنس بعبادتهم) .

فالحاصل أنها نزلت في الصالحين والأنبياء، وكفر الله عابديهم بذلك، وأخبر أنهم لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويله .

وقال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ {13} إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ {14}} {سورة فاطر} فسمى دعاءهم لهم شركاً، مع أنهم لم يدعوهم إلا لأنهم شفعاء، ما دعوهم لأنهم يملكون الضر والنفع، أو يخلقون أو يرزقون، بل قال الله عنهم: إنهم قالوا {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} {الزمر آية 3}وقالوا {هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ} {يونس آية 18}فكفرهم بذلك، وهم لم يعتقدوا إلا أنهم شفعاء ومقربون، ولم يزعموا أنهم يخلقون أو يرزقون، أو ينفعون أو يضرون .

وقال تعالى : {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ { }سورة المؤمنون آية 117} سماهم كفاراً وهم ما عبدوهم لأنهم ينفعون أو يضرون، أو يستقلون بجلب النفع، أو دفع الضر، أو يخلقون، وإنما عبدوهم لأنهم بزعمهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده . وقال سبحانه وتعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ {5} وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ {6}} {سورة الأحقاف {فهذه عامة للأنبياء والصالحين وغيرهم .

والمقصود أن أهل العلم قاطبة، قد أجمعوا على أن من عبد غير الله: صنماً أو نبياً أو صالحاً أو جنياً أو غير ذلك، فهو كافر مطلقاً، والأدلة على ذلك من قول الله عز وجل، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم واضحة، وقد تقدم بعضها، والله جل وعلا ولي التوفيق[1] .

(11) **شبهة : قولهم بأن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك**، وهم يريدون بذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي بصير ﷺ حيث ذكر قصة مجيئه إلى النبي ﷺ بعد صلح الحديبية، وإرسال المشركين يطلبون إرجاعه إليهم وكيف سلَّمه إليهم، ثم قتل أبو بصير ﷺ أحد الرسولين ثم خرج إلى سيف البحر ومكث هناك، ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو وجماعة من المسلمين، وأنهم شكَّلوا عصابة لقطع الطريق على المشركين والاستيلاء على قوافلهم، حتى أرسل المشركون للنبي ﷺ يرجونه قبولهم لديه فأرسل النبي ﷺ إليهم كتاباً بذلك، فجاء الكتاب وأبو بصير ﷺ في حال الموت، فمات وكتاب رسول ﷺ على صدره فصلى عليه أبو جندل.

والقصة إلى هنا– في البخاري وغيره– مُسنَدة، غير أن فيما ساقه ابن عبد البر زيادة ((وبنى على قبره مسجداً))، وهذا موضع الشاهد الذي احتجَّ به القبوريون كما فعل الغماري في رسالته إحياء المقبور حيث

1– مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الجزء الثالث، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.
http://www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=bz00378

قال: (الدليل الثامن: أن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ) ثم ساق القصة عن الاستيعاب وفيها تلك الزيادة.

الجواب

ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب ولكنه ساق القصة من طريق عبد الرزاق عن معمر – قال الزهري في حديثه – : غير أن عبد الرزاق لم يذكر موضع الشاهد وإنما وقف عند قوله: (فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم، إلاّ أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم)، وإلى هنا ساق القصة ابن عبد البر ثم قال: (وذكر موسى بن عقبة هذا الخبر في أبي بصير بأتم ألفاظٍ وأكمل سياقه)، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشاهد (فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً) .

فأنت ترى أن ابن عبد البر فرَّق بين رواية عبد الرزاق الموصولة الصحيحة وبين هذه الرواية التي نقلها عن موسى بن عقبة، وقد دمجها الغماري تدليساً على القارئ ليتوهم أن القصة كلها بذلك الطريق الصحيح المسند والواقع خلاف ذلك .

فالجواب عن هذه الشبهة من الحيثيتين التاليتين:

• **الحيثية الأولى من حيث السند:** فإنَّ القصة التي أوردها ابن عبد البر في «الاستيعاب» بدون زيادة « وَبَنَى عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا» ضعيفة لا تقوم بها حُجَّة لكونها مرسلة؛ لأنَّ مدار هذه القصة على الزهري على اعتبار أنه تابعي صغير سمع من أنس بن مالك رضي الله عنه وإلاَّ فهي معضلة.

أمَّا الزيادة في موضع الشاهد في قوله: « وبنى على قبره مسجدًا » فهي زيادة منكرة لعلتين:

العلة الأولى: كونها مُعضلة فقد صرَّح ابن عبد البرّ بأنها من رواية موسى بن عقبة(«الاستيعاب» لابن عبد البر: (1613/4))، وليس من مرسل الزهري ولا من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه، ولا نشك في أنَّ موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي ثقة فقيه إمام في المغازي، إلاَّ أنَّه من صغار التابعين ولم يسمع أحدًا من الصحابة(«ميزان الاعتدال» للذهبي: (214/4)، «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (362/10)، «تقريب التهذيب» لابن حجر: (286/2))، وقد قال الإسماعيلي في كتاب «العتق» إنه لم يسمع موسى بن عقبة من الزهري شيئًا(«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (362/10)).

العلة الثانية: أنَّ تلك الزيادة لم يروها الثقات، فقد روى البخاري في كتاب «الشروط» من صحيحه، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (329/5)، وأحمد في «مسنده» (328/4) وغيرهما هذه القصة موصولة من طريق عبد الرزاق عن معمر، قال: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بها دون هذه الزيادة.

قال الألباني رحمه الله: «وكذلك أوردها ابن إسحاق في "السيرة" عن الزهري مرسلاً كما في "مختصر السيرة" لابن هشام (3/331-339) ووصله أحمد (4/323-326) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عروة به مثل رواية معمر وأتم، وليس فيها هذه الزيادة، وكذلك رواه ابن جرير في تاريخه (3/271-285) من طريق معمر وابن إسحاق وغيرهما عن الزهري به دون هذه الزيادة فدلَّ ذلك كُلّه على أنها زيادة منكرة لإعضالها، وعدم رواية الثقات لها»(«تحذير الساجد» للألباني: (119)).

لذلك فالحديث ليس له إسناد تقوم به الحجة، ولم يروه أصحاب «الصحاح» و«السنن» و«المسانيد» وغيرهم، وإنما أورده ابن عبد البر في ترجمة أبي بصير رضي الله عنه مرسلاً والزيادة فيه منكرة -كما تقدم- .

- **الحيثية الثانية:**

من حيث فرض صحة الزيادة موضع الشاهد في القصة المذكورة، والتي استُدلَّ بها على إقراره صلى الله عليه وآله وسلم على بناء أبي جندل رضي الله عنه مسجدًا على قبر أبي بصير رضي الله عنه فيمكن الجواب عنها من جهتين:

الجهة الأولى: عدم التسليم بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرَّ هذا البناء؛ لأن الفعل -في ذاته- لم يكن واقعًا بين يديه، وإنما وقع في زمانه، وهو خفي غير مشتهر حتى يعلم به، إذ من شرط الإقرار الذي هو حُجَّة هو أن يعلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون قادرًا على الإنكار، وأن لا يكون قد بَيَّن حكمه قبل ذلك بيانًا شافيًا يسقط عنه وجوب الإنكار كما قرَّره أهل الأصول(ه- انظر: «مفتاح الوصول» للشريف التلمساني: (437) بتحقيقي. دار تحصيل العلوم).

قلت: فإن لم يعلم أنّه بيَّن حكمه قبل العلم به والسكوت عنه فقد بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم حكمه بعد ذلك بيانًا شافيًا في الأحاديث الصحيحة المحكمة التي تقدم ذكرها في شبهته بآية سورة الكهف.

الجهة الثانية: في حالة التسليم -جدلاً- بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم ببناء أبي جندل رضي الله عنه المسجد على قبر أبي بصير رضي الله عنه وأقرَّه على ذلك فإنه يتعارض -حتمًا- مع النصوص الحديثية الصريحة في تحريم البناء على القبور، والمعلوم -حال التعارض- أنَّ من طُرُق دفعه إذا تعذَّر وجود ناسخ بالنصِّ صار الناظر إلى الجمع والتوفيق بين الدليلين المتعارضين فإن تعذَّر الجمع صار إلى النسخ الاحتمالي، وإلاَّ دَفَع التعارض بترجيح أقوى الدليلين، وفي هذا المقام -وعلى فرض صحة الزيادة موضع الشاهد- فإنه يظهر جليًّا قَبول مدلولهما للنسخ الاحتمالي للعلم بتاريخهما وتفاوت المدة بينهما، إذ أنَّ الأحاديث الصريحة في تحريم البناء على القبور ثبتت في آخر حياته بخلاف الزيادة المذكورة فكانت متقدِّمة عنها، ونسخ المتقدم بالمتأخر متحقق بمعرفة تاريخ كل منهما، وعليه فلا يصح ترك النص المتأخر للمتقدم عند حصول التعارض بينها على ما تقرر أصوليًّا. فقصة أبي بصير قبل السنةِ الثامنة سنةِ الفتح، والأحاديث الناهية عن اتخاذ المساجد على القبور في آخر أيام النبي ﷺ، بعضها

قبل موته ﷺ بخمسة أيام وبعضها وهو محتضر فهي ناسخة لتلك القصة وبهذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة .

هذا، وعلى تقدير عدم معرفة التاريخ أو عدم الأخذ بمبدأ النسخ الاحتمالي فإنه يصار إلى الترجيح بين الدليلين المتعارضين، وبغض النظر عن مآل ترجيح الأحاديث الصحيحة والصريحة في النهي والحظر بقوة سندها، فإنها ترجح أيضًا من جهة مدلولها ومتنها، ويظهر ذلك من الجهتين الأصوليتين الآتيتين:

1- من جهة المدلول:

إذا تعارض حاظر ومبيح يُقدَّم الحاظر على المبيح، والأحاديث الصحيحة والصريحة في بناء المساجد على القبور تفيد التحريم والحظر، بينما زيادة «وبنى على قبره مسجدًا» يفيد الإقرار عنه الجواز والإباحة، وقد تقرَّر عند الأصوليين أنَّ الدليل الحاظر مُقدَّم على المبيح؛ لأنَّ في التحريم دفعَ مفسدة ملازمة للفعل أو تقليلها بخلاف الجواز والإباحة فقد تحصل بها مصلحة أو تكمّلها، ولا يخفى اهتمام الشريعة وعنايتها بدرء المفاسد وآكديتها من جلب المصالح، ومن جهة أخرى إذا كان الوجوب مُقدَّمًا على الإباحة، والحظر مقدمًا على الوجوب على أرجح الأقوال، فمن بابٍ أولى تقديم الحظر على الإباحة والجواز، إذ ترك المباح لاجتناب المحرم أولى من العكس؛ ولأنَّ في التحريم مفسدة وعقابًا بخلاف الإباحة.

2- من جهة المتن:

إذا تعارض القول مع الإقرار يقدَّم القول عليه؛ لأنه أقوى وأبلغ في البيان من الإقرار والسكوت، ولأنه إذا كان قوله صلى الله عليه وآله وسلم أوكد من فعله إذ طاعته صلى الله عليه وآله وسلم في أمره أولى من موافقته في فعل لم يأمرنا بموافقته فيه، وتقرير هذا الحكم في تقديم القول على الفعل يقع من باب أولى على إقراره وسكوته.

فالحاصل أنَّ التمسُّك بقصة بناء أبي جندل رضي الله عنه على قبر أبي بصير رضي الله عنه مسجدًا شبهة غاية في الضعف والسقوط من المناحي السالفة البيان، والاستدلال بها إنما يستقيم على طريقة أهل الأهواء من الماضين والمعاصرين برد النصوص المحكمات بالمتشابهات، نعوذ بالله من الخذلان [1].

أيضا من ناحية المتن: في اللفظ الذي ذكره ابن عبد البر (وبنى على قبره مسجداً)، هذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفاظ، روَوه بلفظ: (وجعل عند قبره مسجداً)، وهم: البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخه وتقدم العزْو إليهما، والثالث الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال في شرح الحديث الذي ساقه البخاري في كتاب الشروط من صحيحه: (وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري فكتب رسول الله ﷺ إلى

1- الرد على شبهة قبوري متمسِّك بقصة بناء أبي جندل مسجدا على قبر أبي بصير /الشيخ محمد علي فركوس .
http://ferkous.com/rep/M37.php

أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً) .

وظاهر أن (عند قبره) يختلف قطعاً عن (على قبره)، فبناء المسجد على القبر هو الذي فيه النزاع، والذي قد وردت الأحاديث بتحريمه ولعن فاعله، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد الباني وليس فيه نهي لذاته فلو فرضنا أن هذا اللفظ صحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية [1].

(12) شبهة قولهم إن دعاء الأموات ليس عبادة لهم و ليست شركا بالله .

الجواب :

هذا القول ناتج عن الانحراف في مفهوم العبادة، حيث حصرت العبادة لدى البعض في عدة أعمال ظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها، وبعض الأعمال القلبية، وبناء على ذلك أخرجوا الدعاء والاستغاثة من مفهوم العبادة، فقالوا: إن الدعاء والاستغاثة، ونداء الأولياء وطلب المدد منهم عند البلاء ليست هذه الأمور من العبادة في شيء، ولا من الشرك بالله؛ لأن العبادة لا تتحقق إلا إذا اعتقد في غير الله القدرة الكاملة الذاتية والاستقلال بالنفع والضر، والربوبية، ونفوذ المشيئة لا محالة، وإذا كان الأمر كذلك فمن استغاث بالأولياء ودعاهم لدفع الضر وجلب النفع، وطلب منهم المدد فهو لم يعبد غير الله. وإذا لم يعبد غير الله لم يشرك به أيضًا. إن إخراجهم هذه الأشياء كونها من العبادة باطل شرعًا . **ويُكتفى هنا بالردود على بعض هذه الأفكار بما يلي:**

أولاً: إن هذا القول يصادم النصوص الواضحة التي سمت دعاء المسألة عبادة، وهي كثيرة: فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «الدعاء هو العبادة» [2].

ثانيًا: إن أكثر استعمال الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان العرب ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب. ومن الأدلة على ذلك: صنيع المؤلفين من المحدثين وغيرهم، حيث يعقدون في كتبهم بباب الدعوات أو كتاب الدعوات أو مثل هذه العبارة، ثم يوردون ما يتعلق بدعاء المسألة فقط. وأغلبهم لا يتعرضون لدعاء العبادة في تلك الكتب والأبواب.

2- القبورية في اليمن 98-106 .

2- أخرجه ابن المبارك في (الزهد) (151/10) والبخاري في (الأدب المفرد) رقم (714) وأبو داود ((1/ 551- بشرح العون) والترمذي (178،223/4) وابن ماجه (428/2-429) وابن حبان (2396) والحاكم (491/1) وابن منده في (التوحيد) (ق1/69) وأحمد (167،271،276،277/4) وقال الحاكم: (صحيح الإسناد) ووافقه الذي وهو كما قالا،وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).وهو مخرج في "أحكام الجنائز" (ص246/المعارف)، و"صحيح أبي داود" (1329)، و"الروض النضير"(888) ، انظر الصحيحة 2654.

ومثل هؤلاء آخرون الذين أفردوا كتبًا خاصة بالدعاء وهي كتب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين، لم يذكروا في تلك الكتب إلا ما يتعلق بدعاء المسألة. فهذا يدل على أن الاستعمال لكلمة الدعاء في لسان المصنفين من العلماء إنما هو دعاء المسألة.

ثالثًا: لو سلمنا أن المراد بالدعاء في الآيات: دعاء العبادة، لا نُسلِّم بأن دعاء المسألة لا يدخل في العبادة، فإنه إن لم يكن الدعاء من العبادة فلا عبادة يمكن تصورها؛ لأن الدعاء يتضمن أنواعًا من العبادات وليس عبادة واحدة فقط، فهو يتضمن الرجاء والخوف والتوكل والتضرع والابتهال والخشية والطمع والتوجه إلى الله، والإقبال عليه، والانطراح بين يديه، وحسن الظن بالله والمراقبة لله، كما أنه يتضمن سؤاله وذكره وثناءه والتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

فإذا لم تكن هذه الأمور عبادة فلا يمكن أن نتصور عبادة، وقد وردت الأدلة الصحيحة بأن الدعاء هو العبادة وأنه مخها وروحها، فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادات.

فتحصّل من هذا أن الدعاء داخل في العبادة، وأن الآيات والأحاديث الواردة في العبادة والتحذير من صرفها لغير الله تعالى تشمل وتعم جميع أنواع العبادات ومن أجلّها دعاء المسألة ... فلا ينفع الخصم تأويل معنى الدعاء إلى العبادة وتضييقه لمفهوم العبادة حيث يظن أنها خاصة بالصلاة والصوم والحج .

وما وقع من وقع في الشبهة المذكورة إلا لحصره العبادة في بعض الأعمال الظاهرة ... فمن عرف أنواع العبادة يعرف جيدًا أن هذه الشبهة ما تطرق إلى الأذهان إلا لقلة العلم وعدم معرفة مقاصد الشرع ومفهوم الشرع في العبادة [1].

(13) شبهة: حينما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم دفن في حجرته، وكانت عائشة رضي الله عنها تسكن في تلك الحجرة لأنها حجرتها، فكيف كانت تصلي مع وجود القبر؟.وكيف الرد على من استدل بالصلاة عند القبر بفعل عائشة ضي الله عنها ؟

الجواب

حجرة عائشة رضي الله عنها لم تكن مكونة من قسم واحد فقط بل تحتوي على أقسام، فقبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر في قسم مستقل عن قسم المعيشة في حجرة عائشة رضي الله عنها.

2- من كتاب الشرك فى القديم و الحديث .

– جاء في صحيح البخاري وغيره عَن عائشة قالت : كانَ النبي يُصلي مِن الليل في حجرته ، وجدار الحجرة قَصير ، فرأى الناس شَخْص النبي (فقام أُناسٌ يُصلونَ بصلاته ...) .

– وجاء في فتح الباري . لابن رجب – (ج4/ص281): معنى (يحتجره)– أي: يتخذه كالحجرة، فيقيمه ويصلي وراءه. وهذا هوَ المراد بالحجرة المذكورة في الحديث الذي قبله، ليسَ المراد حجرة عائشة التي كانَ يسكن فيها هوَ وأهلهُ ؛ فإنَّ حجر أزواج النبي صلى كانت لها جدرات تحجب مِن كانَ خارجاً منها أن يرى مِن في داخلها.

– أخرج الحاكم في مستدركه (7/4) بإسناده الصحيح: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها قالت :« كنت أدخل البيت الذي دفن معهما عمر، والله ما دخلت إلا وأنا مشدود علي ثيابي حياء من عمر رضي الله عنه ». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

فهذا دليل على اختلاف المكان الذي كانت تعيش فيه عن مكان القبر في نفس الحجرة.

– وفي صحيح البخاري: حدثنا (عبد الله بن يوسف) قال أخبرنا (مالك) عن (هشام بن عروة) عن أبيه عن (عائشة) أم المؤمنين أنها قالت صلى رسول الله في بيته وهو شاك فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما..

قال ابن حجر في فتح الباري: قوله في بيته أي في المشربة التي فى حجرة عائشة كما بينه أبو سفيان عن جابر وهو دال على أن تلك الصلاة لم تكن في المسجد وكأنه صلى الله عليه و سلم عجز عن الصلاة بالناس في المسجد فكان يصلي في بيته بمن حضر لكنه لم ينقل أنه استخلف ومن ثم قال عياض أن الظاهر أنه صلى في حجرة عائشة وائتم به من حضر عنده ومن كان في المسجد وهذا الذي قاله محتمل.ا.هـ.

–و عائشة – رضي الله عنها – كانت قد أقامت جدارا بين حجرتها وبين القبور، فكانت غرفة عائشة فيها قسمان قسم فيه القبر، وقسم هي فيه. فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه، ودفن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الشمال، كانت أيضا في ذلك الجزء من الحجرة، ولما دفن عمر – رضي الله عنه – تركت الحجرة رضي الله عنها، ثم أغلقت الحجرة، فلم يكن ثم باب فيها يدخل منه إليها، وإنما كانت فيها نافذة صغيرة .

– وفي مسند أحمد – (ج 6/ ص202): 25701 – حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حماد بن أسامة قال حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم وأبي فاضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي فلما دفن عمر معهم فو الله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر) تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

– الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج2/ ص294) قال : ثنا موسى بن داود ، قال : سمعت مالك بن أنس ، يقول : « قسم بيت عائشة قسمين : قسم كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وقسم كانت هي فيه فكانت تدخله وهي فضل ، فلما دفن عمر لم تدخله ، إلا وهي جامعة عليها ثيابها » .

أخبرنا سعيد بن سليمان، أخبرنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم قال: سمعت أبي يذكر قال: كانت عائشة تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع.

فتح الباري لابن حجر – (ج 10 / ص 498) .

– وفي طبقات إبن سعد أيضاً (307/2) : أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي المكي، أخبرنا مسلم بن خالد، حدثني إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمي عن أبيه قال: انهدم الجدار الذي على قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، في زمان عمر بن عبد العزيز فأمر عمر بعمارته، قال: فإنه لجالس وهو يبنى إذ قال لعلي بن حسين: قم يا علي فقم البيت، يعني بيت النبي، صلى الله عليه وسلم، فقام إليه القاسم بن محمد فقال: وأنا أصلحك الله! قال: نعم وأنت فقم، ثم قال له سالم بن عبد الله: وأنا أصلحك الله! قال: اجلسوا جميعا وقم يا مزاحم فقمه، فقام مزاحم فقمه، قال مسلم: وقد أثبت لي بالمدينة أن البيت الذي فيه قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بيت عائشة وأن بابه وباب حجرته تجاه الشام وأن البيت كما هو سقفه على حاله وأن في البيت جرة وخلق رحاله.

وفي طبقات إبن سعد أيضا (307/2) : أخبرنا سريج بن النعمان عن هشيم، أخبرني رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سقط حائط قبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في زمن عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ على المدينة في ولاية الوليد، وكنت أول من نهض فنظرت إلى قبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا ليس بينه وبين حائط عائشة إلا نحو من شبر، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة.

– وفي الطبقات الكبرى لابن سعد أيضاً (ج3/ص36) قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المدني قال: حدثني أبي عن يحيى بن سعيد وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية عن عائشة قالت: ما زلت أضع خماري وأتفضل في ثيابي في بيتي حتى دفن عمر بن الخطاب فيه، فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جدارا فتفضلت بعد . قالا: ووصفت لنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وقبر عمر، وهذه القبور في سهوة بيت عائشة.

– وفي سبل الهدى والرشاد – (ج3/ ص 394) : **قال محمد بن عمر:** فحدثت بهذا الحديث معاذ بن محمد الأنصاري فقال: " سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر الشريف والمنبر المنيف: أدركت حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (من جريد على أبوابها

المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم)، فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم. قال عطاء:" فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التفاخر والتكاثر "[1].

(14) شبهة: قولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الخيف وقد ورد في الحديث أن فيه قبر سبعين نبيا .

الجواب :

أننا لا نشك في صلاته صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد ولكننا نقول: إن ما ذكر في الشبهة من أنه دفن فيه سبعون نبيا لا حجة فيه من وجهين :

الأول: أننا لا نسلم صحة الحديث المشار إليه، لأنه لم يروه أحد ممن عني بتدوين الحديث الصحيح، ولا صححه أحد ممن يوثق بتصحيحه من الأئمة المتقدمين، ولا النقد الحديثي يساعد على تصحيحه فإن في إسناده من يروي الغرائب، وذلك مما يجعل القلب لا يطمئن لصحة ما تفرد به قال الطبراني في معجمه الكبير (2/204/3): "حدثنا عبدان بن أحمد نا عيسى بن شاذان نا أبو همام الدلال نا إبراهيم بن طمهان عن منصور عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا بلفظ : في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا " .

وأورده الهيثمي المجمع (298/3) بلفظ : " . . . قبر سبعون نبيا" . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

وهذا قصور منه في التخريج فقد أخرجه الطبراني أيضا كما رأيت .

ورجال الطبراني ثقات أيضا غير عبدان بن أحمد وهو الأهوازي كما ذكر الطبراني في المعجم الصغير (ص136) وليس له ترجمة، وهو غير عبدان بن محمد المروزي وهو من شيوخ الطبراني أيضا في الصغير (ص136) وغيره وهو ثقة حافظ له ترجمة في تاريخ بغداد (135/11) وتذكرة الحفاظ (230/2) وغيرها .

لكن في رجال هذا الإسناد من يروي الغرائب مثل عيسى بن شاذان قال فيه ابن حبان في الثقات : يغرب .

وإبراهيم بن طمهان قال فيه ابن عمار الموصلي : ضعيف الحديث مضطرب الحديث .

2- الإسلام سؤال وجواب http://www.islam-qa.com/ar/ref/135443.

وهذا على إطلاقه وإن كان مردودا على ابن عمار فهو يدل على أن في حديث ابن طهمان شيئا ويؤيده قول ابن حبان في ثقات أتباع التابعين (1/2) : أمره مشتبه له مدخل في الثقات ومدخل في الضعفاء وقد روى أحاديث مستقيمة تشبه أحاديث الأثبات وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلان .

ولذلك قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة يغرب وشيخ منصور وهو ابن المعتمر ثقة وقد روى له ابن طهمان حديثا آخر في مشيخته (2/244) فالحديث من غرائبه أو من غرائب ابن شاذان .

وقد يكون الحديث تحرف على أحدهما فقال: " قبر" بدل "صلى" لأن هذا اللفظ الثاني هو المشهور في الحديث فقد أخرج الطبراني في الكبير (1551/3) بإسناد رجاله ثقات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا: (صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا...) الحديث وكذلك رواه الطبراني في الأوسط (2/119/1زوائده) وعنه المقدسي في المختارة (2/249) والمخلص في الثالث من السادس من المخلصيات (1/70) وأبو محمد بن شيبان العدل في الفوائد (2/222/2) وقال المنذري (116/2) : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

ولا شك في حسن الحديث عندي فقد وجدت له طريقا أخرى عن ابن عباس رواه الأزرقي في أخبار مكة (ص35) عنه موقوفا عليه وإسناده يصلح للاستشهاد به كما بينته في كتابي الكبير حجة الوداع (ولم ينجز بعد) . ثم رواه الأزرقي (ص38) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم عن عبد الله بن عباس به موقوفا . فهذا هو المعروف في هذا الحديث والله أعلم .

الثاني: أن الحديث ليس فيه أن القبور ظاهرة في مسجد الخيف وقد عقد الأزرقي في تاريخ مكة (406 -410) عدة فصول في وصف مسجد الخيف فلم يذكر أن فيه قبورا بارزة ومن المعلوم أن الشريعة إنما تبنى أحكامها على الظاهر فإذا ليس في المسجد المذكور قبور ظاهرة فلا محظور في الصلاة فيه البتة لأن القبور مندرسة ولا يعرفها أحد بل لولا هذا الخبر الذي عرفت ضعفه لم يخطر في بال أحد أن في أرضه سبعين قبرا ولذلك لا يقع فيه تلك المفسدة التي تقع عادة في المساجد المبنية على القبور الظاهرة والمشرفة [1] .

(15) شبهة: ما ذكر في بعض الكتب أن قبر إسماعيل عليه السلام وغيره في الحجر من المسجد الحرام وهو أفضل مسجد يتحرى فيه .

الجواب :

1- الشيخ الألباني / تحذير الساجد / ص68 (بتصرف يسير) .

لا شك أن المسجد الحرام أفضل المساجد والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، ولكن هذه الفضيلة أصلية فيه منذ رفع قواعده إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ولم تطرأ هذه الفضيلة عليه بدفن إسماعيل عليه السلام فيه لو صح أنه دفن فيه، ومن زعم خلاف ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وجاء بما لم يقله أحد من السلف الصالح رضي الله عنهم ولا جاء به حديث تقوم الحجة به .

فإن قيل: لا شك فيما ذكرت ودفن إسماعيل فيه لا يخالف ذلك، ولكن ألا يدل هذا على الأقل على عدم كراهية الصلاة في المسجد الذي فيه قبر؟

فالجواب: كلا ثم كلا وهاك البيان من وجوه :

الأول: أنه لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة، كالكتب الستة ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها، وغاية ما وري في ذلك من آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في أخبار مكة (ص39 و219 و220) فلا يلتفت إليها وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات. ونحو ذلك ما أورد السيوطي في الجامع من رواية الحاكم في الكنى عن عائشة مرفوعا بلفظ :إن قبر إسماعيل في الحجر .

الوجه الثاني : أن القبور المزعوم وجودها في المسجد الحرام غير ظاهرة ولا بارزة ولذلك لا تقصد من دون الله تعالى فلا ضرر من وجودها في بطن أرض المسجد، فلا يصح حينئذ الاستدلال بهذه الآثار على جواز اتخاذ المساجد على قبور مرتفعة على وجه الأرض لظهور الفرق بين الصورتين، وبهذا أجاب الشيخ على القاري رحمه الله تعالى فقال في مرقاة المفاتيح (456/1) بعد أن حكى قول : وذكر غيره أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب وأن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا .

قال القاري : وفيه أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام وغيره مندرسة فلا يصلح الاستدلال .

وهذا جواب عالم نحرير وفقيه خريت وفيه الإشارة إلى ما ذكرناه آنفا وهو أن العبرة في هذه المسألة بالقبور الظاهرة وأن ما في بطن الأرض من القبور فلا يرتبط به حكم شرعي من حيث الظاهر بل الشريعة تنزه عن مثل هذا الحكم لأننا نعلم بالضرورة والمشاهدة أن الأرض كلها مقبرة الأحياء كما قال تعالى: {ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا} . قال الشعبي : بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم .

... ومن البين الواضح أن القبر إذا لم يكن ظاهرا غير معروفا مكانه فلا يترتب من وراء ذلك مفسدة كما هو مشـاهد حيث ترى الوثنيات والشـركيات إنما تقع عند القبور المشـرفة حتى ولو كانت مزورة لا

عند القبور المندرسة ولو كانت حقيقة فالحكمة تقتضي التفريق بين النوعين وهذا ما جاءت به الشريعة كما بينا سابقا فلا يجوز التسوية بينهما[1] .

(16) شبهة : استدلالهم بما حكاه الإمام مالك رضي الله عنه عندما ذكر اختلاف الصحابة في مكانِ دَفْنِ الحبيب صَلَّى الله عليه وآله وسلم فقال: «فقال ناسٌ: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: يدفن بالبقيع، فجاء أبو بكر الصديق فقال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلاَّ فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوُفِيَّ فِيهِ فَحفرَ لَهُ فِيهِ» رواه مالك في «الموطأ»: (231/1).

ووجه الاستدلال أنَّ أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم اقترحوا أن يدفن صَلَّى الله عليه وآله وسلم عند المنبر وهو داخل المسجد قطعًا، ولم ينكر عليهم أحدٌ هذا الاقتراح، بل إنَّ أبا بكر رضي الله عنه اعترض على هذا الاقتراح ليس لحرمة دفنه صَلَّى الله عليه وآله وسلم في المسجد، وإنما تطبيقًا لأمره صَلَّى الله عليه وآله وسلم بأن يُدفن في مكانِ قَبْضِ روحه الشريف صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

الجواب :

– ما استندوا إليه من حديث مالكِ بن أنسٍ -رحمه الله- ... فإنما أورده مالك -رحمه الله- في «الموطأ» بلاغًا منقطعًا دون إسناد، وجاء في سياقه «أنه بلغه أنَّ رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم توفي يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء وصَلَّى الناس عليه أفذاذًا، لا يؤمُّهم أحد، فقال ناس: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: يدفن بالبقيع، فجاء أبو بكر الصديق فقال: سمعت رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم يقول: مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلاَّ فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ..» «موطأ مالك بشرح تنوير الحوالك» للسيوطي: (229/1-231).).

وهذا الحديث معضلٌ، قال الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله-: «هذا الحديث لا يُروى على هذا النسق بوجه من الوجوه غير بلاغ مالكٍ هذا، ولكنه صحيح من وجوه مختلفة وأحاديثُ شتى جمعها مالك» «التمهيد» لابن عبد البر: (398/24-399).)، ثم تناول الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- الحديث ببيان جميع شواهد فقراته ما عدا تلك المتعلقة بالدفن عند المنبر فلم يذكر لها ما يشهد لها بالصحة.

1- الشيخ الألباني / تحذير الساجد / ص70 .

وقد رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» قال: «أخبرنا محمَّد بن عبد الله الأنصاري، أخبرنا محمَّد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قال: قال أبو بكر أين يدفن رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم؟ قال قائلٌ منهم: عند المنبر، وقال قائل منهم: حيث كان يصلي يؤمُّ الناس، فقال أبو بكر: بل يدفنُ حيث توفى الله نفسَه، فأخَّر الفراش ثمَّ حفر له تحته» «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (552/1) .

وسنده ضعيفٌ لإرساله، فأبو سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبي بكر، «قال أبو زرعة: هو عن أبي بكر مرسلٌ» «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (117/12).)، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب كانت ولادته في خلافة عثمان ولم يسمع من أبي بكر المصدر السابق نفسه: (250/11).)، ومحمَّد بن عمرو بن علقمة صدوقٌ له أوهام المصدر السابق: (375/9)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر: (196/2).).

والحديث رواه محمَّد بن إسحاق موصولاً، أخرجه ابن ماجه في «السنن» «سنن ابن ماجه» (520/1) (رقم: 1628).) والبزار « مسند البزار» (70/1) (رقم: 18).) وأبو يعلى «مسند أبي يعلى» (45/1، 46) (رقم: 22، 23). والبيهقي في «دلائل النبوة» «دلائل النبوة» للبيهقي (260/7).)، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر «مسند أبي بكر» (66) (رقم: 26، 27).)، وابن هشام «السيرة النبوية» لابن هشام (663/2).)، وابن كثير «البداية والنهاية» لابن كثير (266/5).) قال: «حدثني حسين بنُ عبد الله عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال: .. وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم يقول: مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إلاَّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ».

والحديث ضعيف لأنَّ في سنده حسين بن عبد الله بن عبيد ضعَّفه ابنُ معينٍ والنسائي وأبو زرعة والبخاري، وكثيرٌ من أهل الحديث لم يحتجوا بحديثه انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي: (537/1)، و«تهذيب التهذيب»: (341/2)، و«تقريب التهذيب» كلاهما لابن حجر: (176/1) ، والحديث ضعَّفه الألباني «ضعيف سنن بن ماجه» للألباني (128-127) .

وتابعه من هو دونه وأوهى منه، قال السيوطي: «وصله ابن سعد من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، ومن طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة» التة « تنوير الحوالك » للسيوطي: (230/1). ميش).

قلت: فقد رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» قال: «أخبرنا محمَّد بن عمر، أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحُصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما فرغ من جهاز رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم يوم الثلاثاء وُضع على سرير في بيته، وكان المسلمون قد اختلفوا في دفنه فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه بالبقيع، قال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَا مَاتَ نَبِيٌّ إلاَّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ»، فرفع فراش النبي صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم الذي توفي عليه ثم حفر له تحته» «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (552/1).).

وسند هذا الحديث ضعيف جدًّا، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ضعيف وعنده مناكير انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي: (19/1)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر: (31/1).)، وداود بن الحُصين ثقة إلا في عكرمة ورمي برأي الخوارج كما صرح ابن حجر في «التقريب» «تقريب التهذيب» لابن حجر: (231/1).)، ومحمَّد بن عمر بن واقد الأسلمي هو الواقدي متروك الحديث، فلا يصلح هذا الطريق لا في المتابعات ولا في الشواهد.

ولا يشفع لحال الواقدي إسناده الآخر الذي ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «قال الواقدي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن عثمان بن محمَّد الأخنسي عن عبد الرحمن بن سعيد قال: لما توفي النبي صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم اختلفوا في موضع قبره، قال قائل: في البقيع، فقد كان يكثر الاستغفار لهم، وقال قائل: عند قبره، وقال قائل، في مُصلاَّه، فجاء أبو بكر فقال: إن عندي من هذا خبرًا وعلمًا، سمعت رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم يقول: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلاَّ دُفِنَ حَيْثُ تُوُفِّيَ» «البداية والنهاية» لابن كثير: (267/5).

وهذا الحديث مرسل، وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي لم يدرك أبا بكر، وفيه الواقدي -كما ترى-. وأمَّا طريق ابن هشام بن عروة فليس فيه ذكر لمحلِّ الشاهد.

هذا والناظر في مجموع طرق الحديث يدرك أنَّ الطريق الأول وإن كان ضعيفًا من جهة الإرسال وليس فيه تهمة في صدق الراوي وديانته إلاَّ أنَّ الطرق الأخرى لا تخلو من ذلك، فإنَّ طريق عكرمة عن ابن عباس فيه حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس تركه أحمد وله أشياء منكرة، وقال النسائي: متروك، وتركه البخاري، وقال: يقال إنه متهم بالزندقة «تهذيب التهذيب» لابن حجر (341/2-342).

أمَّا الطريق الثالث ففيه إبراهيم بن أبي حبيبة ضعيف له مناكير، وفيه الواقدي متروك الحديث، وكذا الطرق الأخرى.

وعليه، فلا يتقوى الحديث بكثرة طرقه مهما تعدَّدت؛ لأنها ناشئة من تهمة في صدق الرواة ودينهم، وإنما يرتقي ويتقوَّى بكثرة الطرق إذا كان ضعف رواته في مختلف الطرق ناشئًا من جهة سوء حفظهم كما نبَّه إليه أهلُ الحديث.

هذا، وعلى فرض صحة الأثر فإنَّ قول القائل: «ندفنه في مسجده» أو «عند المنبر» معارض بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل برسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم طفق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال: وهو كذلك: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبْرِزَ قبرُه، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا» أخرجه البخاري (628/3) كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومسلم (239/1)، كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» رقم: (529).).

والمرادُ أنه لولا تحذير النبي صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم ما صنعوا ولعن مَن يفعل ذلك لدفن خارج بيته، غير أنه خَشِي [أي النبي صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم] أن يُتخذ قبرُه مسجدًا على رواية الفتح، أمَّا «خُشِيَ»

على رواية الضم فهي خشية واقعة من الصحابة رضي الله عنهم، ولا تعارضها روايةُ عائشة رضي الله عنها: «غير أني أخشى»؛ لأنَّ إخبار وقوع الخشية من فرد لا ينافي وقوعها في مجموع الأفراد.

ومن جهة أخرى: يجوز أن يشير أحدُهم بأن يدفن في بيته - قطعًا لذريعة الشرك- وليس في ذهنه إلاَّ تلك الخشية، وبعضهم يشير إلى الرأي نفسه ومعه علم بأن النبي صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم قال: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلاَّ دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ»، كما يجوز على بعضهم أن لا يتفطن إلى هذا المعنى لغلبة معنى آخر في الرأي فيشير إلى دفنه بالبقيع لعلة أنه كان كثيرًا ما يستغفر لهم فيدفن مع أصحابه، أو يشير بعضهم إلى أنَّ دفنه في مسجده أو عند منبره لعلة موضع خطابته وصلاته وإمامته بالناس مع غياب المعنى الأول، وهو -بلا شك- قول موقوف على اجتهاد صحابي لم يعينه الحديث مع احتمال أنه لم يبلغه التحريم، وخاصة أن أحاديث التحريم كانت قريبة العهد بوفاته صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم، ولا يلزم من سكوت الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت سكوتهم في أي وقت وإقرارهم على مبلغ اجتهاده، فهم أعلم بذلك الظرف ومناسبته لمقام الإنكار فيه من عدمه، علمًا بأنَّ جمهور الصحابة رضي الله عنهم قد بيَّنوا الحكمَ بيانًا يسقط وجوب الإنكار فيما نقلوا من أحاديثَ مرفوعةٍ ومتواترة وصريحة في تحريم بناء المساجد على القبور، وهي نصٌّ في المسألة. ويؤيِّد قيام الإنكار من النبيِّ صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم ما روى ابن سعد بسند صحيح عن الحسن (وهو البصري) قال: «ائتمروا أي: تشاوروا. انظر: «النهاية» لابن الأثير (66/1). أن يدفنوه صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم في المسجد فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّم كان واضعًا رأسه في حجري إذ قال: « قَاتَلَ اللهُ أَقْوَامًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »، واجتمع رأيهم أن يدفنوه حيث قبض في بيت عائشة «الطبقات الكبرى» لابن سعد (516/1) [1] .

الشبهة (17) : استدلالهم بالحديث :

ما أخرجه البخاري في "الصحيح" (فتح: 494/2) من طريق: ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس: أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم! إنا كنَّا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون.

وجه الاستدلال: قالوا: (وهو صريح في التوسل بالصالحين، لاسيما إذا كانوا من أهل البيت النبوي عليهم السلام.

الجواب

1- موقع الشيخ محمد علي فركوس . http://ferkous.com/rep/M37.php

هذا الكلام منتقض بأن الأثر وإن كان صريحاً في التوسل بالصالحين، إلا أن توسلهم كان على غير الهيئة المبتدعة التي يروِّجون لها ، من التوسل بالجاه، وإنما كانت بالتوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم، وهذا ظاهر جداً من مجموع الأحاديث الواردة في الاستسقاء.

وقد أخرج البخاري في "الصحيح" (295/1)، ومسلم (614/2)، والنسائي (166/3) من طريق: الأوزاعي، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس – رضي الله عنه – قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعة، قام أعرابي، فقال: يا رسول الله! هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه، وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده! ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي – أو قال: غيره – فقال: يا رسول الله! تهدّم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، فقال: "اللهم! حوالينا ولا علينا"... الحديث.

فدلَّ هذا الحديث دلالة قوية ظاهرة على أن توسلهم به صلى الله عليه وسلم كان توسلاً بدعائه، لا بجاهه، وهذا ظاهر من قوله: « فادع الله لنا »، ولو كان التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم مشروعاً لما تأخروا في ذلك لاسيما مع عظم المصيبة أولاً بالقحط، وأخراً بالهدم والغرق.

فكان توسل الصحابة بعده عليه السلام في حادثة القحط بدعاء العباس، لا بجاهه.

وأما استدلالهم بقول الحافظ ابن حجر السابق ذكره فهو من باب التدليس، فإن الحافظ لم يستدل بهذا الحديث على جواز التوسل بالجاه، وإنما استدل به على جواز الاستشفاع بأهل الخير، والاستشفاع لا يأتي بمعنى التوسل بالجاه، وإنما يأتي بمعنى التوسل بالدعاء كما سوف يأتي تقريره قريباً إن شاء الله تعالى.

ثم إن قصة عمر في توسله بالعباس – رضي الله عنهما – لا تدل بحال أنه كان توسلاً بجاهه، بل هو على اليقين توسلاً بدعائه جرياً على ما كانوا يفعلونه مع النبي صلى الله عليه وسلم، من التوسل بدعائه.

وقد نقل الحافظ في الفتح ما يدل على ذلك، فقال (577/2):

« وقد بيَّن الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر، قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس ».

فهذا دليل ظاهر على ما ذكرنا وتؤيد هذه الرواية ما أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (92/3) من حديث ابن عباس: أن عمر استسقى بالمصلى، فقال للعباس: قم فاستسق، فقام العباس، فقال: – فذكر فيه دعاءً آخر. إلا أن سنده ضعيف جداً، فهو من رواية إبراهيم الأسلمي، وهو واهٍ.

وقد حمل البيهقي هذا الأثر على ما حملناه عليه، فبوَّب له في " السنن الكبرى" (52/3):

[باب: الاستسقاء بمن تُرجى بركة دعائه]. وكذا فعل الموفق المقدسي – رحمه الله – فقال في "المغني" (439/2): « ويُستحب أن يُستسقى بمن ظهر صلاحه، لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء، فإن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عمر: استسقى عمر عام الرمادة بالعباس، فقال: اللهم! إن هذا عم نبيك صلى الله عليه وسلم، نتوجه إليك به، فاسقنا، فما برحوا حتى سقاهم الله عز وجل، وروي أن معاوية خرج يستسقي فلما جلس على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فقام يزيد، فدعاه معاوية، فأجلسه عند رجليه، ثم قال: اللهم! إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود، يا يزيد! ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الله تعالى، فثارت إلى الغرب سحابة مثل الترس، وهب لها ريح، فسقوا حتى كادوا لا يبلغون منازلهم، واستسقي به الضحاك مرة أخرى » .

أثر معاوية مع يزيد الجرشي، أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (155/2/7): أخبرت عن أبي اليمان، عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر الخبائزي، أن السماء قحطت مخرج معاوية... فذكره بنحوه.

وهذا سند صحيح لولا ما فيه من الانقطاع بين ابن سعد وبين أبي اليمان الحكم ابن نافع.

وهذا يدل على أن المستقر عند أهل العلم في فهم هذا الأثر وأشباهه التوسل بالدعاء، لا التوسل بالجاه.

وإن كان توسلاً بجاه، فما كان عمر في حاجة إلى تقديم العباس للدعاء، وإنما كان يكفيه أن يدعو هو متوسلاً بجاه العباس، ولا اعتبار حينئذ بوجوده أو عدم وجوده، وإن كان الأمر كذلك فقد كان حريًّا بعمر – رضي الله عنه – أن يتوسل بجاه النبي صلى لأفضليته، فلما لم يقع ذلك، ثبت القول بأنه كان توسلاً بالدعاء، لا بالجاه.

ودلَّ أثر معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – في توسله بيزيد بن الأسود الجرشي أنه توسل بدعائه، لا بجاهه، هذا مع تقدم معاوية في الفضل على يزيد، لكونه من الصحابة، من جهة، ومن جهة أخرى فهو خال المؤمنين، ومن كُتَّاب الوحي.

الشبهة(18) : استدلالهم بالحديث :

عن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه –: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، قال: فادعه، قال:

فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم! إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم! فشفعه فيَّ. وهذا الحديث أخرجه أحمد (138/4)، والترمذي (3578)، والنسائي في "اليوم والليلة" (663و 664)، وابن ماجة (1385) بسند صحيح، وإن كان في طرقه بعض الاختلاف.

وجه الاستدلال : زعمهم أنه دليل جواز التوسل والاستشفاع بالجاه .

الجواب :

هذا الحديث حجة عليهم فيما ادعوه من جواز التوسل بالجاه وهذا ظاهر جداً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، ومن جواب الرجل عليه: " فادعه ".

فإن التوسل هنا مختص بالدعاء، ويؤيده قول الرجل في دعائه: "اللهم! فشفعه فيَّ"، وهذا مقتضاه حصول الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه لأجل هذا الرجل في محنته.

لأن مقتضى الشفاعة ومعناها: الدعاء والطلب للغير.

قال ابن منظور في "لسان العرب" (2289/4): " وروي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ } قالا: الشفاعة: الدعاء ها هنا، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وشفع إليه: في معنى طلب إليه... ".

وهذا يؤيده: ما رواه الشيخان (البخاري: 385/4، ومسلم: 180/1) من طريق: قتادة، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، كذلك، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك... ". فهذا ظاهر جداً على أن الاستشفاع لا يكون توسلاً بالجاه، وإنما هو بالدعاء، فلو كان بالجاه لكفاهم أن يتوسلوا بجاه أحد الأنبياء دون الحاجة إلى التردد بين الأنبياء جميعاً، كما ورد في متن الحديث، وهذا لم يقع منهم، ومن ثَمَّ فلا شفاعة بغير دعاء أو طلب أو سؤال.

بالنسبة لسند الحديث :

ما أخرجه ابن أبي خيثمة في " تاريخه ": حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا أبو جعفر الخطمي، عن عمارة ابن خزيمة، عن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه –: أن رجلاً أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أُصبت في بصري، فادع الله لي، قال : " اذهب فتوضأ، وصلِّ ركعتين، ثم قل: اللهم! إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة، يا محمد! إني استشفع بك على ربي في ردِّ بصري، اللهم! فشفعني في نفسي، وشفِّع نبيي في ردِّ بصري، وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك".

وهذه الرواية كان قد أعلها العلاَّمة الألباني في "التوسل" (ص:83) تبعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "التوسل والوسيلة" (ص:102) بتفرد حماد بن سلمة بزيادة: " وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك ".

وهي محل الشاهد الذي احتجوا به على جواز التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم.

والصواب : أن الحمل في هذا الحديث ليس على حماد بن سلمة – رحمه الله –، وإنما هو على من رواه عنه، وهو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، وهو وإن كان من الثقات، إلا أنه قد خالفه من هو أوثق منه في الضبط، وهو حبان بن هلال الباهلي البصري، فرواه عن حماد بن سلمة بسنده ومتنه، دون هذه الزيادة.

أخرجه النسائي في " اليوم والليلة " (663). وحبان بن هلال وثقة ابن معين، والترمذي والنسائي، وقال أحمد: "إليه المنتهى في التثبت بالبصرة"، وقال البزار: "ثقة مأمون على ما يحدث به"، وقال الخطيب: "كان ثقةً ثبتاً". ويؤيد هذه الرواية رواية شعبة لهذا الحديث دون هذه الزيادة.

ثم وجدت متابعة لحبان بن هلال عند البخاري في "التاريخ الكبير" (209/3/2) من رواية: شهاب بن عباد العبدين، عن حماد به دون الزيادة. وشهاب بن عباد من شيوخ الشيخين، وهو ثقة رضي.

فهذا يدل على شذوذ الزيادة.

وأما القول بأن الزيادة من الثقة مقبولة، فهذا المذهب مذهب جماعة الفقهاء، وأما المحققين من أهل الحديث لاسيما المتقدمين فلا يقبلون الزيادة إلا من الثقة الحافظ الثبت، بل منهم من لا يقبل الزيادة من الحافظ إن كانت تفيد حكماً زائداً، حتى يتابع عليها، كما توقف الإمام أحمد في زيادة: "من المسلمين" في حديث صدقة الفطر الذي يرويه الإمام مالك من حديث ابن عمر، حتى تابعه عليها العمريان، والمسألة فيها تفصيل كبير محله كتب المصطلح.

الشبهة(19) : استدلالهم بالحديث :

ما أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (352/24) قال: حدثنا أحمد بن حماد ابن زغبة، حدثنا روح بن صلاح، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس عند رأسها، فقال: " رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ". ثم أمر أن تُغسّل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه، فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده،

وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال:" الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين". وكبَّر عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد، هو والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم.

وجه الاستدلال: أن النبى صلى توسل بحقه وحق الأنبياء، وحق الأنبياء مخلوق، لذا يجوز التوسل بالمخلوق.

الجواب :

1- من حيث السند: الحديث أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (121/3)، وقال: "غريب من حديث عاصم والثوري لم نكتبه إلا من حديث روح بن صلاح، تفرد به". ومن طريق أبي نعيم أخرجه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (269/1). قالوا: (وهو حديث حسن).

هذا الحكم فيه مجازفة كبيرة، فقد تفرد روح بن صلاح بهذا الحديث عن سفيان الثوري، ولم يشاركه أحد من أصحاب سفيان الثقات الحفاظ فيه، وعلى التسليم للمؤلف أن روح هذا صدوق حسن الحديث فلا يُقبل منه مثل هذا التفرد عن الثوري، بل عد مسلم مثل هذا التفرد منكراً، فقال في مقدمة "الصحيح" (7/1): " فأما من تراه يعمد لمثل الزهري في جلالته وكثرة أصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه، وحديث غيره، أو لمثل هشام بن عروة، وحديثهما عند أهل العلم مبسوط مشترك، قد نقل أصحابهما عنهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره، فيروي عنهما أو عن أحدهما العدد من الحديث، مما لا يعرفه أحد من أصحابهما، وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم، فغير جائز قبول حديث هذا الضرب من الناس".

فهذا على فرض التسليم للمؤلف بأن روح هذا صدوق، وأما على التحقيق، فهو ضعيف الحديث، لا يقوم بما تفرد به حجة، لاسيما إن كان فيه مثل هذه النكارة اللائحة على السند والمتن.

وروح هذا ضعّفه ابن عدي في "الكامل" (1005/3) وأورد له حديثين منكرين، وقال: "في بعض حديثه نكرة".

وقال الدارقطنى: "ضعيف في الحديث"، وقال ابن ماكولا: "ضعفوه"، وقال ابن يونس: "رويت عنه مناكير".

وأما ابن حبان فأورده في الثقات جرياً على قاعدته، وقال الحاكم: "ثقة مأمون".

وقد تمسكوا بقول الحاكم، وبذكر ابن حبان له في "الثقات"، وبرواية يعقوب بن سفيان الفسوي عنه استدلالاً على ثقته وضبطه، بل اعتبر ما ورد فيه من جرح مبهماً، ولا يعتد بالجرح المبهم إذا خالفه التوثيق.

وهذه مغالطات مجتمعة، وتدليسات مجموعة لا تنطلي على من اشتغل بعلم الحديث الشريف.

... وعلى فرض التسليم للمؤلف بأن ما وقع للحاكم من التساهل إنما هو في "المستدرك" وحده، فهذا لا يمنع من تأخير قوله بتوثيق روح بن صلاح، لكونه خالف الأكثر ممن جرحوه، بل هذا الحديث الذي هو قيد البحث لأدل دليل على قلة ضبط روح لاسيما وقد تفرد به عن الثوري دون باقي أصحابه، وتفرد بمتن فيه نكارة ظاهرة.

يقول الشيخ أحمد آل بوطامي :

ليعلم القارئ أنه ليس في التوسل بالأموات حديث صحيح أو حسن، وكل ما يوردونه إما ضعيف أو موضوع:

1 – حديث : « "اللهم إني أسألك بحق السائلين » ، فإنه ضعيف قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، هذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، عطية وهو العوفي والفضيل بن مرزوق ، والفضل بن الموفق ، كلهم ضعفاء .

ومع أنهم اختلفوا في الفضيل بن مرزوق فضعفه ابن حبان والنسائي وأبو حاتم ، ووثقه ابن معين ، فإن الجرح مقدم على التعديل . على أننا لو سلمنا بصحة الحديث ، فإن حق السائلين (بفضل الله ووعده) إجابتهم ، فهو توسل صحيح شرعي بالعمل الصالح المشروع ، وهو الدعاء والإجابة عليه من الله : { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [فمعناه : بحق سؤالي لك] .

2 – حديث فاطمة بنت أسد ضعيف أيضاً ، فإن فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف .

3 – الاستغاثة في قوله تعالى في قصة موسى : { فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ }، استغاثة حي بحي فيما يقدر عليه ، وليس في هذا خلاف . على أن فعل الرجل الإسرائيلي ليس بحجة ، وإجابة موسى له وتقريره عليه ليس بحجة ، لأن ذلك قبل أن يوحى إليه .

وسكوت الأنبياء قبل بعثتهم لا يدل على جواز المسكوت عنه . وبعد ذلك كله ليس هو في شريعتنا .

4 – قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا } ... الآية .

نزلت في واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها ، وقعت في حياته صلى الله عليه وسلم ، فمن أين أخذوا التعميم في الحياة والممات ؟ .

ولو دلت على العموم في الحياة والممات لكانت مخصصة ومقصورة على الحياة ، ودليل التخصيص الأخبار الشرعية الدالة على أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون ، قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ } .

وفي الحديث الذي رواه مسلم : « "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به » .

ولأن الصحابة ومَن بعدهم ما فهموا شمولها للموت، ولذا لم يأت إلينا أنهم دعوه صلى الله عليه وسلم بعد الموت ، كما قد أتى إلينا أنهم سألوه الدعاء في حياته صلى الله عليه وسلم وسألوا غيره الدعاء بعد موته .

5- حديث : "توسلوا بجاهي " موضوع ، لم يختلف في وضعه اثنان ، ولذلك لم يعمل به مَن هو خير منا في القرون الثلاثة المفضلة .

ولا ريب عند المسلمين جميعهم ، أن لرسول اللُه صلى الله عليه وسلم جاهاً عظيماً ومقاماً محموداً ، وأنه أفضل الورى وخاتم الأنبياء والمرسلين .

ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به ، وإن كان الأنبياء أحياءً في قبورهم حياة برزخية كاملة لا يعلمها إلا الله ، لأن الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا ، ولا تعطى أحكامها ، فإذا جاز أن نسأله صلى الله عليه وسلم في حياته الدعاء ، بأن يطلب لنا من الله قضاء حاجة أو غفران ذنب ، فلا يجوز بعد مماته أن نسأله قياساً على حياته الدنيوية ، لأن الله أمرنا بالأولى ولم يأمرنا بالثانية .

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التي تنادي بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف ، أو قدرة في دفع ضر ، أو جلب نفع ، سواء أكان نبياً أم غيره ، كقوله تعالى :

{ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا }{ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } وقوله : { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً أن الذي بيده النفع والضر هو الله وحده لا غير ، وأن المعبودات من دون الله لا تغني شيئاً ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عن غيره .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه قال لما نزلت آية : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } :

"يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يا بني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يا بني مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يا بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار .

فإني لا أملك لكم من الله شيئاً » .

وفي رواية : « "يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت رسول الله سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً » .

وقوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، أي نخصك بالعبادة ولا نعبد سواك ، ونستعين بك في أمور الدنيا والدين ، ولا نستعين بأحد غيرك .

وحديث : « "إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (1) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

لو تدبر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين لتلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ؟ لعلموا أن توسلاتهم بالرسول ، أو بالأنبياء والصالحين ليس لها أصل في الدين ، [بل هي بدعة ضلالة] .

وأن الاستغاثة والاستعانة بهم من الشرك والكفر المبين .

الخاتمة:

الحرب على الإسلام ومحاولة طمس معالمة لم تنقطع طوال التاريخ، ومن حلقات هذا الصراع بل من أشدها خطورة هي تبديل أحكامه وشرائعه ومعتقداته، وابتداع من العبادات والشرائع ما لم ينزل الله بها من سلطان .. وكانت القبورية وما يترتب عليها من بناء المساجد على الأضرحة صورة من صور هذا الصراع بين الإسلام والبدعة .. والتي أراد بها من نشروها في بلادنا أن تحل محل السنة الصحيحة والعبادات الربانية ..

لكن الله تعالى لحفظه الدين فقد هيئ من علماء الأمة ومجددي الإسلام من وقفوا لهذه البدعة بالمرصاد قوضوا أركانها وعروا مبادئها وفضحوا رموزها ..

وقد سـعيت إلى حشـد أكبر قدر من الأقوال وترتيبها حتى تكتمل الصـورة، وتنتقض عرى البدعة والضلالة ..

وقد أتممت الدراسـة مرتبةً من خلال إلقاء نظرة تاريخية عن بداية بناء الأضـرحة، ودخولها بلاد المسلمين، ثم بينت حكم الشرع الحنيف في هذه البدعة القبورية وبناء الأضرحة على القبور.

وتطرقت إلى آثار انتشار هذه الأضرحة في بلاد المسلمين.

وخصـصـت فصـلاً للحديث عن حكم المسـاجد التي فيها القبور، وحكم الصـلاة فيها، وركزّت في البحث على جهود علماء الإسـلام قديمًا وحديثًا في محاربة هذه البدع، كما أفردت دور الصـحوة الإسلامية في انحسار الاهتمام بالأضرحة وبنائها، وختمت البحث بذكر شبهات المجيزين لبناء المساجد والأضرحة على القبور والرد عليهم؛ حتى لا يبقى حجة لمتبعي هذه البدع والمنافحين عنها ..

أدعو الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين..

أهم المراجع

1- أثر الدعوة السـلفية في توحيد المملكة العربية السـعودية، حمود بن أحمد الرحيلي، على الرابط التالي: http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=1330

2- أقوال أئمة الدعوة النجدية السلفية في مشاهير الجهمية والقبورية، عبد الله السُنّي.

3- انظر مقدمة كتاب تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي للشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله.

4- التحفة الأزهرية في بيان مواقف أعلام الأزهر الشـريف ومشـايخه من الحركة الوهابية، أبو الحسـن الأزهري، على الرابط http://majles.alukah.net/showthread.php?t=16120

5- الدين الخالص، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ/ 1995 م).

6- الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي الجزائري، دار الراية للنشر والتوزيع، (2001 – 1422).

7- القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها، أحمد بن حسن المعلِّم، دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية، الطبعة الأولى،1427 هـ.

8- الملل والنحل، الشهرستاني.

9- الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، دار الرشد، (1423 هـ . 2001م).

10- الإمام المجاهد عثمان بن فودي .. أعظم أمراء إفريقيا، شريف عبد العزيز، موقع مفكرة الإسلام.

11- القبور والأضرحة .. دراسة وتقويم، جمع من العلماء.

12- أقوال أهل العلم في الاستغاثة بغير الله تعالى.

13- الردّ على المدعو دويسان، وكشف باطل المفترين على أهل السنة البهتان، حامد بن عبد الله العلي.

14- المدخل لابن الحاج.

15- الاعتصام للشاطبي.

16- الفتاوى الكبرى للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي، طبع دار الفكر ببيروت (1403هـ- 1983م).

17- الحوادث والبدع للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (ص105).

18- الباعث على إنكار البدع والحوادث للشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي، طبع دار الراية للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى (1410هـ- 1990م).

19- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، طبع دار المعرفة ببيروت بتحقيق محمد حامد الفقي.

20- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة وتحليل)، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ، (1412هـ - 1992م) نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض.

21- السيد البدوي دراسة نقدية، للدكتور عبد الله صابر.

22- البداية والنهاية لابن كثير.

23- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي.

24- الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

25- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة من العلماء، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (1417هـ - 1996م).

26- انظر أضواء على التراث الحضاري المعماري الإسلامي في العراق/ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- 1429هـ/2008م .

27- الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، لعبدالله بن علوي الحداد، طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة (1388هـ - 1968م).

28- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور ناصر العقل، ط الأولى (1404 هـ).

29- الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (175-176) طبع دار الندوة الجديدة ببيروت (1404هـ-1984م).

30- البدع لابن وضاح.

31- أحكام القرآن لابن العربي.

32- الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، موقع الصوفية على الرابط التالي www.alsoufia.com.

33- التحرير والتنوير، ابن عاشور.

34- التمهيد لابن عبد البر.

35- البيان والتحصيل للقرطبي.

36- الصُّوفِيَّةُ والوَجْهُ الآخَر د. محمّد جَميل غَازي .

37- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام ابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي، تحقيق سعيد أحمد أعراب (1396هـ- 1976م).

38- الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي المكي، طبع دار المعرفة ببيروت، (1402هـ-1982م)0

39- الإحكام للإمام ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني، طبع المكتبة السلفية (1409هـ)0

40- إصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيحاني، طبع مؤسسة طيبة الخيرية (1419هـ- 1998م) 0

41- السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج للشيخ صديق حسن خان إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر.

42- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، على الزهراني، رسالة ماجستير، بجامعة أم القرى، دار الرسالة للنشر والتوزيع، مكة.

43- الأولياء والقبب للشيخ أبي طارق البويحياوي عبد الله حشروف، اعتنى بها تلميذه نسيم الجزائري.

44- الإنصـــاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف"، حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي الطبعة الأولى (1417 هـ - 1996م).

45- انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوي، دار الفكر بدون تاريخ.

46- المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ص (385-386).

47- القاموس المحيط للفيروز آبادي طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية (1407هـ-1987م) .

48- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، طبع دار ابن خزيمة الطبعة الأولى عام (1414هـ).

49- الإبداع في مضـــار الابتداع للأســـتاذ الشـــيخ علي محفوظ، طبع دار المعرفة الطبعة الخامســـة سنة(1375هـ-1956م).

50- الأُم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.

51- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، طبع دار طيبة الرياض ط الأولى(1405-1985).

52- ســـنن أبي داود مع شـــرحه عون المعبود، طبع المكتبة الســـلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية (1388هـ-1968م).

53- شرح التصريح على التلويح للشيخ خالد الأزهري، طبع دار الفكر بيروت.

54- همع الهوامع للسيوطي، طبع سنة 1327 هـ بعناية محمد بدر الدين النعساني.

55- لسان العرب لابن منظور طبع دار الفكر الطبعة الأولى سنة(1410هـ - 1990م)

56- تطهير الاعتقاد، ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضـي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، طبع دار الفكر ببيروت الطبعة الأولى (1403هـ- 1983 م).

57- معارج الألباب في مناهج الحق والصـــواب، تحقيق محمد حامد الفقي وتخريج علي بن حســـن بن عبدالحميد طبع دار المعرفة بالرياض الطبعة الرابعة (1407هـ-1987م).

58- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني، طبع مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

59- دعوة الخلف إلى طريقة الســـلف، طبع مطابع النصـــر الحديثة بالرياض بدون تاريخ وكرر ذلك الوصف أيضاً.

60- صحيح مسلم شرح الإمام النووي طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بدون تاريخ

61- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري.

62- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، طبع دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى (1404هـ-1984م).

63- فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

64- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (141/27).

65- تحذير الساجد من اتخاد القبور مساجد، للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

66- مصنف أبوبكر بن أبي شيبة، طبع الدار السلفية بالهند بومبي، الطبعة الثانية (1399هـ-1979م).

67- طبقات ابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر (1377هـ- 1957م).

68- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الأولى (1382هـ - 1962م).

69- سبل السلام شرح بلوغ المرام للإمام محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني، طبع دار الكتاب العربي ط الثانية (1406هـ -1986).

70- سيرة ابن هشام، طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي.

71- موسوعة ويكيبيديا.

72- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون.

73- بدع الاعتقاد، لمحمد حامد الناصر.

74- عرفة عبده علي ، موالد مصر المحروسة.

75- فسطاط الخرافة.. الجذور والواقع، خالد محمد حامد، مجلة البيان، العدد 131.

76- عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع، الشيخ صالح الفوزان.

77- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم.

78- فتاوى ابن باز

79- فتاوى ابن عثيمين، نور على الدرب.

80- عشرون دليلاً في النهي عن الصلاة عند القبور، ماجد بن سليمان الرسي.

81- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

82- فتوى المجلس العلمي، تيزي وزو، رئيس لجنة الفتوى: عبد الله حشروف.

83- دوافع تقديس القبور والأضرحة وآثارها .. أفيون الشعوب الإسلامية، خالد أبو الفتوح.

84- دمعة على التوحيد.. حقيقة القبورية وأثرها في واقع الأمة.

85- مجلة المنار (2/74-76).

86- عجائب الآثار في التراجم والأفكار (المشهور بتاريخ الجبرتي) (1/304).

87- نقض العرى.. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي، محمد بن عبد الله المقدي، مجلة البيان عدد223.

88- خطط المقريزي.

89- مجلة الراصد الإلكترونية، اعترافات خطيرة حور دور التصوف في خدمة المحتل، العدد 43 محرم 1428هـ .

90- مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، عبد العزيز بن فيصل الراجحي.

91- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، دار الصميعي ط 1- 1416هـ- 1996م.

92- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل.

93- بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية، د. محمد بن عبد الله الخميس، دار الوطن.

94- سبل السلام للصنعاني.

95- جهود علماء الشافعية في بيان صور الشرك وذرائعه، منتدى أنصار السنة.

96- سير أعلام النبلاء، الذهبي.

97- تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، الدار العربية للعلوم-ناشرون المكتب الإسلامي للطباعة والنشر 1985

98- تلبيس إبليس، ابن القيم.

99- جهود علماء الدعوة السلفية بنجد تجاه النوازل العقدية، د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، على الرابط التالي:

http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=3851&Itemid=34

100- تاريخ ابن غنام.

101- دمعة على التوحيد، علاج هذا الداء العظيم، د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف.

102- جهود الأزهر في محاربة التصوف، على الرابط التالي:

http://www.sd-sunnah.com/vb/showthread.php?1067

103- فتاوى الأزهر.

104- جهود آل البيت في محاربة الشرك، متاح على الرابط التالي:

http://www.alburhan.com/articles.aspx?id=1668&selected_id=1669&page_size=5&links=False

105- سلسلة علماء الجزائر خلال قرنين: 1200- 1420- 1800م -2000م، محمد بن علي خربوش، على الرابط التالي: http://merathdz.com/play.php?catsmktba=4&id=143

106- مجلة الإصلاح الجزائرية، منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإصلاح الديني- الأولى- الشيخ سليم مجوبي، على الرابط التالي:

http://www.al-sunna.net/articles/file.php?id=1699

107- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير السهسواني الهندي، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، (1395هـ-1975م).

108- فتح المجيد شرح التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بتحقيق محمد حامد الفقي.

109- عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، دار الشروق.

الفهرس